

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة سطيف 2 .

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم علم الاجتماع و الديموغرافيا

النظم التعليمية في الزوايا-زاوية الهامل أنموذجا-

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في علم الاجتماع

تخصص علم اجتماع التربية

إشراف الدكتور

♦ الطاهر سعود

من إعداد الطالب

♦ درام الشيخ

لجنة المناقشة

رئيسا	جامعة سطيف 2	د. لحسن بو عبد الله
مقررا	جامعة سطيف 2	د. كمال بلخيري
عضوا	جامعة سطيف 2	د. بشير فايد
مشرفا	جامعة سطيف 2	د. الطاهر سعود

فهرس المحتويات

-إهداء

-تشكرات

-فهرس المحتويات.....01

مقدمة:.....09

الفصل الأول: موضوع الدراسة: التأسيس المنهجي

أولا-مشكلة الدراسة:.....14

ثانيا-أسباب اختيار الموضوع و أهميته:.....18

أ)- أسباب اختيار الموضوع:.....18

ب)- أهمية الدراسة:.....19

ثالثا-أهداف الدراسة :.....20

رابعا -مفهومات الدراسة.....21

1-الزاوية :.....21

2-التصوف:.....22

3-النظام التعليمي:.....23

خامسا- الدراسات السابقة:.....27

سادسا- منهج الدراسة و أدواتها:.....34

1- المنهج التاريخي:.....34

34.....2-مصادر المعلومات:

39.....سابعاً-حدود الدراسة:

39.....1-الإطار الجغرافي:

39.....2- الإطار الزمني:

الفصل الثاني: في سوسيولوجيا التربية

40.....-تمهيد:

40.....-أولاً-تعريف التربية:

40.....أ-التربية عند علماء اللغة:

41.....ب-التربية عند علماء الأحياء:

41.....ج-التربية عند جون ديوي:

41.....د-التربية عند جون ستيوارت ميل:

42.....هـ-التربية عند إميل دوركايم:

42.....و-التربية عند ابن خلدون:

43.....-ثانياً: وظائف التربية:

43.....أ-نقل التراث الثقافي:

43.....ب-التطبيع الاجتماعي:

44.....ج-تحقيق النمو الشامل:

44.....د-اكتساب الخبرات الاجتماعية:

- 44..... هـ- الضبط الاجتماعي:
- 45..... و- هضم التقاليد الاجتماعية:
- 45..... ز- إنشاء نماذج اجتماعية جديدة:
- 46..... ك- الإبداع في الفكر و السلوك:
- 46..... ثالثا: أهمية التربية:
- 48..... رابعا: المداخل النظرية في علم اجتماع التربية:
- 48..... 1. النظرية البنائية الوظيفية: (Functional Structuralism):
- 49..... 1.1 - أهداف التحليل البنائي الوظيفي للتربية:
- 51..... 2. نظرية الصراع: (Conflict Theory):
- 52..... 3- النظرية التفاعلية الرمزية: (Symbolic interactionism):
- 53..... 4- نظرية التربية و التغيير الاجتماعي:
- 53..... 5- النظرية الأساسية للتغيير الأكاديمي:
- 53..... 6- نظرية الصراع داخل الصف الدراسي: (Conflict Theory in The classroom):
- 55..... 7- نظرية النظم: (Systems Theory):
- 53..... خامسا : المدرسة كنظام اجتماعي:
- 57..... 1- مميزات المدرسة :
- 59..... 2- التساند الوظيفي بين المدرسة و النظم الاجتماعية الأخرى:
- 59..... 3- منزلقات المدرسة:

سادسا- التربية و التعليم:.....60

سابعا- التأسيس النظري للنظام التعليمي:.....61

الفصل الثالث: التربية والتعليم في العهد العثماني وبداية الاستعمار الفرنسي للجزائر.

-تمهيد:.....62

أولا-علاقة العثمانيين بالجزائر:.....62

ثانيا-دوافع الوجود العثماني بالجزائر:.....63

ثالثا-الحياة الإجتماعية في العهد العثماني:.....66

رابعا-الحياة الثقافية في العهد العثماني:.....68

1- المؤسسات الثقافية في العهد العثماني:.....65

أ- المدرسة:.....70

ب- الكتاتيب:.....72

ج- المساجد:.....73

د- الزوايا والرباطات:.....77

هـ -المكتبات:.....79

خامسا-الوقف و أثره في الحياة الثقافية في عهد العثمانيين:.....81

سادسا-التعليم في الجزائر خلال العهد الإستعماري:.....93

1-سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر.....93

2-موقف فرنسا من التعليم الحر في الجزائر.....97

خلاصة:.....107

الفصل الرابع: التعريف بزاوية الهامل.

-تمهيد:.....109

أولا-موقع زاوية الهامل:.....109

ثانيا-تاريخ تأسيس قرية الهامل:.....109

ثالثا-سبب تأسيس الزاوية:.....110

رابعا-مراحل بناء الزاوية:.....116

1 - بناء المسجد:.....116

2 - بناء مرافق الزاوية :.....118

أ-منزل الشيخ و عائلته:.....118

ب-بيت الضيافة (العلي):.....118

ج-بيوت الطلبة:.....119

د-منازل المريدين:.....119

هـ-مطعم الزاوية:.....119

و-الجناح البيداغوجي:.....120

ي-المكتبة:.....121

3-ساحة الزاوية :.....123

- 124.....خامسا- الانتماء الصوفي لزاوية الهامل:
- 125.....سادسا- مشايخ الزاوية بعد الشيخ المؤسس:
- 127.....سابعا- الأدوار التي أدتها زاوية الهامل منذ تأسيسها:
- 127.....1- الدور الاجتماعي:
- 135.....2- الدور الصوفي لزاوية الهامل:::
- 138.....3- الدور الجهادي:
- 129.....3-1- موقف زاوية الهامل من الثورة التحريرية 1954-1962م.....
- 141.....ثامنا- مؤسس الزاوية:
- 141.....1 - مولده و نشأته:
- 141.....2-مراحل تعلمه:
- 143.....3-جهوده في التربية والتعليم:
- 144.....4-ملامح شخصيته:
- 144.....5-مؤلفاته:
- 145.....6-شيوخه في العلم و التصوف:
- 146.....7-إجازاته:
- 146.....8-تلامذته:
- 147.....خلاصة:

الفصل الخامس: التعليم في زاوية الهامل

149.....	-تمهيد:
151.....	أولا-ظروف النشأة وصعوبات التأسيس:
154.....	1- السلطات الفرنسية و موقفها من تأسيس الزاوية :
156.....	ثانيا- التعليم في الزاوية:
156.....	1.2-الأهداف العامة :
163.....	2.2 الأهداف الخاصة:
169.....	ثالثا- مراحل التعليم في الزاوية:
171.....	رابعا- مدة الدراسة:
172.....	خامسا- أقسام التعليم في زاوية الهامل:
175.....	1 - التعليم العام:
175.....	2-التعليم النظامي:
175.....	1.2-أقسام التعليم النظامي:
175.....	أ- قسم تحفيظ القرآن:
181.....	ب - قسم أصول الدين:
192.....	سادسا-النشاطات اللاصفية في الزاوية:
193.....	سابعا- المعلمون:
194.....	ثامنا- المكتبة:

196.....	تاسعا- الشهادات:(الإجازات):
197.....	عاشرا- مخرجات العملية التعليمية:
197.....	أ- تعداد الطلبة في الزاوية:
198.....	ب- نوعية المتخرجين:
200.....	أحد عشر-القانون الداخلي للزاوية (السفارة):
190.....	-خلاصة:
205.....	-نتائج الدراسة:
208.....	-فهرس المصادر و المراجع:
223.....	-فهرس الملاحق:
	-ملخص الدراسة.

مقدمة:

دفعت التحولات الاجتماعية التي عرفتھا المجتمعات الغربية بعد الحرب العالمية الثانية، و ظهور الجماعات الدينية المنادية بالرجوع الى الدين، و تبشير الكثير من المفكرين بعودة المعطى الديني كأحد المكونات الفاعلة في المجتمعات الحديثة، بموضوع الدين إلى تصدر الدراسات الإنسانية خاصة في الجامعات الغربية.

و رغم اختلاف المفكرين في إعطاء تعريف واحد للدين، إلا أن القاسم المشترك بينهم هو الإقرار بحضور الظاهرة الدينية في المجتمع، و بقدرة الدين على التأثير في التصورات و المعتقدات والتقاليد للأفراد و الجماعات.

إن الدين في النهاية مصدر العقائد و التصورات، و هو الذي يحدد العلاقة بين الخالق و المخلوق، والعلاقة بين المؤمن و الطبيعة المحيطة به، و بينه و بين غيره من الناس. والدين بالإضافة إلى ذلك مصدر المعاملات، و هي التجسيد العملي للتصورات في شكل حركية تؤسس لعلاقات اجتماعية تتعدى المجتمع المتدين إلى غيره من المجتمعات.

و يمثل الدين بالنسبة للمجتمع المسلم -خاصة- منهج حياة يحكمها من لحظة الميلاد إلى لحظة الممات في أدق تفاصيلها، و يرسم ملامح المجتمع المسلم الذي يركز السلوك فيه على أساس مبدأ الثواب و العقاب. ولم يكن الدين يوما عائقا من عوائق التقدم أو التطور، بل كان عاملا من عوامل النهضة والإزدهار. و رغم ذلك فإن الدراسات الدينية في المجتمعات المسلمة لا تقارن بمثيلاتها في المجتمعات الغربية.

إذا كان هذا هو الدين بالنسبة للمجتمعات المسلمة، فان المسار التاريخي للدين في المجتمعات الغربية كان على النقيض من ذلك؛ لقد ارتبطت المسيحية بالتعصب الكهنوتي الذي احتكر المقدس و تفسيره، و تدخل في تشكيل العقلية

المسيحية وفق الخرافات و الدجل ،و حيّد العقل البشري تمهيدا لإلغائه،وحكمت الكنيسة على كل تفسير آخر بالكفر،وأعدمت المفكرين وشردت العقول الحرة وطعنت في كل محاولة علمية وإن لم تكن في نطاق الدين.

إن الكابوس الذي عاشته أوروبا في ظل الكنيسة ورجالها كان سببا مباشرا للشورات الشعبية التي نادت بإلغاء الدين والكفر بالإله والإحتكام إلى العقل و تأليهه.ولعل هذا المعطى التاريخي يبرر الموقف الغربي من الدين.لكن رغم ذلك فإن الدراسات الغربية للدين تعتبر رائدة مقارنة بمثيلائها العربية،بل لقد مهدت الدراسات الغربية لظهور علم الاجتماع الديني، على يد العلماء الغربيين من أمثال دوركايم و غيره ،ممن أشاروا إلى تميز هذه الظاهرة عن غيرها ونبهوا إلى أهمية الدين و الوظيفة التي يمكن أن يلعبها في المجتمع.

إن الطفرة الدينية التي مست المجتمعات الغربية وخاصة الشرقية الشيوعية منها ورجوع الإنسان الغربي إلى تلمس طريقه نحو الدين، دفع الباحثين إلى توجيه الأنظار إليه(أي الدين)، على اعتبار أن الكثير من الظواهر الاجتماعية لا يمكن فهمها دون أخذ المعطى الديني بعين الاعتبار.

وإذا كانت الدراسات الدينية قد أخذت المنحى الوصفي في بداياتها ونظرت إلى الدين على أساس الوظيفة التي يلعبها، سواء في استقرار المجتمع أو إحداث تغيير فيه،فقد اهتمت الدراسات الحديثة بالدين كحركة منظمة ذات أهداف محددة و نظم خاصة، تحاول تغيير شكل المجتمع و صبغه بتصوراتها المبنية على فهمها للدين.

وتعتبر الدراسات الاستشراقية رائدة في مجال دراسة الفرق الإسلامية؛فقد اهتم المستشرقون بالتاريخ السياسي للحركات الشيعية وثورات الخوارج و الحشاشين وحاولوا ربطها بأشكال التحرر الفكري في المجتمع الغربي، ليبرروا كل محاولة لإلغاء الدين في المجتمع المسلم.

أما حديثاً فقد تركزت جهود الباحثين على دراسة الجماعات الإسلامية الحركية، ونشطت الكثير من مراكز البحث العلمي لدراساتها، وكتب المفكرون الغربيون حول الإسلام السياسي و الجماعات الجهادية، ومستقبل العلاقة بينها وبين الغرب، وما مدى قدرة هذه الجماعات على التأقلم مع التحولات الديمقراطية في العالم، والتعايش مع الآخر، وموقفهم من الأقليات الدينية، والكثير من المواضيع الحديثة التي ارتبطت بظهور الجماعات الإسلامية السياسية.

و تعتبر الدراسات المنجزة في مجال الطرق الصوفية جزءاً لا يتجزأ من دراسة الجماعات الإسلامية الحركية. فالتصوف وإن كان نوعاً من التربية التي تهدف إلى إحداث نوع من التغيير، الذي أساسه الرقي النفسي و الصفاء الروحي، إلا أنه عرف تحولات عميقة نقلته من مرحلة **التصوف النظري** إلى مرحلة **"التصوف المؤسسي"**، وهو ما تجلّى في مؤسسة **"الزاوية"**.

وإذا كانت أهم المواضيع التي تصدرت الدراسات الصوفية هي البحث في ماهية التصوف من حيث المنشأ و المرتكزات العقلية و الشرعية، فإن التحليل المنهجي للحقل المعرفي الصوفي، وكذا البحث في الأسباب الاجتماعية و النفسية التي حافظت على تميز الكيان الصوفي عن غيره من مكونات الجسم الاجتماعي، وغيرها من المواضيع الوثيقة الصلة بالتصوف المؤسسي لازالت قاصرة.

وهي إلى جانب ذلك قليلة مقارنة بغيرها من فروع المعرفة الإنسانية. وربما يعود سبب ذلك إلى حساسية الظاهرة الصوفية و الهالة التي ارتسمت في مخيلة العقل العربي عنها، وما علق بالتصوف مما ليس منه و ليس له مرتكز عقلي و لا سند علمي. إضافة إلى ذلك فإن القاموس الصوفي لا زال يحمل في طياته من المصطلحات ما يحتاج إلى الكثير من الجهد لتفكيكه و جعله في متناول الجميع.

لقد جلبت الأدوار الاجتماعية للزوايا خاصة في الجزائر انتباه الباحثين، ومثل ذلك الحضور الدائم لها في المجتمع مرحلة جديدة من مراحل التحول الصوفي من مرحلة النظرية إلى مرحلة المؤسسة أو المؤسسة، وتخلص التصوف مما علق به من أفكار جعلت أساسه العزلة والتبتل والكهنوت، ليتجلى في شكل مؤسسة اجتماعية لعبت أدوارا اجتماعية وثقافية وتربوية في فترات كثيرة من التاريخ. وانصبت الدراسات على تحديد الدور الجهادي الذي قامت به الزوايا والدور الاجتماعي الذي لعبته والدور الثقافي الذي اضطلعت به، كما تطرقت بعض الدراسات إلى التاريخ الصوفي المغاربي من حيث النشأة والتأثر والخصوصية، وكذا الطرق الصوفية ومؤسسيها وأورادها وأذكارها وعدد مريديها¹.

و قد اختار الباحث زاوية الهامل بضواحي مدينة بوسعادة كنموذج للدراسة، نظرا للأدوار الاجتماعية والثقافية والتربوية التي لعبتها الزاوية في تاريخ الجزائر؛ فقد كانت الزاوية قبلة لطالبي العلم من الذين لم تمنح لهم الظروف الاجتماعية في ظل الاستعمار الفرصة للتمدرس، و هيأت للمئات منهم الظروف الملائمة للحصول العلمي، وذلك بما توفرت عليه من منشآت قاعدية لاستقبال الطلبة وإيوائهم والقيام على شؤونهم اليومية. وقد أشرف على التربية والتعليم بالزاوية طاقم من العلماء ممن حصلوا علوم عصرهم وشهد لهم بالأهلية الكثير من علماء الجزائر والزيتونة والقرويين، وقصدهم العلماء من الحواضر الإسلامية لطلب الإجازة، وهو ما بوأ الزاوية مكانة خاصة ضمن المؤسسات التربوية سواء في الداخل أو الخارج.

-من أهم تلك الدراسات دراسة كوبولاني و أوكثاف ديون، انظر:

¹ Octave Depont -Xaver Copolani, *Les confréries religieuses musulmanes*, Adolphe Jordan, Alger, 1897.

و قد تطرق الباحث عبر فصول الرسالة الخمسة إلى البحث في الجذور الحضارية والإجتماعية التي صاحبت نشأة الزاوية، وتحدث عن المخططات الإستعمارية التي دمرت كل ما يمت إلى المعرفة بصلة، وقبل ذلك تطرق إلى التربية والتعليم في العهد العثماني ليضع الزاوية في سياقها التاريخي، على اعتبار أنها نوع من المقاومة الثقافية للمجتمع الجزائري في وجه الاستعمار الرامي إلى محو معالم الشخصية الوطنية، وأنها استجابة حضارية لمتطلبات المجتمع الجزائري الذي كان في حاجة إلى مؤسسة لحو الأمية وإلى أئمة وقضاة ومفتين يساهمون في حفظ مقدساته وفي مقدمتها القرآن الكريم واللغة العربية وعلوم الشريعة، فجاءت الزاوية لتلبي كل ذلك عن طريق مخرجات العملية التربوية؛ فكانت بذلك جزءا من الفلسفة الإجتماعية للمجتمع الجزائري في ظل الإستعمار الفرنسي.

وبما أن البرامج التعليمية هي الوسيط التربوي الذي تنتقل عبره الأفكار والقيم، ويحدث بواسطته التشكيل للسلوك والتصورات، فقد قام الباحث ببناء الظاهرة التعليمية في الزاوية، فحدد المناهج المتبعة والبرامج والمواد المدرسة وطرق التدريس والقانون الداخلي، وتطرق إلى الأساتذة والمعلمين، وإلى تنظيم الفصل الدراسي، وعرف بدقة المرحلة الدراسية وحدد الشهادات الممنوحة في نهاية كل مرحلة تعليمية.

وقد شمل البحث في النظام التعليمي -بالإضافة إلى كل ذلك- العلاقات الإجتماعية والتقاليد العلمية بالزاوية، على اعتبار ما لها من تأثير على العملية التربوية.

و قد دون الباحث في نهاية بحثه ما توصل إليه من نتائج

الفصل الأول

التأسيس المنهجي

1- مشكلة الدراسة:

شغلت الظاهرة التربوية حيزا مهما من الدراسات التربوية الإجتماعية ،خاصة بعد أن استقل علم اجتماع التربية عن علم الاجتماع العام، وأصبح فرعاً مستقلاً عنه يستمد منه النظريات ومناهج البحث، ولكنه يتميز عنه من حيث الموضوع وطريقة التناول ومجالات العمل .

لقد شمل هذا التطور المفاهيم والقضايا والمناهج وطرق البحث ومجالاته، و تنوعت المواضيع البحثية لتشمل مجالات جديدة لم تكن من اختصاصات علم اجتماع التربية.

فعلى مستوى الإطار النظري، لم تعد الدراسات التربوية منصبة على كيفية تنمية الجوانب الانسانية و الإجتماعية للطفل و ذلك بالاستعمال السليم لنظريات التربية، ولم يعد الاطار المعياري المجرد هو الذي يحكم رسم السياسات التربوية وتصور شكل المؤسسة ومناهجها وأهدافها وما يمكن أن تقدمه من كم معرفي للتلميذ، بل أصبح الاهتمام منصبا على التعمق في فهم الظاهرة التربوية كعملية اجتماعية شاملة تخضع لقوانين النظم والظواهر الإجتماعية، ولم يعد ممكنا دراسة الظاهرة التربوية انطلاقا من مناقشة بعض المشاكل التربوية ومحاولة حلها عن طريق تطبيق بعض الأسس العامة لعلم الاجتماع العام.

وقد ظهر -نتيجة لذلك- اتجاه اجتماعي هيمن على الدراسات التربوية لفترات ليست قصيرة؛ وهو الاتجاه الذي ركز على دراسة و تحليل القضايا التربوية باعتبارها حلقة الوصل بين النظم التربوية في المجتمعات وبقية المؤسسات الإجتماعية الأخرى. وقد نشأ عن ذلك الكثير من الدراسات التربوية التي تهتم بالأهداف والوظائف الأساسية للتربية والربط بينها وبين الاحتياجات العامة للمجتمع. كما اهتمت الدراسات التربوية بدور التربية في عمليتي التغير والضبط الاجتماعي، وأصبحت الدراسات التربوية تتعدى الإطار التربوي إلى غيره من المجالات الاقتصادية و الثقافية و السياسية.

ولم تعد المداخل النظرية الكلاسيكية تحكم البحوث التربوية، بل ظهرت مداخل و نظريات حديثة أثرت مجال البحث التربوي.

أما على مستوى **مناهج البحث** فرغم اعتماد البحث التربوي على المناهج المطبقة في العلوم الاجتماعية كالمناهج الوصفية والمنهج التاريخي، إلا أن استعمال المناهج الإحصائية وطرق التحليل الرياضي دفع بالبحث التربوي إلى مستوى التحليل العلمي الذي يربط الظواهر التربوية المتداخلة ويحدد العلاقة بينها. واستعملت المتوسطات الحسابية و التوزيعات التكرارية و مقاييس النزعة المركزية لتحليل الظواهر التربوية بعيدا عن المناهج المعيارية والتعميمات الفلسفية.

أما على مستوى **مجالات البحث**، فقد تطورت مجالات البحوث لتتعدى محاولة الحل الاجتماعي للمشاكل التربوية إلى التحليل العلمي للظاهرة التربوية، وتعددت تبعاً لذلك مستويات التحليل للمؤسسة التربوية، وأصبحت التربية و التعليم نظاما اجتماعيا في علاقة تفاعل مع النظم الاجتماعية الأخرى مع احتفاظه بقدر من الذاتية تميزه عن غيره.

و استتبع ذلك ظهور مستويات عدة للتحليل العلمي للمؤسسة و وحداتها الكبرى و الصغرى. فعلى مستوى **الوحدات الكبرى** يشمل التحليل فحص النظم التربوية من حيث الوظيفة والبناء والمناهج والبرامج الدراسية، بالإضافة إلى نوعية الوسائل المستخدمة و الإطار الثقافي و الاجتماعي للمؤسسة التربوية.

وأما التحليل على مستوى **الوحدات الصغرى** فيشمل العلاقات الاجتماعية التي تنشأ بين الأفراد كأعضاء في المؤسسة التربوية، ويركز على دور الرموز والإشارات في تشكيل و فهم العلاقة بين المعلم والتلميذ داخل الصف الدراسي.

و قد استدعى التطور على مستوى النظرية و المناهج ومجالات البحث تطورا على مستوى **المفاهيم**؛ فلم تعد التربية عملية حشو بالمعلومات تعتمد على قاعدة الحفظ

والاستذكار ،بل أصبحت عملية معقدة تهدف إلى إحداث تغيير دائم في شخصية الفرد،
يشمل الجوانب العقلية و الوجدانية و السلوكية.

وعوض أن ينصرف مصطلح المؤسسة التربوية نمطيا إلى المدرسة، بوصفها الشكل
الثابت لمؤسسة التربية التي واكبت التطورات الاجتماعية للمجتمع الانساني، أصبحت
المؤسسة التربوية نسقا اجتماعيا فاعلا يؤثر في شخصية التلميذ ويؤهله للحياة
الإجتماعية،وتتدخل في تشكيلها وتحديد أهدافها الكثير من العوامل الإجتماعية والثقافية
و الاقتصادية و الايديولوجية.

و توسع مصطلح المؤسسة التربوية ليشمل كل مؤسسة تهدف إلى تمرير
المعرفة المتخصصة لأعضائها الجدد و تهذيب سلوكهم و تحقيق نوع من
الانسجام و التوافق بينهم.وبهذا التعريف اعتبرت المؤسسات العسكرية ومراكز
التدريب والمؤسسات الاقتصادية ومؤسسات التكوين المهني والتأهيل الإجتماعي
ومؤسسات المجتمع المدني والفرق الرياضية والمؤسسات الدينية مؤسسات تربوية.

وقد ظهرت الكثير من الدراسات التربوية حول الجمعيات المدنية
والمؤسسات الكشفية و المساجد و الزوايا و الكتاتيب و تأثيرها في التربية،
و الأدوار التي تلعبها في عملية الإعداد الإجتماعي للأفراد، و العلاقة التساندية
بينها وبين المؤسسات الإجتماعية الأخرى.

ولم تقتصر الدراسات على تحليل الوحدات الكبرى والصغرى لهذه
المؤسسات،بل تعدتها إلى البحث في الجذور التاريخية والإجتماعية.

و **الجذور التاريخية** تعني تتبع المسار التاريخي الذي قطعتة المؤسسة منذ
نشأتها والتطورات التي عرفتھا، أما **الجذور الإجتماعية** فهي الظروف
الإجتماعية والحضارية التي دفعت إلى ظهور هذا النوع من المؤسسات، و التي
عادة ما تكون استجابة لمتطلبات المجتمع في النواحي الثقافية و الاقتصادية
و الايديولوجية.

و البحث الذي بين أيدينا هو محاولة علمية جادة لإخضاع مؤسسة اجتماعية تربوية لدراسة وفق أسس علم اجتماع التربية و مناهجه، والبحث في جذورها التاريخية والإجتماعية وتحليل مناهجها وأهدافها ومخرجاتها التربوية. و هذه المؤسسة هي **الزاوية** .

فالزاوية مؤسسة اجتماعية تربوية تسعى -عن طريق نظامها التعليمي- إلى المساهمة في تشكيل شخصية المنتمي إليها، على المستوى العقلي المعرفي و ذلك بمده بكم من المعارف الدينية، وعلى المستوى الوجداني عن طريق قواعد التصوف التي تعتبر عماد التربية في الزاوية ،وعلى المستوى السلوكي بتلقينه أسس الحياة الإجتماعية التي يعيشها مع غيره في الزاوية، والتي تحكمها قوانين صارمة .

والزاوية مدرسة للتربية و التعليم؛ يشرف على التعليم بها طاقم من العلماء ومعلمي القرآن، وبها مرافق للإستقبال والإيواء وقاعات للدراسة، ولها قانون داخلي، و يمر الطلبة فيها بمراحل محددة من حيث الكم المعرفي وطرق التدريس ونوعية المدرسين، و يتوج الطالب مراحله الدراسية بالحصول على الشهادات العلمية التي تؤهله لمنصب الإمامة أو الإفتاء أو القضاء.

و قد اختار الباحث **زاوية الهامل** بنواحي بوسعادة كنموذج للدراسة، محاولا تتبع جذورها التاريخية والإجتماعية والبحث في الظروف التي صاحبت نشأتها. فقد لعبت الزاوية في فترة من أحلك فترات الجزائر دور المؤسسة التربوية غير الرسمية التي حافظت على سيرورة التعليم رغم السياسات الإستعمارية التدميرية لكل مظهر ثقافي في المجتمع، و وفرت للمئات من الطلبة كل شروط التحصيل الدراسي، و هيأت لذلك مرافق الدراسة و الإستقبال، وأشرف على نظام التربية و التعليم بها علماء من أبنائها ومن الأساتذة الزائرين من الجامعات الإسلامية كالزيتونة والقرويين، و كان لها نظامها الداخلي ومخرجاتها التربوية ممثلة في حفظ القرآن و الأئمة و القضاة و المفتين، و لعبت دورا في ملء الفراغ الثقافي الذي امتد على طول الحقبة الإستعمارية .

وقد حاول الباحث عن طريق كل ما سبق الإجابة على السؤال الآتي:

هل كان لزاوية الهامل نظام تعليمي؟

و الإجابة على الأسئلة الفرعية التالية:

- ما هي الجذور السوسيو-تاريخية للتعليم في الزاوية؟

- ما هي مصادر تمويله ؟

- ما هو نظامه المدرسي؟

- ما هي مدخلاته ؟

- ما هي مخرجاته؟

ثانيا-أسباب اختيار الموضوع و أهميته:

(أ) - أسباب اختيار الموضوع:

لم يكن اختيار الموضوع اعتباطيا أو وليد الصدفة، بل كان نتيجة لعوامل اختلجت في ذهن الباحث يمكن تلخيصها فيما يلي:

* المطالعات التي عكف عليها الباحث ردحا من الزمن ، والتي -و إن تضاربت في مفاهيمها و اختلفت في نتائجها- إلا أنها بينت الحضور الفاعل للزوايا في المشهد الإجتماعي الجزائري.

* ما لمس الباحث من مكانة للزوايا في قلوب العامة و الخاصة من أبناء المنطقة، ممن لاحظوا فضلها في الحفاظ على الموروث الثقافي للمجتمع الجزائري.

* محاولة الدراسة العلمية غير المنحازة ، و التي تضع الزوايا في إطارها الإجتماعي الفاعل، بعيدا عن الأحكام المطلقة أو الإصطفاف العاطفي.

*قلة الدراسات العلمية التي اهتمت بالزوايا من حيث أنها مؤسسات اجتماعية و تربوية فاعلة، و انتشار الكتابات العاطفية التي تهتم عادة بالأولياء و تاريخهم و كراماتهم و مريدتهم ؛ مما يضيف على الزاوية صبغة المقدس الذي يستعصي على الدراسة العلمية الموضوعية .

*التساؤلات الكثيرة التي يطرحها الباحثون عن الدور الحضاري الذي لعبته الزوايا قديما و الأسباب الذاتية الكامنة وراء ذلك، و مدى قدرة هذه المؤسسات على بعث هذا الدور من جديد.

* رغبة الكثير من الأساتذة و الباحثين في رؤية رسائل علمية تناقش مواضيع تقع تاريخيا في فروع معينة أخرى، و يتم التأسيس لها في علم الاجتماع.

كل ذلك و غيره دفع بالباحث إلى ولوج هذا النوع من الدراسات الإجتماعية التربوية، التي لطالما اختلط فيها المقدس بغير المقدس، و طغت عليها الذاتية و الإنحيازية، فكانت هذه الدراسة وفق مناهج علم الاجتماع وأسسها لعلها تفتح بابا لدراسات اجتماعية تربوية علمية جادة.

(ب). أهمية الدراسة: تكمن أهمية الدراسة في:

1- تعتبر الدراسة الحالية الأولى -في حدود علم الباحث- التي تناولت التعليم في الزوايا على حدى، من الناحية السوسيو-تربوية. فقد كانت الدراسات تتناول التعليم في الزوايا كجزء من الدور الثقافي و ليس كنظام تعليمي مستقل.

2- تسهم الدراسة الحالية في فتح الباب أمام الباحثين لولوج هذا النوع من الدراسات التي اتسمت بقلة المراجع و عزوف الباحثين، و ذلك بما توفره من معلومات حول التعليم في الزوايا وطرقه وأدواته و مناهجه و مدخلاته و مخرجاته و كل ما يتعلق به.

3- تأتي الدراسة الحالية في الوقت الذي كثر فيه النقاش حول مدى قدرة الزوايا على بعث مشاريعها الحضارية من جديد، والمساهمة في الحياة الثقافية الحديثة. و الدراسة الحالية

محاولة لتحليل مكان القوة والضعف في النظم التعليمية الدينية و العوامل التي قد تساعد في بعثها من جديد.

4- لم تكتف الدراسة بالبحث في المصادر التاريخية، بل عمدت إلى المزاوجة بينها و بين المقابلات الحية التي شملت بعض معلمي طلبة الزاوية ،وهو ما ميزها عن الدراسات المكتبية التي تكتفي باستنطاق المعلومات التاريخية، مما يجعلها أحيانا قاصرة على التعمق في فهم الظاهرة.

5-تطرقت الدراسة إلى بعض الجوانب الإجتماعية المتعلقة بعلاقة النظام التعليمي في الزاوية بالبيئة المحيطة به، و هي الإدارة الفرنسية و المقاومات الشعبية والطرق و الزوايا الأخرى،و ذلك لوضع الزاوية في إطارها الإجتماعي و اعتبارها نسقا غير منعزل عن الأنساق الإجتماعية الأخرى.

ثالثا-أهداف الدراسة :

تهدف الدراسة فيما تهدف اليه إلى:

-إبراز الدور التربوي التعليمي للزوايا منذ نشأتها(زاوية الهامل أنموذجا)،و ذلك عن طريق تحليل نظام التربية و التعليم فيها.

أ-إيضاح الدور الذي لعبته الزوايا في الحفاظ على الوحدة الفكرية للمغاربة عموما، و المتمثلة في الفقه المالكي و العقيدة الأشعرية و المدرسة الجنيديّة في السلوك.

ب-دراسة التعليم في الزوايا ،على اعتبار أنه المحرك للفعل الثقافي لهذه الزوايا في المجتمع.

ج-تسليط الضوء على النظم التعليمية غير الرسمية في المجتمع الجزائري إبان الفترة الإستعمارية، و تحديدا في الزوايا .

د-البحث في أساليب التعليم التي كانت موجهة للطلبة .

هـ-العمل على تحديد أبرز مخرجات العملية التعليمية في الزوايا .

رابعاً - مفهومات الدراسة:

1- الزاوية :

لفظ زاوية لغة مشتق من الفعل زوى زوىاً ، زوى الشيء ، أي جمع الشيء و قبضه ، كما تعني الركن . و بالتالي فالزاوية جامعة ، لكونها تجمع العباد على حب الله و رسوله و ذكره تعالى . و العرب تقول : تراوى القوم أي تضامنوا ، و تحلقوا في بقعة لغرض ما من أغراض الحياة . و كما هو معروف أن أهل الزاوية يتحلقون و يجتمعون ذاكرين الله تعالى ، و منه فاللفظ مشتق من الفعل انزوى.¹

أما اصطلاحاً فقد كثرت تعريفات الزاوية و من أهمها:

- يعرف ابن مرزوق الخطيب الزاوية على أنها: "المواضع المعدة لإرفاق الواردين و إطعام المحتاجين من القاصدين"². ثم ذكر أن الزاوية هي ما يعرف في المشرق بـ "الرباط".

- ويرى الدكتور رابح تركي أن الزاوية هي : "مدرسة دينية ، و دار لضيافة الأعراب . و تعتبر مركزاً لمشايخ الصوفية مخصصة للعلم و الثقافة العربية الإسلامية في مراحل الدراسة"³.

- أما دائرة المعارف الإسلامية فتعرف الزاوية على أنها: "مجموعة من الأبنية ذات طابع ديني : غرفة للصلاة ، ضريح لأحد المرابطين أو ولي من الأشراف تعلوه قبة ، غرفة قصرت على تلاوة القرآن ، مدرسة لتحفيظ القرآن ، غرفة مخصصة لضيوف الزاوية و الحجاج و المسافرين ، و غرف للطلبة و يلحق بالزاوية عادة مقبرة تشمل قبور أولئك الذين أوصوا في حياتهم أن يدفنوا بها."⁴

أما إجرائياً فما نقصده من مصطلح الزاوية في هذا البحث هو :

¹ عبد المنعم القاسمي، زاوية الهامل مسيرة قرن من العطاء والجهد، ط1، دار الخليل للنشر والتوزيع، الجزائر، 2010، ص128.

² ابن مرزوق الخطيب، المسند الصحيح في مآثر مولانا أبي الحسن، تحقيق ماري بيغرا، تقدم محمود بو عياد، ش و ن ت ، الجزائر، 1981، ص 413.

³ رابح تركي، التعليم القومي و الشخصية الجزائرية، 1931-1956، ط2، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، 1981، ص 237.

⁴ مجموعة من المستشرقين، دائرة المعارف الإسلامية، ترجمة إبراهيم زكي، دار الشعب ، القاهرة، د، مجلد10، ص332.

"الزاوية مؤسسة اجتماعية، ذات أبعاد تربوية تعليمية، و ثقافية دينية، و اجتماعية خدمية"

و بالتالي فهي مدرسة للتربية والتعليم، و مأوى للمرضى و المحتاجين و عابري السبيل، ومسجد لتعليم مبادئ الدين .

2-التصوف:

لم يختلف العلماء قديما و حديثا في تعريف مصطلح ما، اختلافهم في مفهوم التصوف وأصل اشتقاقه .حتى عد البعض منهم التصوف نوعا من الفلسفة، ليس له علاقة بأي دين. و نحن هنا نورد تعريفات عدة للتصوف، اعتمادا على علماء المسلمين ممن لهم دراية بالعربية و قواعد الاشتقاق فيها، مع معرفتهم بما اعترى المصطلحات الإسلامية من تغير و تحول، بحسب العصور و تطور العلوم و المعارف.

-أبو زكريا الأنصاري:(ت929هـ):التصوف علم تعرف به أحوال تركية النفوس،و تصفية الأخلاق ، و تعمير الظاهر و الباطن لنيل السعادة الأبدية.¹

-أحمد زروق:(ت898هـ):التصوف علم قصد لإصلاح القلوب ، و إفرادها لله تعالى عما سواه.و الفقه لإصلاح العمل،و حفظ النظام، و ظهور الحكمة بالأحكام. و الأصول "علم التوحيد" لتحقيق المقدمات بالبراهين،وتحلية الإيمان بالإيقان كالطب لحفظ الأبدان و كالنحو لإصلاح اللسان إلى غير ذلك.²

- أبو القاسم الجنيد:(ت297هـ):التصوف استعمال كل خلق سني،وترك كل خلق ديني.

-أبو الحسن الشاذلي:(ت656هـ):التصوف تدريب النفس على العبودية ، و ردها لأحكام الربوبية.

- حاجي خليفة: التصوف علم يعرف به كيفية ترقى أهل الكمال من النوع الإنساني في مدارج سعادتهم.³

¹ الأنصاري أبو زكريا، الرسالة القشيرية، مطبعة الباي الحلي، 1330هـ، ص7.

² أحمد زروق الفاسي، قواعد التصوف، مطبعة مصر، 1318هـ، ص6.

³ حاجي خليفة، كشف الظنون، مطبعة المعارف التركية، 1360هـ، ج1، ص313-314.

- سيد سابق: "التصوف علم من العلوم الإسلامية ، و هو في حقيقة أمره روح الإسلام و جوهره، لأنه تصفية القلب و تطهيره من رجاساته عن غير الله، وإخلاص العبودية له ، و تحرير الجسد ، و نبذ الدنيا، و هجر لذائذها ، و الخشوع و الصمت و التأمل"¹.

و أما إجرائيا فإننا حين نطلق لفظ التصوف في ثنايا هذا البحث فنحن نعني به:

"العلم الذي يهدف إلى تزكية النفوس، و صفاء القلوب، وإصلاح الأخلاق، و الوصول الى مرتبة الإحسان. و يمكن أن نطلق عليه اسم الجانب الروحي في الإسلام، أو الجانب الإحساني، أو الجانب الأخلاقي"².

3- النظام التعليمي: و المصطلح مكون من كلمتين : نظام و تعليم.

أ- النظام:

على الرغم من صعوبة تحديد تعريف موحد لمفهوم النظام ، إلا أن التعريفات تحمل في دالاتها بأن النظام هو : عبارة عن مجموعة من الأجزاء المتكاملة، أو مجموعة من الأجزاء ذات الخصائص المشتركة، أو مجموعة من العلاقات تؤدي إلى هدف مشترك.

- فيرى د. مصطفى متولي أن تعبير النظام يشير إلى أي مركب من عدد من الأجزاء المترابطة والمتفاعلة التي يختص كل جزء منها بوظيفة معينة مع وجود درجة من التعاون والتكامل بين تلك الأجزاء المختلفة في أدائها لوظائفها.³

- و يرى ماكس فيبر بأن التنظيم تنسيق غرضي مستمر لنشاط فرع مميز.⁴

¹ صلاح مؤيد العقبي، الطرق الصوفية و الزوايا بالجزائر، ط1، دار البصائر، الجزائر، 2008، ص9.

² عبد القادر عيسى، حقائق عن التصوف، ط1، دار العرفان، حلب ، سوريا، 2001، ص21.

³ رضا فجة، أداء العامل في التنظيم الصناعي، محاضرات في التنظيم والعمل، قسم علم الاجتماع، جامعة المسيلة، ص25.

⁴ طلعت إبراهيم لطفي، علم اجتماع التنظيم، دار غريب للطباعة و النشر و التوزيع، القاهرة، 2007، ص52.

- ويرى بكلي أن النظام " كل مركب من العناصر أو المكونات المرتبطة بطريقة مباشرة .
أو غير مباشرة . بشبكة من العلاقات السببية بحيث يرتبط كل مكون بعدد من المكونات
الأخرى بطريقة ثابتة ولفترة محدودة من الزمن " ، ويضيف أن "المكونات قد تكون بسيطة
وثابتة أو معقدة ومتغيرة، أما العلاقات بين المكونات فقد تكون علاقات خطية. أو
علاقات متشابكة"، ويعتقد بكلي أن مكونات النظم الآلية بسيطة وعلاقاتها محدودة
وخطية وثابتة، أما مكونات النظم الحيوية والاجتماعية فمعقدة، وعلاقتها سببية ومتغيرة
ومتشابكة.¹

-ويرى سلز: أن النظام هو المفهوم الذي يعود إلى العلاقات التبادلية بين مكونات النظام
والعمليات فيه من جهة، وبين النظام ككل وبين البيئة المحيطة به من جهة أخرى.²

و أما إجرائيا فإن المقصود بمصطلح التنظيم في هذا البحث هو:

"التنظيم وحدة اجتماعية، تقام وفقا لنموذج بنائي معين، لتحقيق أهدافا محددة"

ب- النظام التعليمي:

التربية و التعليم نظام متكامل، له أهدافه الخاصة، تعمل على تنمية قدرات
المواطنين وإمكانياتهم وإعدادهم في اتجاهات مرغوب فيها. و له مجموعة من النظم الفرعية
على مستويات متعددة، و هي نظام التعليم الأساسي، ونظام التعليم الثانوي ونظام الإدارة
التعليمية، ونظام التدريس و التقويم و إعداد المعلمين .

¹ طلعت إبراهيم لطفي، المرجع نفسه، ص 53.

² المرجع نفسه، ص 53 و ما بعدها، و هو تعريف بارسونز للتنظيم.

1-مدخلات النظام التعليمي:

يقصد بالمدخلات جميع الامكانيات المادية و البشرية المستدخلة أصلا من المحيط

البيئي للمدرسة و هي:

أ- التلاميذ :

يشكل التلاميذ أهم مدخلات النظام التعليمي، لأن تنميتهم هي هدفه الرئيسي، وتؤثر اتجاهاتهم وميولهم في العملية التعليمية إلى درجة كبيرة ، فضلا عن أنهم في النهاية يكوّنون المخرجات الرئيسية للنظام التعليمي باعتبارهم المادة الخام التي تشكّل لتكوين تلك المخرجات.

ب - المعلمون :

هم أكبر المدخلات بعد التلاميذ وأهمها في أي نظام تعليمي ، وهم يشكلون عموماً الطاقة البشرية المحركة للنشاطات العملية التعليمية في النظام التعليمي التي تتوقف فعاليته إلى حد كبير على مدى كفايتهم وفعاليتهم ، حيث تؤثر كفايات المعلمين وفعاليتهم على النظم التدريسية ونظم التقويم ، ويقوم المعلمون بمساعدة التلاميذ في الحصول على المعارف والمهارات والقيم اللازمة لهم كأفراد وكذلك كأعضاء في المجتمع والمتضمنة في محتوى مقرراتهم الدراسية ، كما يقع على هؤلاء المعلمين عبء قيادة عمليات التعليم والتعلم لهؤلاء الطلاب.¹

ج - الموارد البشرية :

تتضمن الأفراد والقوى العاملة لهيئات التدريس في المجالات المختلفة فأمناء المعامل والمختبرات وباقي أفراد الجهاز الفني والعاملين في الشؤون المالية والإدارية ، كذلك الموارد البشرية العاملة في مجالات الخدمات الإضافية مثل مجالات التغذية والرعاية الاجتماعية والنفسية والصحية (الأخصائي الاجتماعي ، والزائرة الصحية) ، وإلى حد كبير فإن نجاح تلك الفئات في

¹ عبد الله الرشدان، علم اجتماع التربية، دار الشروق للنشر و التوزيع، عمان ، الأردن، 2008، ص217.

عملها يتوقف عليها أداء المعلمين ومستوياتهم وكذلك المدخلات الأخرى ، وبالتالي يتوقف عليها مدى تحقيق النظام لمستوى الأداء المستهدف منه.¹

د - الموارد المالية :

تشكل واحداً من أهم مدخلات النظام التعليمي حيث توفر الجانب المهم من الموارد اللازمة لتوفير الأبنية المدرسية والمستلزمات للأنشطة التعليمية ، بالإضافة إلى رواتب وحوافز المعلمين وأجور العاملين في النظام التعليمي ، كذلك توفير الأجهزة التعليمية وصيانتها.²

5 - الإدارة التعليمية :

من أهم المدخلات للنظام التعليمي، الإدارة التعليمية التي ينبغي أن تكون إدارة واعية تمتلك مؤهلات قيادية وعلمية وتربوية عالية. كل ذلك بهدف توجيه النظام في المسار الصحيح، بحيث يتفاعل بشكل نشط مع الأنظمة الاجتماعية الأخرى تفاعلاً يحقق هدف المجتمع من أجل التقدم.³

7 - المناهج والمحتوى الدراسي :

تتضمن المحتوى التفصيلي للأهداف الموضوعية للنظام وهي التي يدور حولها النظام التدريسي كله داخل النظام التعليمي، ويتضمن هذا المدخل المقررات الدراسية وجميع الأنشطة التربوية المصاحبة لها ، إلى جانب الأساليب المستخدمة في تقويم كل جوانب المواقف التعليمية ونشاطاتها.⁴

8- البيئة المدرسية:

تعد المؤسسة التعليمية مكاناً للحياة ينبغي أن يعيش فيها التلميذ حياته العلمية، وأن يتفاعل فيها مع بيئته ليتعرف من خلالها على العالم ، ويكون لنفسه خبرات تساعد على تنشئته

¹ عبد الله بن عائض سالم الثبيتي، مرجع سابق، ص 123 - 124.

² المرجع نفسه، ص 124.

³ إحسان محمد الحسن، علم الاجتماع التربوي، ط1، دار وائل للنشر، الأردن، 2005.

⁴ إحسان محمد الحسن، المرجع نفسه، ص 25.

. وعلى هذا فالتلميذ في المؤسسة التعليمية هو الشخص الأهم الذي تدور حوله كل الأنشطة ،
وتتعاون التنظيمات والخطط لتجعل منه محورا لكل العمليات التربوي¹.

2.2- مخرجات العملية التربوية:

و تشمل جميع العطاءات المادية و المعنوية المنتجة من النظام المدرسي. و تتمثل في عدد
الطلاب المتخرجين و ما اكتسبوه من معارف و خبرات تعليمية و مهارات فنية و اتجاهات
اجتماعية.

5- الدراسات السابقة:

قبل الحديث عن الدراسات السابقة لا بد من التنبيه إلى أنه رغم الأهمية التي يكتسبها
موضوع الزوايا، و الدور الاجتماعي الذي قامت به طيلة الفترة الإستعمارية، و رغم الجدل
القائم الى اليوم في تقييم هذا الدور سلبا أو إيجابا ، إلا أن الباحث يلحظ ذلك الشح في
الدراسات العلمية الجادة ، ناهيك عن الندرة في المصادر التاريخية ، و كأن ما ينطبق على تاريخ
المغاربة من عزوف عن الكتابة لا زالت تبعاته تحكم العقل المغربي إلى اليوم . و إذا تعلق الأمر
بزواية الهامل، فإن الدراسات العلمية التي استهدفت تاريخها ومسيرتها العلمية و مواقفها التاريخية
لا ترقى كما و لا كيفا الى المستوى الذي تبوأته الزاوية، سواء على المستوى المحلي أو الخارجي .

و في هذا الصدد فقد تم رصد بعض الدراسات التي اهتمت بالزاوية . البعض منها
يلتقي مع موضوع بحثنا ، و البعض الآخر يتناول موضوعات ذات صلة بموضوع الدراسة .

1-الدراسة الأولى: دراسة عيسى بالقي، زاوية الهامل و دورها الثقافي والاجتماعي، رسالة لنيل
شهادة الماجستير في التاريخ الحديث و المعاصر، قسم التاريخ، كلية العلوم الانسانية، جامعة
الجزائر، 2001، إشراف ناصر الدين سعيدوني.

1.1-وصف الرسالة: الرسالة مكونة من مقدمة و مدخل تمهيدي و أربعة فصول و خاتمة.

¹ انظر :عبد الله بن عائض سالم الثبيتي، المرجع السابق، ص 111.

-**المدخل التمهيدي:** تطرق فيه الباحث الى مفهوم الزاوية و تطورها ببلاد المغرب، كما تطرق إلى أهم الطرق الصوفية الموجودة بالجزائر و اماكن انتشارها غداة الاحتلال الفرنسي.

-**الفصل الأول:** و خصصه الباحث للحديث عن الواقع الثقافي و الإجتماعي للشعب الجزائري إبان الفترة الإستعمارية. و ذلك لوضع الزاوية في اطارها الزماني و المكاني الذي تأسست فيه، كما تحدث عن الواقع التعليمي للجزائريين لما له من دور حيوي في الميدان الثقافي.

-**الفصل الثاني:** خصصه الباحث للحديث عن زاوية الهامل. من حيث الموقع الجغرافي و شخصية المؤسس، وكذا دوافع تأسيس الزاوية و الظروف التي صاحبته، مع التطرق الى الإنتماء الصوفي للزاوية و نظامها الداخلي. و المصادر المالية التي تعتمد عليها لتمويل نشاطها.

-**الفصل الثالث:** تم التطرق فيه الى الدور الثقافي الذي قامت به الزاوية من خلال نشاطها التعليمي. و قد قام الباحث بوصف التعليم في الزاوية بشقيه العام و الخاص و عدد الطلبة و أهم المواد المدرسة، و كذا المعلمين و النظام الداخلي و المرافق البيداغوجية، و محتويات المكتبة القاسمية.

-**الفصل الرابع:** خصصه الباحث للدور الإجتماعي للزاوية والانشطة التي كانت تقوم بها مبرزاً اثرها في كفالة الايتام و ايواء الفقراء و المساكين و الحفاظ على العادات و التقاليد.

-**الخاتمة:** لخص الباحث فيها اهم النتائج التي توصل اليها مبرزاً خصوصية الدور الثقافي و الإجتماعي الذي قامت به الزاوية خلال الفترة الدراسية.

2.1- منهج الدراسة:

اعتمد الباحث المنهج التاريخي التحليلي الذي يقوم على رصد الاحداث التاريخية و تحليلها تحليلاً موضوعياً.

3.1- مصادر الدراسة :

اعتمد الباحث في دراسته أساساً على ما كتبه بعض من زار الزاوية من الاوروبيين و الجزائريين. اضافة الى بعض اللقاءات التي اجراها مع القائمين على شؤون الزاوية ، أو بعض قدماء طلبتها و كذا الزيارات الميدانية التي قام بها الباحث للزاوية.

4.1- صعوبات الدراسة: يصرح الباحث أن قلة خبرته في مجال البحث مثل صعوبة بالنسبة إليه، بالإضافة إلى ندرة المراجع التي تناولت زاوية الهامل بنوع من التفصيل. و قد نبه الباحث إلى أنه ليس من مريدي الزاوية، و إنما هو "كالمحامي الذي يتولى الدفاع عن حزب سياسي دون أن يكون عضوا فيه".

5.1- أهداف الدراسة: لم يخصص الباحث عنوانا لأهداف الدراسة، و إنما صرح في المقدمة أن "دافعه وراء اختيار هذا الموضوع هم المساهمة في حل بعض الإشكاليات التي تطرح حول دور الزوايا خلال الفترة الاستعمارية الفرنسي للجزائر". و هو يحاول من خلال هذا الموضوع إبراز الدور الذي قامت به الزوايا و المساهمة التي قدمتها في إطار المحافظة على كيان المجتمع الجزائري و ثقافته.

6.1- سبب اختياره لزاوية الهامل كنموذج للدراسة : يؤكد الباحث على أنه اختار زاوية الهامل و ذلك لكونها نشأت في ظل الواقع الإستعماري، و استمرت في تأدية وظيفتها طيلة فترة تواجده. و كذلك الرغبة في التعريف بهذه الزاوية كونها معلما دينيا و ثقافيا.

7.1- الدراسات السابقة: لم يحدد الباحث دراسة سابقة لموضوعه . و تعتبر دراسته الأولى أكاديميا من حيث الموضوع و طريقة المعالجة.

8.1- نتائج الدراسة: خلص الباحث في نهاية بحثه إلى النتائج التالية:

1- إن أهمية الدور الذي قامت به الزاوية لا يتجلى إلا من خلال استعراض الظروف الاجتماعية و الاقتصادية و السياسية التي مر عاشها الشعب الجزائري بعد الغزو الإستعماري.

2- مثلت الزاوية نوعا من المقاومة الثقافية التي قام بها الشعب الجزائري للحفاظ على مقومات شخصيته الوطنية

3- المتتبع لظروف تأسيس الزاوية يلاحظ أن هناك رجالا مخلصين سخرُوا أنفسهم لخدمة و وطنهم، و لم يكن أثرهم ليظهر لولا التفاف الناس حولهم.

4- ساهمت الزاوية في سد الفراغ الذي كانت تعاني منه البلاد فيما يخص الإطارات المثقفة ثقافة عربية إسلامية.

5- كان لزاوية الهامل دور لا يستهان به في التمهيد لقيام النهضة الفكرية التي شهدتها الجزائر في مطلع القرن العشرين. و ما تلا ذلك من ظهور حركة إصلاحية نشيطة و ذلك من خلال مساهمة بعض خريجها في هذه النهضة

6- لم تقف الوسائل و الاساليب القديمة المعتمدة في الزاوية في طريق استمرارها في تأدية رسالتها.

7- كان النشاط الإجتماعي للزاوية يتم بالموازاة مع النشاط الثقافي. و قد وقفت الزاوية بذلك في وجه النشاط التبشيري .

8- وقف الشعب الجزائري إلى جانب الزاوية فقد كان تمويل كل نشاطاتها من أموال التبرعات و الوقف.

9- أبدت الزاوية صمودا في وجه القوانين الفرنسية . و استمرت في أعمالها الخيرية و الثقافية . و حافظت على نهجها رغم انحراف الكثير من الزوايا عن وظيفتها الأساسية.

9.1- البيبليوغرافية و مصادر المعلومات: شغلت دراسة الباحث أكثر من 180 صفحة اعتمد فيها الباحث على مجموعة من مصادر المعلومات و هي:

- المخطوطات العربية: مخطوطتان من تأليف علماء الزاوية و هما الزهر الباسم لمحمد بن الحاج محمد. و تحفة الأفاضل للديسي.

- الكتب العربية: 48 كتابا.

- الكتب بالفرنسية: 13 كتابا.

- الدوريات العربية: 9 دوريات.

- الدوريات بالفرنسية: 1

- المقابلات: 3 مقابلات مع شيخ الزاوية الراحل و شيخها الحالي و أمين مكتبتها.

- المراسلات: مراسلة واحدة مع أحد قدماء طلبة الزاوية الشيخ أبي القاسم جوبر.

- المحاضرات: 2.

- الملحقات : 16 ملحقا .

10.1- نقد الرسالة و وجه الاستفادة منها: تتنازع موضوع التعليم في الزوايا الكثير من التخصصات الإنسانية كعلم الاجتماع و التربية و التاريخ و لذلك يعتبر موضوعا عابرا للتخصصات ، و دراسة عيسى بالقي تشترك مع دراستنا الحالية في كونها تناولت الدور الثقافي لزاوية الهامل، الذي يعتبر التعليم جزءا منه، و لذلك فقد أفادتنا الدراسة في تحديد بعض جوانب الموضوع خاصة في شقه التاريخي ، و إن لم تقم-بحكم التخصص- بالتحليل العلمي للتعليم من حيث الأهداف و البرامج و الفلسفة التربوية التي تحكمه، إلا أنها قدمت الكثير حول الحقبة الزمنية التي نشأت فيها الزاوية.

2-الدراسة الثانية: وفاء بن علي: زاوية الهامل و علاقتها بالمقاومة الشعبية و الثورة التحريرية . مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث و المعاصر. المدرسة العليا للأساتذة. قسم التاريخ . بوزريعة. إشراف : الأستاذ: شاوش حباسي.

1.2- وصف الرسالة: الرسالة مكونة من مقدمة و ثلاثة فصول.

- الفصل الأول: زاوية الهامل الأصول و النشأة: و قسمته الباحثة إلى ثلاثة مباحث.

- المبحث الأول : الاصول الفكرية :

و فيه تطرقت الباحثة إلى تعريف التصوف و ظهور الطرق الصوفية، و خصصت الطريقة الرحمانية بشيء من التوسع.

- المبحث الثاني: و خصصته الباحثة للحديث عن زاوية الهامل، و تاريخ المنطقة و أهم خصائصها الاجتماعية و الجغرافية، ثم انتقلت للتعريف بمؤسس الزاوية ، و كذا العوامل التي

دفعته لتأسيس زاويته، كما تحدثت الباحثة عن تأسيس المعهد القاسمي و أهم أعلم الزاوية من الطلبة و العلماء و المتخرجين.

-الفصل الثاني: و قسمته الباحثة إلى أربعة مباحث.

- المبحث الأول: تعرضت فيه إلى علاقة زاوية الهامل بالمقاومات الشعبية، و استعرضت موقف الزوايا عموما من الاحتلال.

- المبحث الثاني: تطرقت فيه إلى دور الطريقة الرحمانية في مقاومة الاحتلال، مبررة أهم الثورة التي كان الإخوان الرحمانيون طرفا فيها.

- المبحث الثالث: و هو عن دور منطقة الهامل و بوسعادة في مقاومة الاحتلال، و كذلك علاقة الشيخ محمد بن أبي القاسم بالثورات الشعبية و بينت موقف الاحتلال منه .

-المبحث الرابع: و قد تطرقت الباحثة إلى علاقة الزاوية بآل الأمير عبد القادر، و موقف شيخ الزاوية من ثورة الأمير، و الأمر نفسه بالنسبة لثورة المقراني، و ثورة الشيخ الحداد.

-الفصل الثالث: و هو صلب البحث و خصصته الباحثة للحديث عن علاقة زاوية الهامل بالثورة التحريرية؛ مستعرضة تاريخ الولاية السادسة التاريخية، و المراسلات بين شيوخ الزاوية و قادة الثورة، وأبرز طلبة الزاوية ممن شاركوا في الثورة التحريرية.

2.2--منهج الدراسة: اعتمدت الباحثة المنهج الوصفي التحليلي حيث رجعت إلى المصادر الاساسية و شهادات الثقات ممن عاصروا فترة الدراسة، و جمعت المادة و قارنت و ناقشت للوصول إلى نتائج البحث.

2.3-أسباب اختيار الموضوع: اختارت الباحثة موضوع البحث للدواعي التالية:

*الرغبة الشخصية في خوض هذا النوع من المواضيع و ذلك للتخصص فيها.

*انتماء الباحثة للمنطقة و حبها لتاريخها الذي هو جزء من تاريخ الجزائر.

*توفر الوثائق و المعلومات

*ندرة الدراسات الأكاديمية حول الموضوع.

4.2-مصادر الدراسة : اعتمدت الباحثة على الوثائق و السجلات و التي وجدتها في مكتبة الزاوية أوفي المكتبات الخاصة لشيخ الزاوية ،وكذلك العديد من المؤلفات الأجنبية و الوطنية كما اعتمدت على المذكرات الشخصية و المعلومات التي حصلت عليها من المقابلات التي أجرتها مع بعض الشخصيات التي لها علاقة بالموضوع.

5.2-الدراسات السابقة: لم تتطرق الباحثة إلى أي دراسة سابقة. رغم أنها أثبتت دراسة عيسى بالقي: زاوية الهامل ودورها الثقافي و الإجتماعي، ضمن مصادر الدراسة.

6.2--نتائج الدراسة:

1- جمعت زاوية الهامل منذ تأسيسها بين العلم و العمل ؛ مما جعلها قبلة للعامة و الخاصة على مدار السنة يزورها تقديرا لجهودها و التماسا لخدماتها في الجوانب المتعددة .

2-قاومت الزاوية الضغوطات المفروضة عليها، و تغلبت على الصعوبات التي أحاطت بها .

3- لم يقتصر دور الزاوية على الجانب الإجتماعي أو الثقافي بل تعداه إلى المقاومة المسلحة، و مباركة الثورات الشعبية بشكل غير مباشر،و ذلك بحسب ما تقتضيه مصلحة البلاد.

4-مثلت زاوية الهامل طيلة العهد الإستعماري ما نسميه اليوم المجتمع المدني؛ فكانت دائما في خدمة الشعب الجزائري مدافعة عن مصالحه.

5- مثلت زاوية الهامل قاعدة خلفية لقادة الثورة التحريرية و مجاهديها ، و شارك الكثير من أبنائها في القتال مباشرة و سقطوا شهداء.¹

7.2- الببليوغرافية و مصادر المعلومات: شغلت دراسة الباحثة أكثر من 200 صفحة اعتمدت فيها على مجموعة من مصادر المعلومات و هي:

-الأرشيف :11 و وثيقة . شملت وثائق من مكتبة الزاوية . و تقارير السلطات الفرنسية.

¹ لاحظ الباحث أن بعض النتائج يمكن حصرها في عنصر واحد، و لذلك احتزلها في 5 عناصر بدل 9.

-الكتب باللغة العربية:65 كتابا.

- الكتب باللغة الاجنبية:14

-الدوريات و المجلات:12 مجلة.

- الرسائل الجامعية:3 رسائل.

- المقابلات: و شملت شيخ الزاوية الحالي . و مجموعة من مجاهدي المنطقة.

8.2- نقد الدراسة و الاستفادة منها:رغم أن دراسة وفاء بن عليّة تاريخية بحتة اهتمت ببناء الأحداث التاريخية و تسلسلها، محاولة تحليلها و استنباط النتائج منها، ورغم أنها لم تتعرض للتعليم في الزاوية إلا بشكل عرضي إلا أنها أفادت الباحث في إضاءة الكثير من النقاط التي لها علاقة بمراحل تأسيس الزاوية و علاقة السلطات الفرنسية بها، و كذلك المراحل التعليمية للشيخ المؤسس.

سادسا- منهج الدراسة و أدواتها:

1- المنهج التاريخي:

لما كان المنهج هو مجموعة الخطوات المنطقية المترابطة التي تهدف إلى الوصول إلى الحقيقة العلمية، وبما أن موضوع البحث هو الذي يحدد المنهج المتبع فإن الباحث رأى بأن يعالج موضوع بحثه وفق المنهج التاريخي، خاصة وأن البحث في جوهره استدعاء لظاهرة اجتماعية لم تعد موجودة الآن و يتم الاستعانة بالمصادر التاريخية لإعادة بنائها و استقصاء مختلف جوانبها ، محاولة لفهمها و التنبؤ ببعض تأثيراتها في المستقبل.¹

2- مصادر المعلومات:

اعتمد الباحث في جمع المادة العلمية على مصدرين أساسيين هما :

¹ انظر، رشيد زرواتي ، مناهج و أدوات البحث العلمي في العلوم الاجتماعية، ط1، دار الهدى ، عين مليلة، الجزائر، 2007، ص 107، بتصرف.

أ- الوثائق و السجلات: و قد جمعها الباحث من :

• المكتبة القاسمية الملحقه بزاوية الهامل، و التي يوجد بها الكثير من المخطوطات و الكتب التي خلفها تلاميذ الزاوية.

• السير الذاتية لأساتذة و علماء الزاوية ممن أرحوا للحياة العلمية و الثقافية في الفترة التي تأسست فيها الزاوية .

• وثائق المكتبات الخاصة لأبناء الزاوية ممن تخصصوا في جمع الكتب وكان لهم اهتمام بالنظام التعليمي في الزوايا.

• ما كتبه المؤرخون ممن زاروا الزاوية و كانت لهم ملاحظاتهم عن الدور العلمي الذي تقوم به.

• كتابات المؤلفين الغربيين و الذين أمضوا مدة في الزاوية و كانت لهم صلات وطيدة بشيوخها.

• تقارير الإدارة الفرنسية والتي كتبها ضباط الجيش الفرنسي عن الأدوار السياسية و الإجتماعية و الثقافية التي كانت الزاوية تقوم بها.

و قد اعتمد الباحث على أهمها و هي:

أ-رسالة المكي القاسمي حول التعليم في زاوية الهامل:وتعتبر أهم مرجع من مراجع البحث؛ إذ ذكر فيها المكي القاسمي قائمة الكتب التي كانت تدرس بالزاوية حسب العلوم، وكذلك طريقة التدريس، و وصف حلقة الدرس بشكل دقيق، و بين المكان الذي يجلس فيه المعلم و كيفية جلوس الطلبة و مراتبهم (النظارين ثم السباقين ثم الحجارين).

وقد وصف الشيخ مراتب الطلبة وقسمها إلى أربعة هم:الحجارون والسباقون و المعيدون المسائيون والنظارون،و حدد مدة الدراسة في الزاوية وكيفية انتقال الطالب من مستوى إلى آخر، و نظام العطل المدرسية، و تحدث عن التحديثات التي ينوي القائمون على

الزاوية إدخالها عليها لزيادة عدد الطلبة و كذا بعض عوائد الطلبة . و في الأخير أرخ لبعض الأحداث المتعلقة بشيخ الزاوية و بداية تأسيسها.¹

و قد وظف الباحث الرسالة في تحديد البرامج الدراسية بالزاوية و الكتب المقررة و مراتب الطلبة و كفاءات التدريس و مدة الدراسة و نظام العطل، و كذا العلاقات الإجتماعية التي كانت تربط الطلبة ببعضهم البعض أو بشيوخهم، وأخيرا المنهج التربوي الذي كان المعلمون يتبعونه لترغيب الطلبة في العلم.

ب- كتاب الزهر الباسم في ترجمة سيدي محمد بن أبي القاسم:

من تأليف محمد بن الحاج محمد، وهو ابن أخ المؤسس، و الشيخ الثاني للزاوية بعد السيدة زينب (بنت المؤسس)، و هو- من عنوانه- تأريخ حياة المؤسس. و قد قسمه مؤلفه إلى مجموعة من الفصول ذكر فيها نسبه الشريف وآباءه، ثم أرخ لميلاده و تعلمه القرآن الكريم و رحلته إلى زاوية على الطيار بالبيان، و توجهه بعدها إلى زاوية السعيد بن أبي داود وأخذه عن شيوخها، و دخوله الهامل و بدئه التدريس و اجتماع الطلبة عليه، و ذلك قبل ذهابه إلى زاوية أولاد جلال.

و في فصل آخر يتحدث عن رجوعه إلى الهامل بعد وفاة شيخ زاوية أولاد جلال و تأسيسه للزاوية الحالية، و عن مراحل بناء الزاوية ومرافقها والعلوم التي كانت تدرس بها، و كذا المشاريع الخيرية التي قام بإنشائها الشيخ المؤسس سواء في الهامل أو بوسعادة، وعن الخدمات المقدمة للطلبة و الفقراء و المساكين و الأيتام.

و في ثانيا الكتاب بعض من مرائي الشيخ (مناماته) والرسائل التي بعث بها إلى شيخه الشيخ المختار (الأجوبة) و قصائد قيلت في مدحه من بعض تلامذته و علماء عصره، و شرح لمقام المشيخة و بيان لسند الطريقة.²

¹ ملحق رقم (1)، حصل الباحث على أربع صفحات فقط من الرسالة، من محمد فؤاد القاسمي، و هي موجودة في مكتبة والده الحاج الخليل القاسمي، شيخ الزاوية الأسبق، و قد ضن أحد أحفاد الكاتب بالرسالة كاملة و رفض إظهارها.

² ملحق رقم (2)، طبع الكتاب بالمطبعة الرسمية، تونس، سنة 1308 هـ.

و الكتاب مصدر مهم في معرفة التعليم في الزاوية و بداياته الأولى و الكتب التي كانت تدرس و طرق التدريس و أهم المدرسين.

ج- رسالة الشيخ بنعزوز القاسمي: و فيها تحدث الشيخ عن شيوخه في الزاوية و الكتب التي درسها عليهم، و فيها تصوير لطريقة التدريس، وقد استفاد منها الباحث في تحديد قائمة الكتب التي كانت ضمن المنهاج الدراسي للزاوية.¹

د- خطاب التخرج :

وهو الخطاب الذي ألقاه الشيخ الحاج ابن السنوسي ابن عبد الرحمن الديسي (ت 1958م) بمناسبة تخرج الخليل القاسمي (ت 1994م) وأحمد ابن محمد بنعزوز القاسمي الحسني (ت 1983) وجلوسهما للتدريس عام 1948م.²

و الخطبة عبارة عن وصف لواحد من التقاليد العلمية التي كانت بالزاوية ؛ حيث يطلب من أحد الطلبة الذين أنخوا مساهمهم التعليمي العالي بإلقاء درس في الفقه أو اللغة، و يحضره العلماء، فإن نجح في ذلك أجازوه و اعتبروه عالما ، و إن فشل أخروه إلى السنة القادمة.

هـ-تقرير بعثت به المخابرات الفرنسية من طنجة سنة 1895هـ: تحذر فيه من العلاقات السرية التي تربط شيخ الزاوية مع علي بن خليفة ، و تبين أن نفوذه يمتد إلى دوائر سوق أهراس و تبسة و باتنة و بسكرة.³ وقد وظفه الباحث في الجانب التاريخي للزاوية، و هو يوضح حجم النفوذ الذي وصلت إليه الزاوية، وكذا العلاقات التي ربطها المؤسس مع قادة الثورات الشعبية.⁴

و-"اتفاقية العمل": التي عقدها مصطفى القاسمي ، شيخ الزاوية آنذاك ، مع محمد بن عمر الشريف معلم قرآن.⁵ و هي عبارة عن عقد عمل أصبح بموجبه محمد بن عمر موظفا

¹ ملحق رقم(4)، انظر: عبد المنعم، مرجع سابق، ص ص 394-395.

² ملحق رقم(3).

³ ملحق رقم(7).

⁴ انظر الفصل الرابع، التعريف بزاوية الهامل، من هذا البحث.

⁵ ملحق رقم (6).

بالزاوية ، و قد حددت الاتفاقية الوظائف التي يتولاها معلم القرآن و المرتب الذي يتقاضاه. و الوثيقة صورة حية عن الدور الذي يجب أن يلعبه المعلم في المدرسة؛ فهو لا يعلمهم القرآن فحسب ، بل يراقبهم طيلة اليوم و يحرص على حضورهم الصلوات الخمس و حلقات الذكر و يرافقهم في أوقات الأكل و الذهاب للنوم، و هو مسؤول عنهم و على سلامتهم خلال اليوم الدراسي.

ز- **أمر الباشا مصطفى:** و هو الأمر الذي أصدره مصطفى باشا حاكم الجزائر سنة 1149هـ¹، و بموجبه يعترف الحاكم العثماني لأشراف الهامل بالنسب الشريف و يضع عنهم المكوس و الضرائب. و قد وظف الباحث هذه الوثيقة للتدليل على المكانة الاجتماعية التي تمتعت بها العائلة القاسمية في العهد العثماني و بداية العهد الإستعماري، و ساعد ذلك الباحث في تفسير السكوت الفرنسي على تأسيس الزاوية وعدم وضع العراقيين أمامها.²

ك- **السفارة :** و هي القانون الداخلي للزاوية، و قد استقاه المؤسس من زاوية بن أبي داود بمنطقة القبائل. و الوثيقة مهمة جدا في تحديد القوانين الصارمة التي كانت تحكم الزاوية كمؤسسة تربوية، كما تعتبر مرجعا لمعرفة الفلسفة التربوية لمؤسسة الزاوية.³

هذا كله بالإضافة إلى الرسائل التي تبادلها الشيخ المؤسس مع الأمير عبد القادر و الشيخ الحداد و الشيخ المقراني. والتي تظهر جانبا مهما من تاريخ الزاوية و علاقتها بالمقاومات الشعبية.

ب- المقابلات:

و من أجل فهم أعمق للتعليم في الزاوية، و سبر أغوار الظاهرة عن قرب، و محاولة رسم صورة مكتملة عن الحياة الاجتماعية و العلمية في الزاوية ، قام الباحث بمجموعة من المقابلات شملت شيخ الزاوية الحالي الشيخ المأمون القاسمي، و أمين مكتبة الزاوية الحاج أبا الأنوار دحية⁴، و

¹ انظر الملحق رقم(8).

² أنظر، الفصل الخامس من هذا البحث، التعليم في الزاوية، ظروف النشأة و صعوبات التأسيس.

³ انظر : الملحق رقم(10).

⁴ استعان الباحث بأمين مكتبة الهامل، و هو خبير في المخطوطات، في تحديد نسبة المخطوطات إلى مؤلفيها.

مجموعة من معلمي طلبة الزاوية و هم :الحاج اخليف بو زيدي، إمام متقاعد ، و الحاج أبو القاسم جوير، معلم وإمام متقاعد ، والحاج محمد حرزلي، مترجم الزاوية و أحد طلبتها،و الحاج عبد القادر المنير، إمام مسجد الزاوية الحالي و أحد أقدم طلبتها.

سابعاً-حدود الدراسة:

أ-الإطار الجغرافي للدراسة:

تتناول هذه الدراسة التعليم في زاوية الهامل كنموذج للتعليم في الزوايا العلمية في الجزائر،و إذا تم التطرق إلى التعليم في غيرها من الزوايا فذلك للتشابه الموجود بينها ،و أما التطرق إلى التعليم في غير الزوايا العلمية كمدارس جمعية العلماء المسلمين أو غيرها ،فهو من قبيل المقارنة لتحديد أوجه الاختلاف و التشابه.

ب- الإطار الزمني:

تركز الدراسة أساسا على الفترة الممتدة من 1862 إلى 1962، أي مائة سنة من عمر الزاوية، و قد اختار الباحث دراسة هذه الفترة نظرا إلى أن الزاوية بعد الاستقلال عرفت تحولا نوعيا كبيرا تمثل في تأسيس المعهد القاسمي بتوصية من جبهة التحرير الوطني كمكافأة للزاوية على موقفها من ثورة التحرير¹،وقد عرفت المناهج و البرامج و الوسائل و طرق التدريس تحديثات عدة،و طبقت نظريات المدرسة الحديثة و قوانينها، و أصبحت الشهادات الممنوحة رسمية معترفا بها من طرف السلطات الإدارية الجزائرية، و مع ذلك بقيت الزاوية تؤدي دورها بمعزل عن المعهد القاسمي و لكن بوتيرة أقل.

¹ وفاء بن علي، مرجع سابق، ص60.

الفصل الثاني

في سوسيولوجيا التربية

تمهيد:

شغلت التربية حيزا كبيرا من الدراسات الاجتماعية والتربوية، وأصبحت في صدارة المواضيع المدروسة في علم اجتماع التربية ، خاصة بعد ان استقل عن علم الاجتماع العام ؛ فأصبحت له مواضيعه و نظرياته و مناهج البحث الخاصة به، وتطورت مفاهيمه تطورا جعل البحث التربوي لا يقتصر على تحليل التربية بقدر ما يجعلها في قلب اهتمامات الكثير من التخصصات العلمية. ولذلك أصبحت الظاهرة التربوية مزيجا من الثقافة والسياسة و الاقتصاد، ونتج عن ذلك تداخل كبير في مجالات الدراسة جعل من الصعب أحيانا وضع الحدود بين مجالات علم التربية و علم اجتماع التربية.

وستناول في هذا الفصل تعريف التربية و وظائفها الاجتماعية و أهم المداخل النظرية التي تناولتها والنظام التربوي و أسس تحليله والعلاقة بينه وبين النظم الاجتماعية الأخرى، مبينين الأساس النظري الذي تبناه الباحث كمدخى لتحديد مفهوم النظام التعليمي وطريقة تحليله.

أولا-تعريف التربية:

اختلفت و جهات النظر في تناول مصطلح التربية اختلافا جعل من الصعب الوصول إلى تعريف شامل للتربية. و يعود السبب في ذلك إلى أن الإنسان كائن معقد تتجاذبه الرغبات المادية و النوازع النفسية و القناعات العقلية، و هو يسعى إلى التأقلم مع البيئة التي يعيش فيها و يتفاعل معها ، محاولا التكيف مع الظروف المحيطة به، و لذلك كان إحداث أي تغيير في الشخصية الانسانية بجوانبها المختلفة نوعا من التربية يعتبر مجالا خصبا لكثير من الدراسات التربوية.وقد أعطى العلماء لمفهوم التربية تعريفات،اتفقت أحيانا و اختلفت أخرى و من أهمها:

أ-التربية عند علماء اللغة:

مهما اختلفت معاني التربية في اللغة فهي تدور حول النمو والكمال و الزيادة .والتربية لغة: هي السير بالشيء حتى يبلغ كماله، في عملية مستمرة و محددة و دائمة.

و إذا تعلق الأمر بالإنسان ككائن حي ،فهو من جهة وحدة واحدة،و من جهة أخرى كل معقد من الرغبات و النزعات و الاستعدادات الفطرية و الاشباع الجسدي ، تسعى التربية إلى تلبيتها و تهذيبها و العمل على صهرها لتتكامل فيما بينها ، لتحقيق الكمال النفسي و الجسدي.¹

ب-التربية عند علماء الأحياء: يرى علماء الأحياء أن الانسان عبارة عن عضوية معقدة تسعى إلى التناسق فيما بينها، من أجل نمو الجسم و تلاؤمه مع الظروف المحيطة به؛ إذ أن أساس البقاء هو التكيف ،وهو يرجع إلى القدرة التامة على التلاؤم بين الظروف الداخلية للعضوية وبين الظروف الخارجية،والتربية هي العملية التي تؤمن هذا التكيف؛أي أن التربية تهدف إلى التوفيق بين الرغبات الفطرية للإنسان و بين الظروف التي قد تقهره عن إشباع هذه الرغبات، في عملية الغاية منها الوصول بالإنسان إلى الكمال العقلي و النفسي و الجسدي.²

ج-التربية عند جون ديوي: يرى جون ديوي أن "الحياة في أصل طبيعتها تسعى إلى دوام وجودها،و لما كان الدوام لا يتم إلا بتجدد مستمر فهي إذن عملية التجدد بذاتها"³ و التربية بالنسبة له هي العملية المتجددة التي ينقل جيل-بواسطتها- ثقافته إلى جيل آخر، فالجيل الأول ميت و الثاني قائم، و هو في حاجة إلى الثقافة الانسانية ليضمن عملية التجدد التي هي جوهر الحياة.

د- التربية عند جون ستيوارت ميل:

و هو يذهب إلى أن التربية هي كل ما نفعله نحن من أجل أنفسنا وكل ما يفعله الآخرون من أجلنا،حين تكون الغاية تقريب أنفسنا من كمال طبيعتنا⁴.وهو هنا يشير إلى

¹ عبد الله الرشدان، مرجع سابق،ص24.

² صالح عبد العزيز،عبد العزيز عبد المجيد: التربية و طرق التدريس ،دار المعارف،ط1،مصر،1971،ج1،ص20 و ما بعدها.

³ عبد الله الرشدان، مرجع سابق، ص25.

⁴ محمد ناصر، الفكر التربوي،ط2،وكالة المطبوعات، الكويت،1977، ص 62.

العمليات المختلفة التي يقوم بها غيرها، سواء باندفاعهم الفطري أو وعيا منهم بأدوارهم الاجتماعية، من أجل الوصول بنا إلى ما يعتقدونه الكمال. وفي الوقت نفسه ما نقوم به نحن اتجاه التطوير المستمر لقدراتنا العقلية والنفسية والجسدية، وصولاً إلى التطور و التميز والكمال.

هـ- التربية عند إميل دوركايم:

هدف التربية عند دوركايم هو التطبيع الاجتماعي للأجيال القادمة للتخلص من نزعاتها الفردية و رغباتها الذاتية، لكي يصبحوا أعضاء صالحين منتجين في حياتهم الاجتماعية. و لذلك يولد الفرد في المجتمع و هو لا يعرف الكثير عن العالم المحيط به، والمجتمع هو الذي يزوده بجملة المعارف التي من بينها اللغة و التقاليد و القيم وقواعد السلوك الاجتماعي. والتربية هي الوسيلة الناجعة لتحقيق كل ذلك، فهي إضافة إلى الكم الهائل الذي تمد به الفرد في كل مراحل حياته، تعمل على إيجاد قاعدة مشتركة من الأفكار و العادات والقيم و السلوكات التي على الأفراد الالتزام بها ليستطيعوا تلبية حاجاتهم النفسية و الاجتماعية.¹

و- التربية عند ابن خلدون:

يرى ابن خلدون أن الانسان يختلف عن الحيوان بالفكر والعقل ويشاركه في الحس و الحركة و الغذاء، وهذا الفكر هو الذي يبعث على التأمل و الاستقراء و البحث في التراث الانساني، وهو الوسيلة للوصول إلى الحضارة التي هي هدف العمران البشري.

و هو يعتبر العلم صنعة من الصنائع التي تتطور بتطور المجتمع واستقراره و تتأخر بتأخره و لذلك لم تتطور العلوم في المجتمعات التي يكثر تنقلها بحثاً عن الماء و الكلاً، والتربية بالنسبة له تدريب للطفل على المهن السائدة في المجتمع بالإضافة إلى العلوم العقلية و النقلية التي يتلقاها.²

و الذي يمكن استخلاصه من التعريفات المختلفة من التربية هو ³:

¹ عبد الباسط عبد المعطي، إتجاهات نظرية في علم الاجتماع، د. ط، من إصدارات المجلس الأعلى للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1981، ص78.

² محمد ناصر، مرجع سابق، ص78.

³ عبد الله الرشيدان، مرجع سابق، ص27.

أ- التربية عمل يخص النوع الإنساني، والحديث عن تربية الحيوانات والنباتات لا يشمل المعنى المقصود منها في العلوم الانسانية.

ب- التربية عملية تفاعل بين الفرد و المجتمع، ومهما بدا بأن التربية تحدث في اتجاه واحد فإن الفرد يقوم بالتحليل و التركيب للمعارف التي يتلقاها .

ج- التربية عملية قصدية وليست عشوائية، فالراشدون يسعون لتربية القصر على السلوك الإجتماعي و توجيههم و إمدادهم بالخبرات التي تلقوها من الجيل الذي قبلهم.

د- تلعب الظروف المحيط بعملية التربية دورا أساسيا في تسهيلها أو إعاقته، وبالتالي تعتبر عملية تهيئة الظروف شرطا أساسيا في نجاح العملية التربوية .

هـ- تتعدى التربية حدود المدرسة، ليصبح البيت والمسجد ومجموعات الرفاق والإعلام و مؤسسات المجتمع جميعها حقلا من حقول التربية.

ثانيا: وظائف التربية:

إذا كانت التربية هي عملية التجدد المستمر للحفاظ على النوع البشري و استمراره، فإنها تهدف إلى :

أ- **نقل التراث الثقافي:** تسعى المجتمعات عن طريق التربية إلى نقل الثقافة من جيل إلى جيل. و يقوم كل جيل بالزيادة و الحذف و التقويم لهذه الثقافة، في عملية مستمرة يعتمد عليها الوجود الانساني، تنتقل بواسطتها المثل العليا والمعايير والرموز والإشارات وكل ما يرغب المجتمع في تنشئة الفرد عليه.¹

ب- **التطبيع الإجتماعي:** و المقصود به تحويل الفرد من كائن بيولوجي إلى كائن اجتماعي؛ يكتسب كل المقومات النفسية و الإجتماعية لمجتمعه ويلعب أدوارا اجتماعية ضمن النسيج الإجتماعي لهذا المجتمع.²

¹ عبد الرزاق أمقران، في سوسيولوجيا المجتمع، ط1، المكتبة العصرية، مصر، 2009، ص4.

² عبد الله الثبيتي، مرجع سابق، ص257.

ج-تحقيق النمو الشامل:

أثار دور التربية و التعليم في بناء المجتمع جدلا كبيرا بين المختصين، حيث يرى البعض أن التربية قادرة على صناعة المجتمع، و بمعنى أدق فإنه بقدر ما تكون التربية يكون المجتمع، وبالتالي فالسبب الحقيقي لتطور المجتمعات الإنسانية و ازدهارها يكمن في آليات التربية وأساليبها وطرائقها و كيفية العمل بها، بينما يرى آخرون بأن التربية من صنع المجتمع نفسه وليست صناعة له؛ فهي بمثابة النتيجة وليست السبب. فالتربية لا تصنع المجتمعات بقدر ما تُصنع في شكلها و آلياتها و أهدافها من قبل المجتمع نفسه.

د-اكتساب الخبرات الاجتماعية:

تهدف التربية إلى تدريب الفرد على مواجهة الحياة الاجتماعية ولعب دور فيها .وبالتالي فهو سيقوم علاقات اجتماعية مع غيره أساسها التبادلية في الحقوق و الواجبات، و هو ما يعود عليه بالنفع سواء في تحقيق ذاته و تميزه أو في استقراره الأسري أو الاجتماعي.

و الفرد لا يمكن أن يساهم في مجتمعه إلا بانتمائه إلى مجموعة من الأفراد الذين يربطهم هدف مشترك، يتفاعلون فيما بينهم لتلبية رغباتهم النفسية و الاجتماعية و المادية، و لا يحدث ذلك دون عملية التطبيع الاجتماعي التي تقوم بها المؤسسة التربوية.

بالإضافة إلى ذلك فإن التطبيع الاجتماعي كما تساعد في الاندماج السلس للفرد في المجتمع، فإنها تساعد في إحساسه بالطمأنينة التي توفر له بيئة اجتماعية آمنة تنمي الإيجابية في تعامله مع الغير.¹

هـ- الضبط الاجتماعي:

تلعب التربية دورا مهما في توجيه السلوك الانساني؛ فالمجتمع الذي يمد الفرد بالقيم و التقاليد و المعايير التي عليه أن يلتزم بها يقوم بالمقابل بتقييم سلوكه و تحديد مدى توافقه مع السلوك الاجتماعي العام، ولذلك تعتمد مؤسسات التربية بدءا بالبيت ومرورا بالمدرسة و انتهاء بكل

¹ علي الطراح، "النشئة الاجتماعية وقيم الذكورة في المجتمع الكويتي"، مجلة العلوم الاجتماعية، الكويت، 2000، المجلد 28،

العدد 2، ص 70-94.

مؤسسات المجتمع، بالمراقبة و التوجيه و التنبيه على المخالفات التي يرتكبها الفرد و تكون مخالفة لقيم المجتمع و معاييرها، فعملية الضبط الإجتماعي لها وجهان : الأول يعمل على ترسيخ قيم و معايير المجتمع في شخصية الفرد و الثاني يعمل على متابعة التطبيق العملي لهذه القيم في الممارسة اليومية للفرد.¹

و- هضم التقاليد الاجتماعية:

تستوعب التربية القيم و المعايير الاجتماعية و تعمل على إدراجها في برامجها. ولا يحدث ذلك دون تهذيب و تقييم و تحوير تقوم به التربية لضمان التطور الاجتماعي، خوف انغلاق المجتمع على نفسه و عدم مواكبته للتطورات في العالم من حوله. فالقيم الاجتماعية وإن كانت تمثل خبرة المجتمع لقرون مضت هي قابلة للتغير و ليست جامدة خاصة إذا أثبتت التجربة ذلك.

إذن فمهمة التربية هي الحفاظ على القيم الاجتماعية و تقريبها للفرد والبحث عن أنجع الطرق لغرسها في صميم شخصيته.²

ز-إنشاء نماذج اجتماعية جديدة:

لم تعد التربية الحديثة تهتم بمجرد لعب الوسيط بين المجتمع و الفرد ، بل تعدى دورها إلى محاولة إنشاء أنماط اجتماعية جديدة تتماشى والطبيعة الإنسانية في التجدد والتغير و الاستمرار. ولذلك تسعى التربية الحديثة إلى ترسيخ عادات جديدة تتعلق بطرق الغذاء السليمة، ونشر ثقافة المحافظة على البيئة وترشيد طرق استهلاك الطاقة. بالإضافة إلى نشر ثقافة السلم و الحوار بين أفراد المجتمع و محاربة أنواع التمييز العنصري و العنف الاجتماعي. و كل ذلك قيم جديدة تعمل التربية بواسطة برامجها على بثها في المجتمع دون التخلي على القيم العامة السائدة في المجتمع.³

¹ محمد الهادي عفيفي، وآخرون، التربية ومشكلات المجتمع، المكتبة الانجلو-مصرية، القاهرة، 1972، ص54.

² مصطفى الحشاش، دراسات في الاجتماع العائلي، دار النهضة العربية، القاهرة، 1981، ص140.

³ فوزية ذياب، القيم و العادات الاجتماعية، القاهرة، دار المعارف، مصر، د.ت، ص137.

ك-الإبداع في الفكر و السلوك:

ارتبط مفهوم الإبداع تاريخيا بالأعمال الخارقة التي تفتن بالغموض و تستعصي على التفسير حتى من قبل أولئك الذين أتوا بها، و لازال الإبداع و المفاهيم الخاطئة المرتبطة به محالا خصبا للدراسات الإنسانية سواء تلك التي ترى فيه نشاطا ذهنيا متميزا تحفزه عدة عوامل شخصية و أسرية و مجتمعية.¹

و لهذا ينبغي على التربية أن تتجاوز مرحلة الحفظ و التجديد إلى مرحلة الإنشاء و التطوير و الإبداع في الفكر و السلوك، لضمان قوة المجتمع في المجالات العلمية و التكنولوجية و الحديثة.²

ثالثا: أهمية التربية:

اكتست التربية أهمية خاصة في المجتمعات الحديثة، ولم تعد مجرد عملية نقل الثقافة من جيل إلى آخر أو المحافظة على سيورة الحياة الاجتماعية، بل تعدتها إلى كونها نسقا اجتماعيا يساهم بفعالية في تنمية و ترقية كل جوانب المجتمع. و تبدو أهمية التربية في :

أ-أصبحت التربية استراتيجية قومية كبرى لكل الشعوب وأصبحت لا تقل أهمية عن الأمن أو الغذاء.وتحول اهتمام الشعوب من الاستثمار المادي إلى تنمية الموارد البشرية واعتبار الإنسان رأس المال الأساسي لأي تطور أو تقدم تصبو إليه.³

ب-التربية عامل مهم في التنمية الاقتصادية للشعوب، فقد أثبتت الدراسات العلمية العلاقة بين المستوى الاقتصادي للدول و مستوى نظامها التربوي، و اعتمدت المصانع الحديثة استراتيجيات تربوية تعتمد على التكوين المتواصل و التأهيل العلمي لزيادة إنتاجها. و ظهر علم

¹ عوني معين شاهين،حنان فاضل زايد،الإبداع،ط1،دار الشروق، الأردن،2009،ص21.

² عبد الله بن عائض الثبيتي، مرجع سابق، ص228.

³ محمد منير مرسى،أصول التربية الثقافية و الفلسفية، عالم الكتب، القاهرة، 1974، ص68.

اقتصاديات التربية ليسبرهن على التلازم بين تطوير التربية والزيادة في النمو الاقتصادي،
و أصبحت الدول تخصص ميزانيات ضخمة للنظام التربوي أكبر مما تخصصه للدفاع أو الغذاء.¹

ج- التربية عامل مهم في التنمية الاجتماعية: للتربية دور مهم في ترسيخ مفاهيم المواطنة و الحوار و السلم الاجتماعي و هي الوسيلة لمعرفة الحقوق والواجبات وتحمل المسؤوليات ، و تكوين قاعدة مشتركة بين الأفراد الذين يتفاعلون فيما بينهم ، كل حسب الدور الذي يلعبه في المجتمع مع ما يفرضه عليه هذا الدور من حقوق و ما يفرضه عليه من واجبات.

د- التربية ضرورية لإرساء الديمقراطية الصحيحة:

ذلك أن الحرية مرتبطة بالتعلم، و الإنسان كلما زاد مستواه العلمي اتسعت مداركه و زادت حاجته إلى مجال أوسع من الحرية لإثبات ذاته و تحقيق رغباته دون عائق. ولذلك تعمل التربية على تنشئة الفرد على قيم حقوق الإنسان في العيش والتعبير و الممارسة السياسية و المدنية و التنقل و الملكية ، يتساوى في ذلك كل الناس، دون اعتبار للدين أو اللون أو الجنس. فإذا تربى الفرد على ذلك سهل عليه تقبل آراء الآخرين، و استمات في الدفاع عن حرية الرأي، وقبل التداول على مناصب المسؤولية في الدولة. و هذه هي الأسس الحقيقية للديمقراطية.²

هـ- التربية ضرورة للتماسك الاجتماعي والوحدة القومية والوطنية: فالتربية عامل مهم في توحيد الاتجاهات النفسية و الدينية و الفكرية و الثقافية لدى أفراد المجتمع. و هي بهذا تساعدهم في خلق وحدة فكرية تساعدهم على التفاعل ، و تؤدي إلى ترابطهم و تماسكهم.³

- التربية هامل مهم في إحداث الحراك الاجتماعي: ويقصد بالحراك الاجتماعي أو التنقل الاجتماعي ترقى الأفراد و تقدمهم في السلم الاجتماعي. و قد ينتقل الفرد من جماعة اجتماعية إلى أخرى لها المستوى نفسه أو ينتقل إلى جماعة مختلفة تفوق جماعته من حيث المستوى

¹ عبد الله الرشدان، مرجع سابق، ص44.

² المرجع نفسه، ص44.

³ معن خليل العمر، التفكير الاجتماعي، ط1، دار الشروق، الأردن، 2005، ص 74.

الإجتماعي. و تبقى التربية عاملا مساعدا على تحسين الفرد لمستواه الثقافي و العلمي و بالتالي الإجتماعي. و سواء كان هذا الحراك بسبب التغير الإجتماعي أو اتساع مساحة التقارب بين أفراد المجتمع، أو كان بسبب العمل الذي يقوم به الفرد، فإن التربية في كل ذلك تسهل وتساعد و توجه هذا الانتقال.¹

رابعاً: المداخل النظرية في علم اجتماع التربية:

تعمل النظرية على توجيه الباحث لفهم الواقع و تفسيره و تشخيصه، و هي منظومة من القواعد التي تساعد الباحث في صياغة المفاهيم و التصورات النظرية و الإجرائية، كما تساعد في تحديد نوعية الإستراتيجيات المنهجية و الأدوات الملائمة لجمع البيانات و المعلومات المطلوبة لموضوع الدراسة.

و تعتبر النظرية منطلق كل باحث للتعامل مع أي بحث في إطار نظرة شاملة تحدد طبيعة أبعاد الموضوع و كيفية فهمه و التعامل معه من ناحية إجرائية. ذلك أن كل علم إذا لم يبن على تصورات نظرية تشتق من الواقع و تعمل على تفسيره لا يستطيع التعامل مع موضوعاته بروح منهجية علمية.²

1. النظرية البنائية الوظيفية: (Functional Structuralism):

استعار الكثير من علماء اجتماع التربية مفهوم النظرية البنائية الوظيفية من علم الاجتماع العام لتوجيه أعمالهم البحثية في مجال التربية و التعليم. و رغم ما يوجه إلى النظرية من المبالغة في المماثلة بين الكائن الحي و البناء الإجتماعي، وإهمالها لدور الفرد في التأثير في عملية التربية وغيرها مما تنتقد به النظرية، إلا أنها اعتبرت من أهم المداخل النظرية التي تناولت التربية ووظيفتها في المجتمع.

¹ محمد لبيب النجيجي، الأسس الإجتماعية للتربية، المكتبة الانجلو -مصرية، القاهرة، 1976، ص246.

² محمد علي محمد، مقدمة في البحث الإجتماعي، دار النهضة العربية، بيروت، 1983، ص23.

و تعتبر النظرية الوظيفية أن التربية وسيلة للتنشئة الاجتماعية بمعنى نقل الثقافة من جيل إلى آخر، ويتحدد المستوى الاجتماعي للأفراد بقدر تحصيلهم العلمي، وتعتبر التربية قاطرة التنمية. وبناء على التشابه الحاصل بين النظم المكونة للكائن الحي و تلك المكونة للمجتمع، فإن التربية نسق اجتماعي يتكون مجموعة وحدات متميزة و متكاملة تعمل معا لتحقيق أهدافها في المجتمع لضمان بقاءه و استقراره الاجتماعي¹. وعلى هذا فإن ما يحكم التحليل الوظيفي للتربية يمكن تلخيصه فيما يلي:

- 1- تعتبر التربية نسقا اجتماعيا أو نظاما مكونا من مجموعة أجزاء متميزة و متكاملة من حيث أداؤها الوظيفي.
- 2- يقوم أي نسق التربوي على احتياجات أساسية لا بد من توفرها لاستمراره و استقراره.
- 3- يعتمد النسق التربوي كوحدة على حالة التوازن كشرط أساسي لبقائه.
- 4- يحمل النسق التربوي الأجزاء التي لا تحقق الهدف الوظيفي المطلوب منها اجتماعيا.
- 5- تتحقق في العادة حاجات وأهداف النسق التربوي بعدة بدائل ممكنة في الحياة الاجتماعية.
- 6- تكمن وحدة تحليل النسق في نوع النشاط المتكرر و الناتج عنه.²

1.1- أهداف التحليل البنائي الوظيفي للتربية:

يكمن التحليل البنائي الوظيفي للنظام التربوي في أربع نقاط أساسية:³

- 1- التعرف على طبيعة الأحكام و الضوابط و القوانين التي تحكم الأفراد العاملين في المؤسسات التربوية، و مدى تلبيتها لمتطلباتهم مما يوجه طاقاتهم لخدمة النظام بدل العمل ضده.

¹ عبد الله الرشيدان، مرجع سابق، ص112.

² أحمد سمير نعيم، النظرية في علم الاجتماع، ط2، دار المعارف، القاهرة، 1982، ص 189، بتصرف.

³ إحسان محمد الحسن، مرجع سابق، ص70.

2- معرفة عناصر القوة و الضعف في النظام. ويشمل ذلك العلاقات الانسانية بين المعلم و التلميذ، و بين الإدارة و المعلمين، وكذلك المناهج و الكتب و طرق التدريس. فيعمل الباحث على الحفاظ على عناصر القوة و يتفادى نقاط الضعف مستقبلا.

3- يمكن تحليل المؤسسة التربوية تحليلا بنائيا وظيفيا من الإطلاع على الأسباب التي تكمن وراء جمود المؤسسة أو دينامييتها، و يجب البحث في القوانين واللوائح والمناهج و طرق التدريس والبناء الإجتماعي و التنظيم غير الرسمي للمؤسسة بهدف تحديد الأسباب التي أدت إلى جمودها و عدم تفاعلها مع البيئة المحيطة بها أو مع غيرها من المؤسسات الأخرى.

4- معرفة الأشكال المختلفة للتفاعلات الإجتماعية التي توجد في المؤسسة التربوية والتي تكون طبيعة حياتها الإجتماعية. فهناك علاقات بين الأدوار الرئاسية والمرؤوسية، وهناك العلاقات المركزية و اللامركزية، وهناك العلاقات المركزية واللامركزية، و هناك العلاقات الصراعية و التوافقية، وهناك العلاقات الموضوعية والذاتية وأخيرا هناك العلاقات التعاونية و التنافسية.

2.1-نقد النظرية البنائية الوظيفية:

و رغم المكانة التي تبوأها النظرية الوظيفية و هيمنتها على البحوث الإجتماعية لفترة طويلة فإن انتقادات كثيرة وجهت إليها جعلتها قاصرة عن تفسير الظاهرة التربوية و منها¹:

1-اعتبارها النظم الإجتماعية-بما فيها التربية-كيانات قائمة بذاتها لها عقل وإرادة، وهذه نظرة مثالية.

2-المبالغة في دور التكنولوجيا و التقليل من دور الصراع الثقافي و الايديولوجي.

3- التأكيد على عملية الاختبار و التدريب التقني في المدرسة و إهمال مضمون عملية التربية بصورة عامة و التعليم بصورة خاصة.

¹ بسامة خالد المسلم، مقدمة في البحث التربوي، دار الكتاب الجامعي، القاهرة، 1996، ص 68.

4- المبالغة في درجة الاهتمام باستقرار ووحدة و انسجام النظم الإجتماعية مع تجاهل عنصر التناقض و الصراع داخل النظم الإجتماعية نفسها.

2-4. نظرية الصراع: (Conflict Theory):

تقع نظرية الصراع على النقيض من النظرية الوظيفية، ومعنى ذلك أن مفاهيم المحاكاة والتساند الوظيفي والاستقرار ليس لها في هذه النظرية مجال، وحلت محلها مصطلحات من أهمها الصراع و الأستغلال و الطبقة و التمايز الإجتماعي.

وتنظر نظرية الصراع إلى التربية على أنها مظهر من مظاهر الجدلية المادية والجدلية التاريخية. وأن المجتمع ليس إلا مجموعة من المصالح الشخصية المتباينة و المتصارعة، مما يدعو بعض أفراد المجتمع إلى امتلاك نوع من السلطة لتتحول تدريجيا إلى طبقة مستغلة و يتحول الآخرون إلى طبقة مستغلة.

و لكي تحكم الطبقة البورجوازية نفسها و تحافظ على الشكل العام للمجتمع ، فإنها تلجأ إلى التربية كوسيلة لترسيخ التمايز الطبقي في المجتمع. و بالتالي فإن المدرسة في النظام الرأسمالي تعيد إنتاج المجتمع الطبقي، و تكرر سيطرته على المجتمع. وهي لا تحقق الديمقراطية في التعليم و لا تعطي للطفل الفرصة للدراسة كأبناء الطبقة البورجوازية.

و توجه نظرية الصراع انتقادات للتربية في النظام الرأسمالي من أهمها¹:

- أن النظام التربوي في الدول الرأسمالية برز كحقيقة اجتماعية من خلال تطور الرأسمالية و كنتيجة حتمية لها، ولهذا فإن تركيبة النظم التعليمية والتربوية لا تخرج عن تركيبة و فلسفة النظام الرأسمالي في بنيتها و في سياستها و صياغة أهدافها.

- سُخِرت المؤسسات التربوية لتلبية متطلبات الرأسمالية من القوى الماهرة التي لم تعد المؤسسات التقليدية قادرة على توفيرها، و لذلك أصبح التعليم النظامي مرتبطا بالاحتياجات

¹ عبد الله سالم الشبيبي، مرجع سابق، ص 103-104

الأساسية من القوى العاملة في مجال سوق العمل، وأصبحت البرامج الدراسية في المدارس و المعاهد و الجامعات تسخر لتلبية الاحتياجات من القوى البشرية الماهرة.

- بالغت في توجيه النظم التعليمية توجيهها مهنيًا و اقتصاديًا لخدمة أغراض الرأسمالية و تلبية احتياجاتها، مما صاحبه تناقص في عدم الحماس والاهتمام بغرس القيم و المثل العليا للأسرة و الجوار و أهمية المؤسسات الدينية، و هو ما قلل من تأثيرها في المجتمع.

- يخدم التعليم العام بصفة رئيسية الطبقة الرأسمالية، عن طريق تزويدهم بالمهارات المدرية، وغرس القيم المتعلقة بالعمل و المسؤولية، و تعزيز الولاء للدولة والقانون و لأصحاب السلطة و النفوذ، و لخدمة الشركات الكبرى و المؤسسات العامة للإنتاج.

- يعزز النظام التربوي الفوارق بين أفراد المجتمع ويعمل على تعزيزها وتوجيهها و استغلالها لخدمة طبيعة التدرج الطبقي في المجتمع.

3.4- النظرية التفاعلية الرمزية: (Symbolic interactionalism)

اهتمت النظرية التفاعلية الرمزية بتحليل الوحدات الصغرى في النظام التعليمي، بخلاف النظريات الكلاسيكية التي اهتمت بتحليل الوحدات الكبرى. و تقوم فكرة هذه النظرية على دراسة الطرق التي يستطيع الفرد من خلالها بناء تصور و فهم دقيق عن ذاته و عن عالمه الاجتماعي المحيط به؛ من خلال عملية التفاعل الرمزي في المواقف الاجتماعية تبعًا لطبيعة فهم العلاقة الحقيقية بين الرموز و ما تعنيه من معان للمتفاعلين في المواقف الاجتماعية.¹

و قد لخص هيربرت بلومر (Hurbert Blumer) مسلمات النظرية التفاعلية في النقاط التالية:

أ- إن جميع الكائنات الانسانية تتجه و تتصرف نحو الأشياء على ضوء ما تنطوي عليه تلك الأشياء من معان ظاهرة.

¹ بسامة خالد المسلم، علم اجتماع التربية و التنمية، دار ذات السلاسل، الكويت، 1996، ص42.

ب- إن هذه المعاني تتشكل نتيجة التفاعل الاجتماعي في المواقف التي يوجد الفرد فيها، فهي إنتاج اجتماعي بالدرجة الأولى.

ج- إن هذه المعاني تتشكل و تتعدد من خلال عماية التفسير و التأويل التي يستخدمها كل فرد في تعامله مع الرموز التي تواجهه في المواقف الاجتماعية.

و قد ظهرت الكثير من الدراسات التي اهتمت بدراسة آلية التفاعل داخل الحجرة الدراسية و مدى تأثيرها في تشكيل ملامح الشخصية الاجتماعية للطفل.¹

4.4- نظرية التربية و التغيير الاجتماعي:

يؤكد علماء هذه النظرية أن التربية وسيلة أساسية للتغيير الاجتماعي جاءت وظيفتها اجتماعيا كنتيجة حتمية لوضع الاختلافات الكبيرة بين المجتمعات في اللغة و العادات و التقاليد والأنماط الثقافية وفي السياسة العامة والاعتقادات الخاصة التي تميز كل جماعة اجتماعية عن الأخرى.

وكما تلعب التربية دور المحفز على التغيير نحو الأحسن فقد تكون وسيلة للتخلف ،وذلك حين تسخر لطبع المجتمع بطابع الاستهلاك للأفكار والعادات الوافدة ،ونشر ثقافة السلبية والقابلية للتقليد. وسواء كان التغيير على المستوى الفكري أو الاقتصادي أو السياسي، فإن التربية تحتل مكانة خاصة ضمن وسائل التغيير الاجتماعي الأخرى. و إذا كان التوازن في عملية التغيير الاجتماعي مهما بين ماهو مادي وما هو معنوي، فإن التغيير المادي عادة ما يسبق التغيير في الجوانب الفكرية ، و بالتالي يأتي دور التربية لإيجاد نوع من التوازي بين نوعي التغيير في المجتمع.²

5.4- النظرية الأساسية للتغيير الأكاديمي:

و من أشهر روادها كلافتون كونراد(Clifton Conrad)، و الذي يرى أن التغيير الأكاديمي مرتبط بالقرارات الفعلية لتغيير السياسة العامة للتربية، و بنى نظريته على خمس فرضيات أساسية لتفسير التغيير الأكاديمي هي:

¹ حمدي على أحمد، مقدمة في علم اجتماع التربية، دار المعرفة الجامعية، مصر، 1995، ص184.

² عبد الله الثبيتي، المرجع السابق، ص131.

أ- إن التناقض شيء طبيعي في أي موقف تعليمي، إلا أنه قد يؤدي إلى التغيير وقد لا يؤدي إليه، و أن كل مظاهر التغيير تصاحب بشيء من التناقض.

ب- إن الجامعات و الكليات تتكون من جماعات اجتماعية متبينة و مختلفة في أهدافها و طموحاتها و تطلعاتها و أوامياتها و أساليبها، و قد يتفقون على أهداف أساسية إلا أنهم يختلفون في وسائل تحقيقها.

ج- إن الجامعات و الكليات لا تخضع لسلطاتها المركزية بقدر ما تخضع للسلطات الخارجية و للقوى المتعددة من جماعات الضغط العام و جماعات المصلحة التي تتنافس على التأثير عليها.

د- إن عملية القوة و النفوذ تنتشر من خلال طبيعة البناء الإداري للتنظيم الذي يعتبر أساسا لعمل القرارات المهمة في التنظيم.

هـ- إن فهم أهداف وقيم الإداريين شرط أساسي لفهم طبيعة التغيير وتوجيهه باعتبار أنهم أكثر الناس دراية و معرفة لسياسة المؤسسات التعليمية على مسرح الواقع.¹

و رغم إهمال النظرية للجوانب الأخرى للتغيير و تركيزها على دور الإدارة في عملية التغيير التربوي ، إلا أنها تعتبر من أهم النظريات التي تبنها علماء التربية لتقديم تفسير مسار التغيير الأكاديمي بناء على دور و طبيعة الإدارة الأكاديمية.

6.4-نظرية الصراع داخل الصف الدراسي:(Conflict Theory in The classroom):

تعتبر مظاهر الصراع و التناقضات الحقيقة في الحجرة الدراسية أساس هذه النظرية. وتتمثل هذه التناقضات في:²

أ-المدرسة مؤسسة إلزامية تحافظ على النظام من خلال تنظيماتها الرسمية و فرض إرادتها بحكم القوانين و التنظيمات و اللوائح الملزمة للجميع.

¹ المرجع نفسه، ص 132-133.

² إحسان محمد الحسن، مرجع سابق، ص 83.

ب- المدرسة لا توفر المصالح المشتركة لجميع المتدربين و الطلاب، بل يوجد تعارض عام بين مصالح المدرسين مع مصالح الطلاب؛ الأمر الذي يدفع بوجود مظاهر لعناصر التناقض و الصراع داخل المحركات الدراسية.

ج- تكمن مصادر التناقضات الجوهرية في الاختلافات العمرية بين الطلاب وما يصاحبها من تباين في القيم والثقافة والاتجاهات والممارسات السلوكية ، الأمر الذي يجعل الطلاب ينظرون إلى العالم بطرق مختلفة ، و يحملون آمالا وأهدافا وتوقعات متباينة بل متعارضة ومتناقضة أحيانا.

د- يستخدم المدرسون نفوذهم و قوتهم و سلطتهم لدفع الطلاب وإلزامهم بقبول قيم و تصورات و اتجاهات الكبار حتى لو كانت خارجة عم قناعة الطلاب أنفسهم.

هـ- تستعمل جميع الممارسات الممكنة المتمثلة في أنماط السلطة ، ووسائل العقاب و أساليب الإدارة و كيفية المعالجة و نوعية العاطفة و درجة المنافسة ووضع الدرجات وعمل الاختبارات، كوسائل للضبط و الالتزام بمظاهر السلوك المرغوب فيه اجتماعيا.

و- تتحدد اتجاهات الطلاب نحو ممارسات النشاطات المنهجية الإضافية بدرجة رغبتهم في الحصول على المكافأة و التشجيع.

7.4- نظرية النظم: (Systems Theory):

ومن أهم روادها هيروت (Herriot) و هادكنز (Hodgkins) ، و تستمد أساسها النظري من النظرية البنائية المطبقة في مجال تحليل النظم الإدارية و الاجتماعية. و يعتبر التكامل بين أجزاء النظام المتمثلة في نمط الأقسام و الوحدات التي يتكون منها أي تنظيم إداري منطلق النظرية لتحليل النظام المدرسي. و ترى النظرية أن النظام التعليمي يتكون من¹:

أ- **النظام المدرسي:** و يقصد بالنظام المدرسي جميع القوانين و اللوائح المنظمة لطبيعة العلاقات الداخلية والخارجية للنظام لتحقيق درجة عالية من الاستقرار والاستمرار، و ضمان دينامية متوازنة للعمل بين وحداته و أقسامه لتحقيق أهدافه.

¹ عبد الله الثبيتي، مرجع سابق، ص112.

ب- **البيئة المحيطة:** تشمل البيئة المحيطة جميع المؤسسات الاجتماعية والسياسية و الاقتصادية الموجودة خارج النظام المدرسي .

ج- **الطاقة الحيوية للنظام :** و تتضمن مدى فاعلية النظام المدرسي و قدرته على التفاعل الإيجابي مع جميع عناصر البيئة المحيطة به، و مدى قدرة النظام على التوافق مع متطلبات البيئة المحيطة و الاستفادة منها و تسخيرها لتحقيق أهدافه.

د- **إنغلاق النظام:** لا يسمح انغلاق النظام على نفسه بالتفاعل مع البيئة المحيطة به و لا النظم الاجتماعية الأخرى، و يفقد تبعا لذلك القدرة على التأثير و التأثير فيها.

هـ- **إنفتاح النظام :** يعكس انفتاح النظام قدرته على الانسجام مع النظم الاجتماعية الأخرى و القابلية للتأثير فيها و التأثير بها و الإستعداد للتطور ومسايرة التغيرات الاجتماعية المحيطة به.

و- **المدخلات:** تتضمن مدخلات النظام المدرسي جميع الإمكانيات المادية و البشرية المستدخلة أصلا من المحيط البيئي للمدرسة، و تشمل جميع التجهيزات المدرسية و التعليمية

و الإدارية و الكتب الدراسية و المكتبات المدرسية. وتشمل الإمكانيات البشرية جميع العاملين في المدرسة من الإداريين و الفنيين و المدرسين و الطلاب.

ز- **المخرجات:** و تشمل المخرجات التعليمية جميع العطاءات المادية و المعنوية المنتجة من النظام المدرسي، و هي إما مخرجات مادية ممثلة في عدد المتخرجين، و إما معنوية و هي مجموع المكتسبات و المعارف و الخبرات التعليمية و المهارات الفنية و الاتجاهات الاجتماعية التي تزود المدرسة خريجها بها.

ك- **العمليات الداخلية:** و هي جميع العمليات الداخلية المبذولة من طرف طاقم المدرسة لإنتاج المخرجات الدراسية. و تشمل حسن الإدارة و التخطيط و المتابعة و التحويل للبرامج وفق التغيرات في محيط المدرسة.

ل- التغذية الراجعة : تعني التغذية الراجعة جميع المدخلات الناتجة عن ديناميكية النظام، وتشمل بصفة عامة جميع المعلومات والبيانات والمكتسبات المادية منها والمعنوية التي تصل إلى النظام و تعبر عن نوعية و مستوى المخرجات.

و لذلك ركزت النظرية على ربط العلاقة بين المدرسة والبيئة المحيطة بها بما تمثله من ثقافة وسياسة واقتصاد، واعتبرت النظام منفتحاً أو مغلقاً من خلال نوعية مدخلاته و مخرجاته و عملياته وتركيبته البنائية. وبالتالي فالنظم التربوية تعمل باستمرار على مستويات مختلفة، تبدأ بالمدرسة ثم الحي ثم المجتمع المحلي ثم المدينة الكبيرة فالمجتمع الأكبر ،ومن ثم تكتمل العملية على المستوى الحضاري للأمة.

خامسا : المدرسة كنظام اجتماعي:

تعتبر المدرسة أهم تجسيد للنظام التربوي التعليمي، وحين يطلق مصطلح التربية أو التعليم فإن التفكير ينصرف نمطياً إليها. وتعتبر المدرسة أقدم مؤسسة تربوية صاحبت المجتمعات البشرية في تطورها المستمر ، و ظلت محافظة على الوظيفة الأساسية لها، وهي تنشئة الفرد عقلياً و جسدياً.

و قد عرفت المدرسة تطورات عدة بدءاً بالمدرسة البيتية التي كان الأبوان مسؤولين فيها عن تربية أولادها، إلى المدرسة القبلية التي كانت تحت إشراف الكهان والعرفان من القبيلة؛ والذين يقومون بغرس المعتقدات وأخلاق القبيلة في نفوس الأطفال ، و أخيراً المدرسة الحقيقية التي أخذت شكلها الحالي و استقلاليتها وسياستها الخاصة.

1- مميزات المدرسة :

تتميز المدرسة بمميزات خاصة ، يمكن على أساسها أن ندرسها كوحدات اجتماعية مستقلة ، هذه المميزات هي :¹

أ- إن المدرسة تضم نوعية خاصة من الأفراد، يتميزون من حيث تاريخهم ومقوماتهم الأكاديمية عن غيرهم من أفراد المجتمع. فالتلاميذ المنتمون إلى المدرسة يتميزون عن الأطفال الذين

¹ محمد لبيب النجيجي، مرجع سابق، ص34.

لا يخضعون للتعليم ، و قد ينتقون في بعض المدارس الخاصة وفق مواصفات لا تتوفر في جميع الأطفال. و أما المعلمون فهم مجموعة من المتخصصين في التربية، و هم يحملون أعلى الشهادات العلمية ،و قد خضعوا لدورات من التكوين المستمر أهلهم لمباشرة تشكيل عقلية و سلوكيات الأطفال، مع ما يمثله هذا العمل من خطورة على المجتمع. و بالتالي فالمدرسة تضم بين جنباتها نوعية متميزة من الأفراد ينتظر المجتمع منهم دورا محوريا في عملية التغير الإجتماعي.¹

ب- للمدرسة تكوينها السياسي الواضح التحديد،و نعني بذلك الانضباط الذي يحكم العملية التعليمية في مفاهيمها وأسسها و قوانينها .وتمثل الرغبة في التمكن من المعلومة و إيصالها واضحة وتطوير القدرات العقلية للتلاميذ،أحد مظاهر السيطرة التي يرغب المعلمون في تطبيقها كسياسة تحكم النظام التعليمي في المدرسة.ولذلك تضبط اللوائح والقوانين،وتحدد المسؤوليات وترسم الخطط وآليات المتابعة، في نظام محكم هدفه الوصول بالمدرسة إلى أن تواكب كل تطور بشري ماديا كان أو معنويا.

ج- تمثل المدرسة مركزا للعلاقات الإجتماعية المتداخلة والمعقدة.وهذه العلاقات الإجتماعية هي المسالك التي يتخذها التفاعل الإجتماعي.والقنوات التي يجري فيها التأثير الإجتماعي.ويمكن تحليل العلاقات الإجتماعية عن طريق تحليل الأنساق المكونة للنظام في المدرسة، و الخلفية الإجتماعية لكل من الطلبة و المعلمين.

د- المدرسة تنظيم اجتماعي مكون من أفراد يتفاعلون فيما بينهم لتحقيق هدف معين و لذلك فهم يحسون بانتمائهم إليها، وهو شرط مهم في الحفاظ على تماسك المدرسة و استقرارها و تفاعل أفرادها بعضهم مع بعض ،و يظهر ذلك خاصة في النشاطات غير الصفية.وتمثل المدرسة مرحلة مهمة في حياة الإنسان.

هـ- للمدرسة ثقافتها الخاصة:هذه الثقافة التي يتكون جزء منها من ثقافة التلاميذ و جزء آخر من ثقافة المعلمين،وهي البوتقة التي تنصهر فيها الثقافات المتنوعة للمجتمع لتتوحد في شكل ثقافة مشتركة بين جميع أفراد المجتمع.²

¹ عبد الله الرشدان ،مرجع سابق، ص223.

² نبيل السمالوطي،التنظيم المدرسي و التحديث التربوي،ط1،دار الشروق ،جدة ،1980،ص161.

2-التساند الوظيفي بين المدرسة و النظم الإجتماعية الأخرى:

تعمل المدرسة من أجل تحقيق أهدافها في تنسيق وتساند وظيفي مع المؤسسات الإجتماعية الأخرى، كالعائلة و المنظمات المدنية و الإعلام و الجمعيات الدينية و الأدبية و نوادي الشباب و الكشافة و المساجد و الزوايا وغيرها من المؤسسات التي تهتم بإمداد المنتمين إليها بقدر من المعارف التي تساهم في تشكيل شخصياتهم. وبالتالي فللمدرسة ثلاث وظائف إزاء هذه المنظمات¹:

أ- المدرسة أداة استكمال: فهي تقوم بدور استكمال ما قامت به المؤسسات قبلها خاصة الأسرة، وتقوم بتكملة ما تعجز المؤسسات الأخرى عن توصيله إلى الفرد، وذلك لأن الفرد يقضي في المدرسة من الوقت أكثر مما يقضيه في النادي أو المسجد أو أمام التلفاز.

ب- المدرسة أداة تصحيح: تقوم المدرسة بتصحيح الأخطاء التربوية الناجمة عن التنشئة غير الصحيحة التي يتلقاها الفرد في البيت أو الشارع ضمن مجموعات الرفاق. يشمل هذا التصحيح الأفكار و السلوكات و الانفعالات العاطفية.

ج- المدرسة أساس تنسيق: تقوم المدرسة بتنسيق الجهود التي تبذلها النظم الإجتماعية في سبيل تربية الأفراد، وهي توجه عمل هذه المنظمات و تمدها بالخبرات والمكونين، و تطور برامجها وأساليبها مع ما يتوافق مع أحدث نظريات التربية و التعليم.

3.5- منزلقات المدرسة:

لكي تقوم المدرسة بتحقيق أهدافها التربوية و الإجتماعية يجب أن تتجنب المنزلقات التالية²:

أ- الأنزالية : و نعني بها عدم التفاعل بينها و بين البيئة المحيطة بها. و هي بذلك تقيم حواجز بينها و بين الحياة الإجتماعية؛ مما يجعلها وسيلة لإمداد الطالب بالمعلومات المجردة بغض

¹ جورج شهلا و آخرون، الوعي التربوي و مستقبل البلاد العربية، بيروت، 1972، ص 214.

² عبد الله الرشيدان، مرجع سابق، ص 129.

النظر عن كونها ذات بعد اجتماعي أم لا، أو أنها مجرد معلومات عقلية مجردة لا تمت إلى واقع الفرد بأي صلة.

ب- الرجعية :وهي الاعتقاد بأن ما كان أفضل مما يكون، و أنه ما ترك الأول للآخر شيئاً، و أن أي جهد بشري جديد لا يمكنه أن يرقى إلى مستوى ما وصل إليه القدماء.و بلعب المعلمون و الطاقم الإداري دوراً مهماً في جعل المدرسة جامدة أو مسائرة لتطورات العصر.وهو ما يبين الأهمية القصوى التي توليها المدارس للتكوين الثقافي والاجتماعي للمعلمين.

ج-الاهتمام بمستقبل الفرد لا حاضره:

إذا كان هدف التربية هو إعداد الفرد للحياة ، فعلى المدرسة أن تكون النموذج المصغر لهذه الحياة،وعليه فإن معرفة رغبات وميولات الفرد تجعل العملية التربوية متعة بالنسبة له،و تجعله يقبل عليها باهتمام ويركز فيها طاقاته العقلية والعاطفية،بعكس ما لو أجبر على تخصص لا يرغب فيه.و تقف رغبات وأفكار الأبوين أحياناً عائقاً أمام اختيار الفرد للعلم الذي يرغب فيه،وتلعب الخلفية الاجتماعية للأبوين دوراً مهماً في دفع الأفراد إلى التخصصات ذات المكانة الاجتماعية المرموقة، دون اعتبار للفروق الفردية و الميولات الشخصية لأولادهم.¹

سادساً- التربية و التعليم:

يرى عبد الله الرشيدان بأن الأمر اختلط على الكثيرين، وفي مناسبات متعددة فجعلوا التربية و التعليم شيئاً واحداً، كما اختلط الأمر على آخرين فحاولوا إيجاد حد فاصل بين العمليتين. و يعود الأمر —حسبه— إلى التعقيد المعروف عن العملية التربوية و الاتصال الذي لا مناص منه بين التربية و التعليم؛ذلك أنه يمكن القول بأن التربية عملية عامة، و أن التعليم عملية أضيق و هي تقع في داخل عملية التربية،فإننا بذلك ننظر إلى التربية على أنها تتجه إلى العادات والسلوك الاجتماعي والقيم الأخلاقية والمعلومات والتفكير ومظاهر الشخصية ، و ننظر إلى التعليم على أساس أنه عملية تتجه إلى المعرفة و التفكير،أي تهتم بالجانب العقلي دون أي مظهر آخر من مظاهر

¹ إحسان محمد الحسن،مرجع سابق،ص115 .

الفرد؛ فالمعلم يعلم في الصف القراءة والكتابة والتاريخ، و المربي يعلم كذلك، ولكنه فوق ذلك يساعد الفرد على تكوين عادات خاصة في اللعب مع رفاقه، في التعاون معهم، في محادثتهم... إلخ.¹

"فترية الفرد على قيم اجتماعية أو أخلاقية معينة هو في الوقت نفسه تعليم و الحد ليس فاصلا بينهما. لهذا يجب أن نشير في حديثنا عن التربية و التعليم إلى نقطتين: الأولى أن علينا أن لا نبالغ مطلقا في الحديث عن الفروق بينهما، و أن نكون منبهين إلى نقاط الاتصال العديدة الموجودة بينهما.²

سابعاً- التأسيس النظري للنظام التعليمي:

1-اعتمد الباحث نظرية النظم كأساس لتحليل النظام التعليمي في زاوية الهامل، أي البحث في مدخلات النظام و مخرجاته و عملياته و البيئة المدرسية، و ذلك للإعتبارات التالية:

أ- شملت نظرية النظم كل مكونات النظام التعليمي (مدخلات ، مخرجات، عمليات، بيئة مدرسية، انفتاح النظام و انغلاقه ، و التغذية الراجعة ، بالإضافة إلى حيوية النظام).

ب- تضع نظرية النظم النظام التعليمي في إطاره الاجتماعي، أي اعتبار المؤسسة التعليمية نسقا اجتماعيا يتفاعل مع الأنساق الأخرى و يتساند معها.

ج- اكتفت النظريات الأخرى بمعالجة جانب معين من النظام ، وهو ما يجعلها عاجزة عن تفسير العملية التربوية بمعناها الأوسع الذي يتجاوز الحجرة الدراسية.

2-اعتمد الباحث رأي الكثير من علماء التربية الذين يرون الفصل بين التربية والتعليم غير ممكن، و بالتالي فمصطلح النظام التربوي -في ثنايا البحث- يقصد به النظام التعليمي و العكس صحيح، و لذلك فتحليل النظام التعليمي في الزاوية يعني بالضرورة عملية نقل المعلومات مع ما يحدثه ذلك من أثر في شخصية المتعلم.

¹ صالح عبد العزيز، عبد العزيز عبد المجيد، مرجع سابق، ج1، ص ص 59-60.

² عبد الله الرشدان، مرجع سابق، ص29.

الفصل الثالث

التربية و التعليم في العهد

العثماني و بداية العهد

الاستعماري بالجزائر.

تمهيد:

يعتبر هذا الفصل محاولة لتسليط الضوء على التربية و التعليم في العهد العثماني وبداية العهد الإستعماري، وكذلك العلاقة بين العثمانيين و المجتمع الجزائري آنذاك، و كيف تعامل العثمانيون مع المؤسسات العلمية و التربوية في الجزائر الموروثة عن الدولة الزيانية والجهود التي بذلها الأهالي للحفاظ على المساجد و المدارس و الزوايا، و الدور الذي لعبته المؤسسات الإجتماعية كمؤسسة الوقف الأهلي في الحفاظ على سيرورة التعليم في ما تبقى من المؤسسات الدينية خاصة في بداية الهجمة الإستعمارية على الجزائر، و حجم الدمار الذي أصاب الحياة الثقافية عامة و التعليم خاصة.

أولا-علاقة العثمانيين بالجزائر:

مرت الدولة العثمانية بمراحل تاريخية عرفت فيها فترات القوة والازدهار واتسعت رقعتها وفتحت مناطق عديدة في البلقان، وبسطت نفوذها في العالم العربي والإسلامي، واصبحت مهيبة الجانب، ذات قوة برية وعسكرية، و ازدهرت فيها العلوم، وأصبحت قبلة للعلماء من كل الجنسيات وشجعت الصناعات وخاصة البحرية منها، وامتد نفوذها في البحار، وأصبحت تمثل خطرا على الوجود الأوروبي¹.

وقد كانت الأمة الإسلامية في أضعف حالاتها، بعد أن انقلبت قوتها إلى ضعف، ونال منها الأجنبي ما نال، وهجم الأعداء عليها من كل أطرافها: الحروب الصليبية في الشرق، والإسبان والبرتغاليون في الغرب. فاحتاجت إلى أمة بكر لا تزال فيها شهامتها الحربية فظهرت أمة الترك على مسرح التاريخ.²

واحتاجت الأمة الإسلامية إلى مركز خلافة جديد لأن الخلافة العربية قد اضمحلت عمليا من الشرق، ولأن الخلافة الحفصية بإفريقية أدركها من الضعف بسبب هجوم الإسبان ما جعلها لا تقوى على القيام بأعباء تلك الوظيفة السامية. فانترع السلطان (سليم) مصر من المماليك وفتح

¹ صالح عباد، الجزائر خلال الحكم التركي 1514-1830، دارهومة للطباعة النشر والتوزيع، الجزائر، 2005، ص 355 .

² عثمان الكعاك، موجز التاريخ العام للجزائر، ط1، دار الغرب الاسلامي ، بيروت، 2003، ص 268.

سوريا وفلسطين وأرسل له إمام الحرمين الشريفين مفاتيح الكعبة وتأسست الخلافة التركية وأصبح مركزها الأستانة وكان ذلك سنة 1518م.¹

ثانيا-دوافع الوجود العثماني بالجزائر:

تعتبر منطقة المغرب العربي من المناطق التي أنهكتها الحروب المتوالية، سواء الداخلية منها او الخارجية، فأما الداخلية فالمنطقة خاصة الجزائر لم تعرف استقرارا بسبب الدويلات المتناحرة التي ظهرت بعد سقوط دولة الموحدين وهي دويلات الزيانيين في الجزائر، والحفصيين في تونس، والمرينيين في المغرب، ولقد ظل كل من الحفصيين والمرينيين يتنازعون السيطرة على شرق وغرب الجزائر، في عمليات كر وفر، مما أضعف دولة بني مرين في تلمسان، وعجل باحتلال اسبانيا لمناطق شاسعة في الساحل الجزائري، وفرضها الرسوم على الدولة الزيانية، ناهيك عن عمليات القرصنة التي كان الأسطول المسيحي يقوم بها في عرض المتوسط.²

وقد كان الإتصال الجزائري بالعثمانية أول الأمر اتصالا غير رسمي، بعد أن لمع اسم الأخوين عروج و بربروس في عالم القرصنة(الجهاد البحري)، وهي العمليات البحرية التي كان العثمانيون يقومون بها لما تدر عليهم من أموال. وكذا لإرهاب المسيحيين الذين يقومون بالإغارة على السواحل الإسلامية.³

ولقد أكسبت هذه الهجمات الأخوين خير الدين (خضر) و عروج الملقبين ببربروسين أي الأشقرين، شهرة كبيرة وصلت أصدائها إلى جيغل وبجاية ووهران والمرسى الكبير، وهي السواحل التي خضعت لسيطرة الغزاة الإسبان، ولم يجد السكان من بد سوى الاستنجاد بالأخ عروج لطرد

¹ سيرة المجتهد خير الدين بربروس، مؤلف مجهول، تحقيق عبد الله حماد، دار القصة،الجزائر،2009،ص82 و ما بعدها.

² ناصر الدين سعيدوني و المهدي البوعبدلي: الجزائر في التاريخ -العهد العثماني- وزارة الثقافة و السياحة و، م، و، ك، الجزائر، 1984 ، ص 144.

³ انظر: محمد الطيب عقاب، قصور مدينة الجزائر في أواخر العهد العثماني، دار الحكمة ،الجزائر، 2000، ص32.

الإسبان من جيغل وبجاية وتطهير الساحل منهم، ثم بعد ذلك مبايعته بعد أن أصبحت دولة بني زيان أثرا بعد عين¹.

لقد تحالف الأخوان عروج وخير الدين مع الحفصيين (وقد كانت قسنطينة تحت حكمهم) واتخذوا من مدينة جربة (تونس) مقرا لها، وبدأ عروج بالهجوم على مدينة بجاية سنة 1514م، لكنها لم تسقط وعاود الكرة ولم تسقط إلا سنة 1515م، بعد أن دام الحصار ثلاثة أشهر.²

ونفس الطلب تقدم به أهل تلمسان من أجل القضاء على الأمير أبي حمو الثالث (923-934هـ) الذي تحالف مع الإسبان، وكانت النتيجة طرد الإسبان وتحرير الشواطئ الجزائرية الغربية لكن الأخ عروج دفع حياته في سبيل ذلك، سنة 1518هـ.³

ولقد كانت مدينة الجزائر مستقلة تحت حكم الولي الصالح سيدي عبد الرحمان الثعالبي.⁴ الذي كان يحكم (مجلس الجماعة)، ولما انتقل إلى رحمة الله خلفه على إمارتها أولاد سالم. وأصبح سالم السالمي واليا على العاصمة. وعاث فيها فسادا وتجبر على السكان. فطلبوا إعانة عروج، فتوجه من مدينة جيغل إلى شرشال فدخلت في حكمه وأعدم صاحبها قارة حسن خوفا من أن ينقلب عليه. وترك بها حامية ثم توجه إلى العاصمة وفتح حصونها ورفع علمه عليها، وضرب السكة باسمه وأقام بها كسلطان (سنة 1518).⁵

تقرب الأخ خير الدين من الجزائريين وعلمائهم ومشايخهم من أجل الانضمام إلى الدولة العثمانية فاستجابوا له. وكان ذلك أول اتصال رسمي بين الجزائر والدولة العثمانية.

¹ حمدان بن عثمان خوجة، المرأة، تقلم وتعريب وتحقيق محمد العربي الزبيدي، ش و ن ت، الجزائر 1975، ص 107.

² يحي بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر الحديثة، ط 1، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999، ج 2، ص 257.

³ عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1997، ص 53.

⁴ محمد بن ميمون الجزائري: التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تقلم و تحقيق: محمد بن عبد الكريم، ش، و، ن، ت، الجزائر، 1972، ص 59.

⁵ صالح عباد، الجزائر خلال الحكم التركي، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2005، ص 365.

وبفضل الدعم العثماني تحول خير الدين من مجرد أمير للبحر إلى رئيس دولة مرتبطة بالإمبراطورية العثمانية ومتحالفة معها، ضد اسبانيا زعيمة العالم المسيحي. ونتيجة لهذا التحالف مع العثمانيين استطاع خير الدين أن يؤثر في مجرى الأمور بشمال افريقيا ويوحد هذه البلدان بحيث تمكنت القوات الجزائرية والعثمانية من إخراج الإسبان من تونس وطرابلس في القرن 16م كما ساعد خير الدين فرنسا على تحرير ميناء نيس من القوات الاسبانية المرابطة به وذلك سنة 1543م¹

وبذلك أصبحت الجزائر في أمنة من هجمات الإسبان الذين عاودوا الكرة مرات عدة آخرها سنة 1519م، وتكلل جهد خير الدين ومعه الأهالي الجزائريون بطرد الإسبان من جزيرة الفنار الواقعة قبالة مدينة الجزائر وذلك سنة 1629م في شهر ماي. ونظرا لكل هذه الانتصارات فقد استدعى السلطان سليمان العثماني خير الدين إلى القسطنطينية يوم 15 أكتوبر 1535م (942هـ)، وعينه قائدا للبحرية التركية.² و وضع تحت تصرفه البوارج البحرية والمعدات العسكرية التي كسرت شوكة اسبانيا في تونس وطرابلس والجزائر، وقد خلف خير الدين على الجزائر ابنه حسن باشا، وقد استغل الإسبان غياب خير الدين فهاجموا مدينة الجزائر (1541م) بجيش تعداده 6000 مقاتل. لكن سوء الأحوال الجوية تسبب في اقتلاع خيام الإسبان، وتحطيم السفن وفساد البارود وانتشار الأوبئة، مما جعل (شارلوكان) ملك اسبانيا يعود إليها دون أن يحقق شيئا طيلة المدة التي بقيها في الجزائر والتي احتل فيها كدية الصابون في ظاهر مدينة الجزائر.³

وبذلك كله عرفت الجزائر العاصمة والجزائر كلها استقرارا سياسيا واقتصاديا واجتماعيا بعد فترة الاضطرابات التي عرفتھا والتي كانت تنتقل فيها من حكم الإسلام إلى حكم النصرانية طورا بعد طور.⁴

¹ عمار بوحوش، مرجع سابق، ص 54.

² انظر: عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ المدن الثلاث (الجزائر، المدينة، مليانة)، ط2، وزارة الثقافة، مديرية الأدب والفنون، الجزائر، 2007، ص 64.

³ عمار بوحوش، مرجع سابق، ص 55.

⁴ المرجع نفسه، ص 55.

وكان الفضل في ذلك كله يعود إلى الأخوين خير الدين وعروج اللذين لبيا نداء الجزائريين واستجابا لنداء الرابطة العقدية الدينية، ودفع عروج حياته فداء لهذا الوطن، وتمت بفضلها ترسيم حدود الدولة الجزائرية. وأرسيا قواعد دولة قوية، أصبح لها وجود سياسي وعسكري، ونشاط في حوض البحر المتوسط.¹

ثالثا-الحياة الاجتماعية في العهد العثماني:

ضمت الحياة الاجتماعية في الجزائر إبان العهد العثماني ألوانا متعددة من التقاليد والأعراف والعادات، تبعا للفئات الاجتماعية المتنوعة التي امتزجت جميعا في بوتقة واحدة، مما أغنى الحياة الاجتماعية وجعلها مزيجا من الثقافات التي تركت كل منها بصمتها في الحياة العامة. ولذلك تعتبر الحياة الاجتماعية في الجزائر العثمانية، نموذجا حيا للتنوع الثقافي، والتعايش السلمي بين المسلمين والمسيحيين واليهود والأوروبيين، الذين وجدوا في المدن الجزائرية ملاذا آمنا، جعل كل فئة منهم تعطي أفضل ما عندها.²

ولذلك تنوعت الصناعات، ودخلت ألفاظ جديدة على اللغة العربية السائدة آنذاك، واشتغلت كل مجموعة بالصناعات التي تتقنها ولم يكن للجزائريين علم سابق بها، ولا زالت تأثيرات ذلك الامتزاج الثقافي قائمة إلى اليوم، والسبب الكامن وراء ذلك هو الاستقرار السياسي الذي عرفته الجزائر بعد ترسيم حدودها وتوحيدها تحت راية العثمانيين. مما جعلها قبلة للتجار والعلماء، والمهاجرين من الأندلس بعد سقوطها، ويمكن أن نحدد الطبقات الاجتماعية في العهد العثماني على النحو التالي:

أ-الأتراك أو العثمانيون: رغم قلة أعداد هذه الجالية إذ لم يتجاوز عددها سنة 1830م 20.000 نسمة إلا أنها كانت قوية وذات واسع في المجتمع. وهم يأتون في أعلى السلم الاجتماعي والسياسي والقضاء بدءا بالداي وانتهاء بالبلدات، وبذلك استطاعوا أن يحتكروا السلطة وأن ينظروا بعين الازدراء إلى الفئات الأخرى بما فيها الجزائريون أي أهل البلاد.³

¹ جلال يحيى: المغرب الكبير، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، 1996، ص 26.

² انظر: ناصر الدين سعيدوني، الشيخ البوعبدلي المهدي، الجزائر في التاريخ، العهد العثماني، مرجع سابق، ص 93.

³ عمار بوحوش، مرجع سابق، ص 73.

ب-الكراغلة:

وهو المولودون من آباء عثمانيين وأمّهات جزائريات، لكن رغم ذلك لم يعطهم الأتراك المكانة نفسها التي يتمتع بها آباؤهم. بل اعتبروهم عبيدا، وذلك حفاظا على مقاليد السلطة في أيديهم. وهو ما دفع بالكراغلة إلى الثورة التي انتهت بالفشل. مما أمعن في إبعادهم نهائيا عن المناصب الرسمية إلا ما ندر، وقد بلغ عددهم في نهاية القرن الثامن عشر بمدينة الجزائر حوالي 6.000 نسمة.¹

ج-المهاجرون الأندلسيون:

وهم الذين اختاروا اللجوء إلى السواحل الجزائرية بعد أن اضطهدهم الإسبان، واستولوا على ممتلكاتهم وحاولوا إجبارهم على تغيير عقيدتهم. وقد وجدوا في المدن الجزائرية التي سكنوها (القلعة، تنس، شرشال) أهلا وإخوانا وسندا، خاصة أن أغلبهم لم يستطع أن يحمل معه شيئا. وقد شارك الأندلسيون في الدفاع عن المدن الجزائرية، وكانت لهم إسهاماتهم المتميزة في الفنون والآداب خاصة الموسيقى والموشحات. كما امتازوا ببعض الصناعات الورقية وكذا الخط وصناعة الكتب، وأضافوا للجزائر ألوانا جديدة من العمارة الأندلسية لا زالت تزين مساجد المدن الساحلية التي آووا إليها.²

د-اليهود:

لم تكن الجالية اليهودية في الجزائر أقل تأثيرا من الجاليات الأخرى، رغم قلة أعدادها مقارنة بهم، إلا أن اشتغالها بالمبادلات التجارية، والتجارة في الذهب والعملية، والوساطة في العمليات التجارية البحرية مكنها من ربط علاقات قوية مع مراكز القرار في البلاد. وهو ما سهل لها السيطرة على مصادر الثروة³. مما جعل الجزائريين يشيرون عليها بقيادة العالم الجزائري (عبد الكريم

¹ ناصر الدين سعيدوني، "الوقف و مكانته في الحياة الاقتصادية و الإجتماعية و الثقافية بالجزائر أواخر العهد العثماني و بداية الاحتلال الفرنسي"، مجلة الأصالة، الجزائر، 1981، العدد 89-90.

² عبد القادر حليمي، مدينة الجزائر نشأتها وتطورها قبل 1830، ط1، المطبعة العربية لدار الفكر الإسلامي، بيروت، 1972، مرجع سابق، ص 232.

³ Maurice Eisenbeth (Grand Rabbin d'Alger), **Les juifs de l'Afrique du nord**, Imprimerie du lycée, 1 Rue Heugène Robe, 1, Alger, 1936, p43.

المغيلي) في توات. والتي انتهت بحرق بيع اليهود ومحالهم التجارية وطردهم من الصحراء الجزائرية. وتعتبر عائلتا (بكري) و(بوشناق) من أبرز العائلات التي لعبت دورا في الحياة الاجتماعية والسياسية في الجزائر.

هـ- أهل البلد:

أي غالبية أبناء الجزائريين وهم يأتون في المراتب الدنيا من السلم الاجتماعي. وقد عمد الأتراك إلى ابعادهم عن السلطة إلا في بعض المناصب الإدارية الدنيا كشيخ العرب أو الدائرة، وقليل هم الذين أعطوا مرتبة آغا أو باش آغا.

وقد اشتغل أغلب سكان البلد من أبناء الريف بالزراعة، التي لم تكن تدر عليهم الكثير، بسبب الضرائب والمكوس التي كان يفرضها الأتراك عليهم، عن طريق شيوخ العرب أو قبائل المخزن. وقد وطد العثمانيون سلطتهم على أبناء الريف عن طريق استغلال بعض الشيوخ والمرابطين. والقواد والخلفاء والجنود وغيرهم من أصحاب الحكم والنفوذ الذين كانوا يتلقون مسؤولياتهم من البايات أو من ممثليهم في الأقاليم. أما أهل الحضر فقد اشتغلوا بالتجارة، وكان أغلبهم يأتون من وادي ميزاب أو بسكرة، أو منطقة زاوة. وقد تميز أهل ميزاب بالعمل في الحمامات العمومية، وأما الزنوج فقد كانوا يشتغلون كغسالين وخبازين وخدم.¹

لا شك أنه إلى جانب هذه الفئات هناك فئات أخرى أثرت في الحياة الاجتماعية بالجزائر، وهم المسيحيون الذي قدموا كتجار إلى المدن الساحلية، والذين بالإضافة إلى عملهم بالتجارة، كانوا مترجمين إلى لغاتهم ومنهم الأسرى الذين كانوا يعملون ليسددوا الفدية للخرينة العمومية مقابل إطلاق سراحهم.

لقد أثرت كل الفئات الاجتماعية في الحياة الجزائرية، وأوجدت نوعا من الامتزاج الثقافي والتبادل الحضاري، الذي لا زال أثره واضحا إلى اليوم في عادات الجزائريين وتقاليدهم وحتى لغتهم.

رابعا- الحياة الثقافية في العهد العثماني:

تعتبر الحياة الثقافية في الجزائر إبان العهد العثماني مزيجا من الثقافات الشرقية في أغلبها مع بعض الثقافات الغربية. ورغم الطابع العربي الإسلامي الذي طبع الجزائر منذ زمن طويل أي قبل

¹ محمد الطيبي، الجزائر عشية الغزو الاحتلالي، دراسة في الدهنيات و البنيات و المآلات، دارابن النديم، الجزائر، 2009، ص

182 فما بعدها.

دخول العثمانيين إليها، إلا أن ذلك لم يمنع من امتزاج ثقافة الجزائريين بغيرها من الثقافات الوافدة ، والتي وإن لم يكن لها تأثير كبير في الحياة العامة إلا أنها تركت بصماتها في بعض طبائع الجزائريين وعاداتهم وتقاليدهم. وأدخلت إلى لغتهم الكثير من الكلمات التي لا زالت متداولة إلى الآن. وهو ما يدل دلالة واضحة على أن المجتمع الجزائري الذي اتصف بالتدين العام لم يكن يرفض الآخر مهما كانت ثقافته بشرط ألا تصطدم تلك الثقافة بالدين¹.

ولعل العثمانيين الذين لم يكونوا ذوي ثقافة عالية، أدركوا من أول وهلة أهمية العامل الديني في علاقتهم مع الجزائريين، فحاولوا أن يعلوا من قيمة رجال الدين ومشايخ الطرق الصوفية، وأوجدوا نوعا من الاستقلالية للقضاة والعلماء والمفتين.²

ورغم ذلك لم يكن للدولة العثمانية سياسة واضحة في مجال الثقافة، فأغلب الأتراك الذين قدموا إلى الجزائر لم يكن لهم تعليم يؤهلهم للمشاركة في الحياة الثقافية، وقد كان أغلبهم من رياس البحر، والجنود وطلاب الغنائم، لكنهم كانوا جميعا يدينون بالولاء للطرق الصوفية التي انتشرت بقوة في بلاد الأناضول، وهو ما يمكن أن يفسر العلاقة الوطيدة التي حاول الأتراك ربطها مع الطرق الصوفية، رغم أن هذه الأخيرة وجدت قبل دخول العثمانيين، وكانت أفكار (جلال الدين الرومي) والشيخ (عبد القادر الجيلاني-دفين بغداد) قد انتشرت في الجزائر والمغرب العربي عامة، ولذلك لم يكن الأتراك سببا في ظهور الطرق الصوفية بقدر ما كانوا قوة داعمة لانتشارها وتوسعها وكثرة أتباعها.³

1- المؤسسات الثقافية في العهد العثماني:

لا تكاد المؤسسات الثقافية في العهد العثماني تخرج عن المسجد والمدرسة والزاوية والمكتبة. ومعظم هذه المؤسسات كانت للتعليم أكثر مما كانت للثقافة بمفهومها اليوم. ولم يكن من بين هذه

¹ صالح عباد، مرجع سابق، ص 356.

² صلاح العقاد، المغرب في بداية العصور الحديثة، من منشورات معهد الدراسات العربية، جامعة الدول العربية، 1962، ص 57.

³ Ahmed Nadir , "Les ordres religieux et la conquête française", Revue Algérienne, N° 4, Dec, 1972.

المؤسسات جامعة او معهد عال. رغم أن بعض المساجد والمدارس والزوايا كانت تبث تعليمًا في المستوى العالي، ولم تعرف الجزائر عندئذ المسرح ولكن وجد ما يشبهه كخيّام القراقوز وحلقات المداحين وحلقات المصارعة¹.

أ- المدرسة:

تميز العهد العثماني بكثرة المدارس الابتدائية. حتى لا يكاد يخلو منها حي من الأحياء في المدن ولا قرية من القرى في الريف. بل إنها كانت منتشرة حتى بين أهل البادية والجبال النائية، وهذا ما جعل جميع الذين زاروا الجزائر خلال العهد العثماني ينبهون من كثرة المدارس بها وانتشار التعليم وندرة الأمية بين السكان، وقد عد بعضهم العشرات من هذه المدارس بالإضافة إلى المساجد والزوايا والرباطات².

ويرجع الفضل في انتشار المدارس إلى التقاليد العلمية التي أرساها الزيانيون. فقد اعتنوا بالتعليم وأولوا العلم والعلماء مكانة خاصة، وشيدوا المدارس وهو الأمر نفسه الذي قام به (بنو مرين)، ومن المدارس التي أسست في تلمسان وغيرها من مدن الجزائر آنذاك:

1- مدرسة ابني الإمام: وهما (أبو زيد عبد الرحمان) و (أبو موسى عيسى). من أهل برشك أخذوا العلم بتونس ثم ذهبوا إلى المشرق فزارا الشام والحجاز ومصر وأخذوا العلم بها وتفقها ثم رجعا، فأسس لهما (أبو حمو بن زيان) مدرسة عرفت بهما يدرسان بها العلم.

2- المدرسة الجديدة أو التاشفينية: (تلمسان). أسسها (أبو تاشفين) ابن أبو حمو الأول وقد حضر حفلة افتتاحها علامة عصره (أبو موسى عمر المشدالي). وهو أعلم علماء عصره في المذهب المالكي.

3- المدرسة اليعقوبية: أسسها (أبو حمو موسى الثاني) بناها للعلامة (أبي عبد الله محمد بن أحمد الشريف) وتم بناؤها يوم خمسة صفر من سنة 765هـ، وقد حضر السلطان للدرس الافتتاحي الذي

قام به الشريف أبو عبد الله³.

وهي المدارس التي أسسها الزيانيون، أما التي أسسها بنو مرين فهي:

¹ سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ط1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1999، ج1، ص 227.

² سعد الله، المرجع نفسه، ص 274.

³ عثمان الكعاك، مرجع سابق، ص 246.

1-مدرسة العباد: والعباد قرية على مقربة من تلمسان .بها قبور الأولياء التلمسانيين وعلى الخصوص الولي المشهور(سيدي بومدين).وقد أسس هذه المدرسة (أبو الحسن المريني)¹.

2-مدرسة الجزائر: أسسها (أبو الحسن المريني) بمدينة جزائر بني مزغنة. والمدرسة عبارة عن مسكن للطلبة يجدون به المنزل والأكل والشرب. وما يحتاجون إليه في معيشتهم ويتعلمون هناك على الأساتذة للتخرج في مختلف العلوم.²

وقد تنوعت العلوم والمعارف التي تدرس إلى ثلاثة أصناف:

أ- العلوم الدينية: مثل تحفيظ القرآن الكريم وشرحه. وتفسير الحديث وتعليم الفقه. والتوحيد والمنطق والأصول.

ب- علوم اللغة والأدب: كالنحو والصرف والبلاغة والعروض والقوافي وقواعد الإنشاء، باعتبارها أداة ووسيلة لإتقان العلوم الدينية.

ج- العلوم الطبيعية والتجريبية: كالفلك والحساب والطب والصيدلة وغيرها.

"وتوجد بالجزائر مجموعة من المدارس ما يزال البعض منها قائما حتى اليوم . ولو كهياكل مثل مدرسة ابن مروان بعنابة، والكتانية وسيدي لخضر بقسنطينة، والتاشفينية وأبناء الإمام وسيدي بومدين بتلمسان، وسيدي عبد الرحمان الثعالبي بالجزائر العاصمة، وكانت هناك مدارس بمازونة و مليانة و ندرومة وغيرها".³

ولقد حافظت الحواضر الثقافية التقليدية على صدارتها في مجال الثقافة ممثلا في عدد المدارس والجوامع والمكتبات والكتاتيب. وهذه الحواضر هي: تلمسان (وقد كانت عاصمة الدولة الزيانية)، وبجاية و المدينة ومازونة ومعسكر، وغيرهم من المدن التي ازدهرت فيها العلوم وقصدها

¹ صالح بن قرية و آخرون ،تاريخ الجزائر في العصر الوسيط من خلال المصادر، من منشورات المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية و ثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر،2007،ص 170.

² صالح بن قرية و آخرون ، المرجع نفسه، ص 171.

³ يحي بوعزيز، مرجع سابق، ص ص 211-212.

العلماء، وأسسوا فيها مدارس للعلم قصدها الطلبة من كل أرجاء الجزائر، بل ومن خارجها. و ظلت العائلات العريقة تورث العلم لأبنائها من أمثال: عائلة ابن مرزوق والعقباني في تلمسان، وابن باديس وابن قنفذ و الفكون في قسنطينة، والمشدالي والغبريني في بجاية.¹

غير أن مراكز الإشعاع الحضاري لم تبق على حالها، وتحولت المؤسسات التعليمية من المدن إلى القرى وذلك لأسباب متعلقة بالحالة الأمنية المتردية التي آلت إليها المدن الساحلية من جراء هجمات الإسبان، مما جعل العلماء ينتقلون من المدن إلى القرى. ومعهم ظهرت مراكز علمية جديدة بعيدة عن الساحل. ورغم ذلك ظلت الحركة العلمية محافظة على نبضها و حيويتها رغم ما تعرضت له من نكسات سببتها الأطماع الأجنبية في الجزائر.

ولعل الوجود العثماني الذي رسم معالم الدولة الجزائرية الحديثة وحدودها، وطرد الإسبان من شواطئها، كان سببا مباشرا في ازدهار العلوم، التقليدية على الأقل، وكثرة حلقات العلم، وإقبال الجزائريين على العلم والمعرفة و لو في أدنى مستوياتها. حتى وإن لم تكن للدولة العثمانية في الجزائر مؤسسة حكومية ترعى الجوانب العلمية والتربوية في الدولة، مما جعل التعليم أهليا في تمويله، ومؤسساته، ومعلميه.²

ب- الكتاتيب:

وقد ظهرت منذ صدر الإسلام، ووظيفتها الأولى هي تحفيظ القرآن الكريم. ويرتادها عادة الأطفال الصغار، وقد انتشرت في أقطار العالم الإسلامي شرقا وغربا. فلم تخل منها قرية ولا مدينة، وهي عادة مرتبطة بالمساجد.

ويتكون الكتاب من غرفة يجتمع فيها الأطفال حول معلم القرآن ويستعملون في تعليمهم أدوات بسيطة كاللوحه والسمق والأقلام المصنوعة من القصب. وتفرش الكتاتيب بالحصر. وأما أوقات التدريس بها فهي عادة ما تكون مرة أو مرتين أو ثلاث مرات بعد الصلوات المكتوبة.³

¹ انظر : سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج1، ص 391 و ما بعدها.

² المرجع نفسه، ص 313 و ما بعدها.

³ محمد السعيد بن سعد، الكتاتيب و الزوايا و الحلل بالجنوب الجزائري، من منشورات مخبر البحوث الاجتماعية و التاريخية، جامعة معسكر ، الجزائر، الإصدار الأول ، ماي 2011، ص1.

يدفع أولياء التلاميذ مبلغا ماليا زهيدا لمعلم القرآن الذي يفتح الكتاب ليسترزق منه. فمعلمو القرآن في الغالب ليس لديهم مصدر رزق سوى تعليم القرآن. وقد يكون الكتاب تابعا لأحد المحسنين الذي يدفع أجرة المعلم من حر ماله.

وللكتاتيب فضل كبير في الحفاظ على القرآن الكريم في بلاد المغرب. وهي إلى جانب ذلك تمثل التعليم الابتدائي الذي يتلقى فيه الأطفال الحروف والمبادئ الأولى للغة وكذا الحساب. وقد كانت بعض الكتاتيب تحفظ الطلبة بعض المتون السهلة في العقائد والعبادات والقراءات. ولقد لعبت الكتاتيب دور المدرسة حين تقهقر التعليم في الجزائر في الفترة الإستعمارية ، وأحجم الجزائريون على الحاق أبنائهم بالمدارس الفرنسية.¹

وعلى العموم فقد كان للكتاتيب دور فعال في الحفاظ على مصدر الشريعة الإسلامية الأول وهو القرآن على الرغم من قلة الوسائل وبساطة الإمكانيات.²

ج- المساجد:

ووظيفتها الأساسية إقامة الصلوات الجامعة. وهي المكان الذي يجتمع فيه المسلمون خمس مرات يؤدون الصلوات، ويقرأون القرآن، ويستمعون إلى الدروس العامة في العقيدة والشريعة، وقد لعبت أدوارا أخرى في صدر الإسلام فقد كانت دارا للقضاء، ومجلسا للحكم ومنها تنطلق الجيوش الفاتحة.

غير أن التطور الإجتماعي الذي عرفته المجتمعات الإسلامية قصر مهمة المساجد في العلم والعبادة. فأما العبادة فهي المهمة الأولى التي لأجلها شيدت حيث يرفع الأذان ويقوم على الصلاة إمام ومؤذن وقيم. وهم يتلقون رواتبهم إما من الخزينة العامة وإما من تبرعات المسلمين أو من الأوقاف الإسلامية.

1 بجي بوعزيز، مرجع سابق، ج1، ص 236.

² سعد الله، مرجع سابق، ج1، ص 399.

وأما العلم فإن المساجد لعبت دور التعليم العالي في المدرسة الحديثة، إذ ينتقل الطالب إلى المسجد الجامع بعد أن يكون قد مر على مرحلة الكتاب (المرحلة الابتدائية)، ومرحلة المدرسة (المرحلة المتوسطة والثانوية)، ومن ثم فهو يستكمل مشواره العلمي بالحصول على الإجازة في العلوم من المساجد الجامعة. التي كان يلقي بها فطاحلة العلماء دروسهم العلمية، على عادة كل المساجد الجامعة في البلاد الإسلامية كالزيتونة والأزهر والقيروان.

1. أنواع المساجد في الجزائر: والمساجد أنواع:

- نوع أسسه الحكام كالخلفاء والأمراء والولاة والملوك، كجزء من عملهم الوظيفي لخدمة المجتمعات الإسلامية، وتيسير سبل أداء شعائرهم الدينية، ولكسب عطف الرعية. ولربما للشهرة كذلك. ومن ضمنها بالجزائر: جامع ابن مروان، وصالح باي بعنابة، وجامع الباي بقسنطينة. والجامع الكبير بالجزائر العاصمة. وجامع الباشا بوهران، والجامع الكبير بتلمسان، والجامع الكبير بندرومة.

- ونوع مما أسسه كبار الأثرياء للتقرب إلى الله، واستمالة بعض الفئات الاجتماعية وشيوخ الدين، ولكسب الشهرة كذلك. وأعداد هذا النوع كثيرة بالجزائر، ومن ضمنها جامع سيدي لخضر بقسنطينة. وسيدي رمضان وسيدي عبد الرحمان الثعالبي بالجزائر العاصمة. وسيدي الصوفي ببجاية. وسيدي الهواري وسيدي الحلوي وأبي مدين بتلمسان.

ونوع ثالث مما أسسته الهيئات والجمعيات الخيرية الدينية و الاجتماعية كتكملة لعمل الولاة وكبار الأثرياء وشيوخ الدين. وأعدادها كثيرة جدا، ولا تحصى بالجزائر وكل بلدان المغرب الأخرى، بالحوضر والقرى. وكذلك الحال في معظم بلدان العالم الإسلامي.¹

2- العناية بالمساجد في العهد العثماني:

العناية بالمساجد كانت ظاهرة بارزة في المجتمع الجزائري. ولعل ذلك من مخلفات الدولة الزيانية، إذ يصف ابن مرزوق في تاريخ الحسن المريني مدارس ومساجد تلمسان فيقول: "فأنشأ بمدينة تازي قديما مدرستها الحسنة... وبالعباد بظاهر تلمسان وحذاء الجامع الذي قدمت ذكره وبالجزائر مدارس مختلفة الأوضاع بحسب اختلاف البلدان، وكلها قد اشتمل على المباني العجيبة

¹ يحي بوعزيز، مرجع سابق، ج1، ص 210-211.

والصنائع الغريبة والمصانع العديدة والاحتفال في البناء والنقش في الجص والفرش على اختلاف أنواعه من الزليج البديع والرخام المجزع والخشب المحكم النقش والمياه النميرة...¹.

ورغم تنافس الجزائريين في بناء المساجد التي تعتبر بالنسبة لكل مدينة أو قرية قلبها النابض. إذ حول المسجد تنتشر المساكن، ويقام السوق بجانبه، ويحتكم المتخاصمون إلى إمامه، إلا أن العناية بها لم تكن ظاهرة عامة، فقد أهملت المساجد وهدم بعضها.

وقد نحى العلماء باللائمة على العثمانيين لعدم اهتمامهم بالإتفاق على المساجد. ومنهم الورتلاني الذي لم يجد وجها للمقارنة بين مساجد تونس وطرابلس ومصر ومساجد الجزائر. وكذلك أحمد بن ساسي البوني الذي اشتكى إلى الباشا محمد بكداش خراب المساجد في عنابة وخلوها من المصلين والعباد.²

ولعل ذلك ما دفع بعض البايات إلى توجيه اهتمامهم إلى المساجد. من ذلك ما قام به صالح باي في قسنطينة حين أحصى المساجد وأقام لذلك مجلسا علميا خاصا للنظر في شؤونها. وهو ما فعله الباي محمد الكبير في معسكر، فقد رسم وبني مساجد جديدة ليس فقط في عاصمته بل في مدن أخرى كعنابة.³

ورغم ذلك فقد تميزت بعض المساجد بجمالية البناء، وخاصة الصوامع ذات الطراز المغربي العريق. وتفنن البعض في زخرفة المساجد خاصة المرتبطة بالزوايا كمسجد زاوية الهامل، ومسجد عين ماضي وسيدي عقبة، وأولاد جلال وتقرت وغيرها من المدن الداخلية.⁴

¹ ابن مرزوق، المسند الصحيح في تاريخ مولانا أبي الحسن، تحقيق مارييا بيغيرا، تقدم محمود بو عياد، ش ج ن ت ، الجزائر، 1981، ص 35.

² سعد الله، مرجع سابق، ج 1، ص 250.

³ عائشة غطاس و آخرون، الدولة الجزائرية الحديثة و مؤسساتها، من منشورات المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية و ثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2007، ص 146.

⁴ بن سالم مصطفى، المسجد القاسمي بالهامل، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في علم الآثار، جامعة الجزائر، 1999.

ولعل ذلك ما دفع الفرنسيين إلى اختيار بعض المساجد لتحويلها إلى كنائس ليس إلا للزخرفة التي تميزت بها، والنقوش التي زينتها.¹ ولا شك أن المذهب المالكي الذي انتشر من أيام دولة المرابطين في المغرب، كان مذهب أغلب الأئمة في المساجد، ولذلك كانت المساجد مالكية بحثة، غير أن الوجود العثماني أدخل المذهب الحنفي إلى الجزائر ولذلك وجدت بعض المساجد الحنفية في العاصمة والمدية، بل في كل عاصمة إقليم، وهي تابعة في مجملها إلى مؤسسة سبل الخيرات.²

وقد امتازت مساجد الأحناف بالزخرفة والعناية الخاصة، ودقة البناء واستعمال الزليج والرخام في العرصات والمحراب، والتأنق في المنبر وقناديل الزيت والثريات والزراي الغنية والزخرفة والنقوش بالحروف العربية والتركية، والعناية بالعيون والإضاءة والنظافة، وقد يكون ذلك مرتبطا بجواز الزخرفة للمساجد في المذهب الحنفي وكراهية المالكية لذلك .

وقد عرفت بعض المساجد بكونها مساجد كبرى، كالمسجد الكبير بالعاصمة والذي كان مقرا للمفتي المالكي، وللمجلس الشرعي الأسبوعي أي المجلس الشريف، وكان هذا المجلس يضم المفتي المالكي والمفتي الحنفي، والقاضيين المالكي والحنفي وكبار العلماء والقضاة. كما كان يحضر الباشا أو نائبه عند الضرورة. ولم يكن المجلس للإفتاء فقط بل كان للمناظرات العلمية أيضا. وكثيرا ما كان يعقد لمحاكمة بعض العلماء على آرائهم التي لم تكن متناسقة مع الآراء الفقهية السائدة (كما حدث مع محمد بن عبد الرحمان الأزهري).³

وأما الجامع الجديد بالعاصمة فقد كان مقرا للمفتي الحنفي الذي كان مقام شيخ الإسلام في استانبول. ولعل من أشهر العائلات التي تولت هذا المنصب عائلة ابن العنابي. وقد بني في القرن الحادي عشر بأمر من الوجيه. وأن أوقافه كانت تحت مؤسسة سبل الخيرات.

¹ سعد الله، مرجع سابق، ج2، ص 252.

² عائشة غطاس و آخرون، مرجع سابق، ص258.

³ سعد الله،، مرجع سابق، ج 4، ص140.

وفي غير العاصمة عرف جامع الباي محمد الكبير بمعسكر. وقد كان الباي ينوي تحويله إلى جامعة إسلامية تضاهي فاس بالمغرب، غير أن قيام الثورة الدرقاوية حال دون ذلك. وقد كان مسجدا عظيما عجيبا في بنائه، له أوقاف كثيرة أوقفها الباي عليه. تصرف على موظفيه من إمام ومؤذن و حزابين ومسمعين وغيرهم. وفي قسنطينة وجد الجامع الكبير وجامع سوق الغزل وجامع سيدي الكتاني وجامع القصبة وجامع سيدي علي بن خلوف. وقد كان الباي حسن بوحنك قد بنى الجامع الكبير في حين بنى الباي حسين بوكمية جامع سوق الغزل سنة 1143هـ وهو للمذهب الحنفي.

وعلى العموم فلم تخل مدينة ولا قرية ولا دوار في الجزائر من وجود مسجد، وقد كانت المساجد للعبادة والعلم والمعرفة. وهي إما من تبرعات أهل البر والإحسان وإما من أعمال الأمراء والملوك و البايات. و قد أوقفت لكل مسجد أوقاف إسلامية، تصرف على العاملين به، لضمانديمومته واستمراره في أداء عمله.

والمساجد تختلف في بنائها ومواقفها بحسب المنطقة التي توجد بها، وبحسب الواقف عليها. وقد لعبت دورا أساسيا في الحفاظ على الهوية العربية الإسلامية للجزائر، وكانت جامعات إسلامية تلقى فيها الدروس الدينية وتعطى بها الإجازات التي تضاهي العالمية في الزيتونة أو القرويين أو الأزهر الشريف.

د- الزوايا والرباطات:

تعتبر الزوايا في العهد العثماني من أهم المؤسسات الثقافية التي كانت تقدم نوعا من التعليم الديني حافظت به على ملامح الشخصية الإسلامية العربية. وهي إلى جانب دورها العلمي، كانت مؤسسات اجتماعية تقدم خدمات للفقراء والمساكين وعابري السبيل. وقد يعود إليها الفضل الكبير في حفظ كتاب الله بعد أن استهدفت المساجد وأغلقت المدارس، وقل نشاط الكتاتيب

وقد عرفت الجزائر بكثرة زواياها. تستوي في ذلك المدن والأرياف. أما المدن فقد كانت كل مدينة محروسة بولي من الأولياء، فهو الذي يدفع عنها العدوان والأذى و الأمراض والأوبئة . ويزوره الناس ويتبركون به. و يلجؤون إليه لقضاء الحوائج وتفريج الكرب¹.

¹ يحي بو عزيز، مرجع سابق ، ج1، ص232.

وقد كانت مدينة العاصمة مكتظة بالأضرحة والقباب المقامة على قبور الأولياء والصالحين. ولعل بعضهم لم يعرف إلا بالعلم والمعرفة والجهاد ورغم ذلك يصر البعض على وصفه بالولاية، وإسباغ الألقاب عليه كالولي والقطب والوتد. ويتفننون في نسبة الكرامات إليه، كسيدي عبد الرحمان الثعالبي العلم المفسر، صاحب التأليف العلمية المشهورة.¹

وفي قسنطينة بلغ عدد الزوايا ما يزيد عن ست عشرة زاوية. بعضها لأولياء صالحين. والبعض الآخر لعائلات قسنطينية اشتهرت بالعلم والمعرفة. منها زاوية سيدي الكتاني، وسيدي المناطقية، وسيدي عبد المؤمن، وزاوية أولاد الفككون، وزاوية ابن نعمون وزاوية أولاد جلول.

وأما تلمسان فقد اشتهرت فيها زاوية سيدي الذيب وزاوية سيدي بومدين وزاوية محمد السنوسي وزاوية أحمد الغماري وضريح سيدي الحلوي الأندلسي وزاوية عين الحوت. وأغلب تلك الزوايا كانت رباطات للجهاد، تحولت بعد الجلاء الإسباني إلى زوايا للعلم والمعرفة ونشر الطريقة وتعليم الأوراد والاذكار.

وتعتبر منطقة زواوة وبجاية من أغنى مناطق الوطن بالزوايا. وقد اشتهر بها زاوية الأزهري بآيت اسماعيل، وزاوية ابن أبي داود، وزاوية الشيخ الطيار بالبيضان. وغيرها من الزوايا التي اهتمت بالقرآن والعلوم الشرعية، حتى سميت منطقة زواوة وجبالها بجبال النور.

والزوايا من حيث الهندسة مختلفة عن المساجد، فأغلب الزوايا بها مساجد دون مئذنة. وكأنها قاعة للدرس أكثر من كونها قاعة للصلاة. كما أن الزوايا تحتوي على أماكن للإيواء والإطعام، ولها أوقاف خاصة من الأراضي الزراعية والممتلكات.

وقد لعبت الزاوية في الأرياف دور المؤسسة التربوية في جميع مراحلها من مرحلة الكتاب إلى المدرسة إلى المسجد الجامع، فقد كانت تقدم دروسا في كل المستويات وتخرج منها العلماء والأئمة والقضاة.

وأما أدوارها في الحياة العامة فيمكن تلخيصها فيما يلي:

اهتمت الزوايا بالقرآن الكريم حفظا وتفسيرا وتخرج منها الآلاف ممن حفظوا الكتاب الكريم من الضياع والاندثار والنسيان. و نشرت علوم اللغة العربية وحافظت على مقوم من مقومات الشخصية الجزائرية، رغم مؤامرات المسخ التي مورست على الحرف العربي في الجزائر. وعملت على

¹ أحمد مريوش و آخرون، الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني، من منشورات المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية و ثورة أول نوفمبر، الجزائر، 2007، ص 57.

نشر الإسلام، وإن شاب ذلك بعض ما شابه في عصور التقليد. إلا أن ما لم تطأه سيوف الفاتحين، وطأته عصي المتصوفين. وقد رأينا من الجزائريين من حمل لواء الدعوة إلى الإسلام خارج حدود الوطن، من ذلك الشيخ محمد بن عبد الرحمان الأزهري القشطلبي، الذي بقي في السودان أكثر من ست سنوات يدعو إلى الله، وينشر الإسلام بين الوثنيين وهو مؤسس الطريقة الرحمانية في الجزائر وعموم المغرب العربي و بلاد السودان.¹

تعتبر الزوايا مؤسسات اجتماعية قدمت للمجتمع خدمات جليلة. ولربما سبقت الزوايا كل العالم في مجال الخدمة الاجتماعية، من علم وتربية، وإيواء، وتأهيل مهني واجتماعي، ورعاية نفسية، فقد كانت مفتوحة لكل فئات المجتمع دون استثناء، وملاذا آمنا في أوقات الكوارث والأزمات الاجتماعية.

مثلت الزوايا خاصة في الجزائر معارضة للسلطة الحاكمة في كثير من فترات التاريخ. فقد ثارت الطريقة الدرقاوية على الحكم التركي وكادت تفت في عضده. والحال نفسه بالنسبة للطريقة التيجانية. بالإضافة إلى أن الزوايا حملت لواء الجهاد ضد المستعمر، منذ كانت رباطات على السواحل الجزائرية إلى أن أصبحت زوايا للعلم والمعرفة.

4 - المكتبات:

يعتبر وجود المكتبات مؤشرا هاما لقياس مدى الاهتمام الذي يوليه مجتمع ما للثقافة عامة و للقراءة خاصة. باعتبارها المحرك الأساسي لعملية الاكتشاف سواء للذات أو للغير. و المجتمع الذي تكثر فيه الكتب والمكتبات هو مجتمع يستطيع أن يتواصل مع المجتمعات الأخرى. و أن يحمل لها موروثه الثقافي. و هو إلى جانب ذلك مستعد، عن طريق القراءة لأن يتقبل إنتاج الآخرين و أن يستفيد منه.²

لقد اتسمت الحضارة الإسلامية خاصة بالاهتمام البالغ بالكتب. حتى عدت المكتبات و الإنفاق عليها من مفاخر الحكام المسلمين. و لقد استقدم المسلمون لذلك علماء و مترجمين و نساخين. و اغدقوا عليهم في العطاء و وزنوا كتبهم بالذهب و الفضة. و بعثوا بمن ينقب لهم في

¹ يحي بوعزيز، مرجع سابق، ج1، ص 217.

² أحمد أنور عمر، المعنى الاجتماعي للمكتبة، المكتبة الأكاديمية، مصر، 2007، ص 17.

البلاد عن الكتب المفيدة دون النظر إلى أصل كاتبها أو جنسه. فأقاموا بذلك حضارة عرفت بالقراءة و الكتابة. و عاش فيها العلماء مكرمين دون تمييز بينهم في جنس أو لون أو دين.

و ازدهرت صناعة الكتب، و عرفت سوق النساخين في كل حضارة اسلامية ، و التي كانت الى جانب نسخ الكتب مجالا للسجال العلمي و النقاشات المعرفية، و التلاقح الفكري. و ازدهر معها الخط العربي و تطور من خط بسيط الى خطوط عدة منها الخط المغربي البديع. ولم تكن المكتبات العامة هي ما ميز الحضارة العربية سواء في المشرق او المغرب، بل كان الى جانب ذلك المكتبات الخاصة، و منها مكتبة آل الفكون في قسنطينة و مكتبة أبي راس الناصري التي حبسها عليه أحد بابايات وهران، وكانت تسمى بيت المذاهب الأربعة، و مكتبة الورتلاني، و كذا مكتبة الزجاي و مكتبة شيخ العرب ابن صخري.

و رغم أن العثمانيين لم يعرفوا باهتمامهم بالعلم و المعرفة بسبب ما عرفوا به من الغزو والصناعات الحربية، إلا أن العهد العثماني شهد حركة نشيطة في مجال تأليف الكتب ونسخها و تسويقها. و لعل ذلك من مخلفات الدولة الزيانية التي عرفت حواضرها كتلمسان و العاصمة و وهران و معسكر بكثرة المكتبات. وقد كانت الكتب تؤلف في الداخل أي بأيدي العلماء الجزائريين. و تجلب احيانا من الخارج في الرحلات التي كان العلماء يقومون بها الى المشرق. وقد كان العلماء يتبادلون الكتب فيما بينهم و يحرصون على زيارة المكتبات العامة و الخاصة في الحواضر التي يمرون بها. و يقومون بنسخ الكتب بأنفسهم او على أيدي بعض تلاميذهم. و قد اشتهرت كل مدينة بنساخها و خطاطيها من الذين جمعوا الى الدقة و التوثيق جمال الخط و حسن اختيار الورق و الخبر و التجليد.¹

و من المكتبات ما كان تابعا لمسجد من المساجد الجامعة كالمسجد الكبير في العاصمة و مكتبة المدرسة الكتانية في قسنطينة و المحمدية في معسكر.

و بما أن العلوم الشرعية كانت السائدة آنذاك فقد كانت جل الكتب عبارة عن تفاسير للقرآن الكريم و كتب للفقهاء و علوم اللغة و المنطق والتاريخ. وربما بشكل قليل كتب الطب

¹ سعد الله، مرجع سابق، ج1، صص 290-291.

و الحساب. ولم يقبل الجزائريون حكاما و محكومين على وقف الكتب إقبالهم على الوقف الاجتماعي. فهناك بعض من العلماء الذين وقفوا مكتباتهم لبعض المساجد. و كذلك البعض ممن يقف عادة كتب الادعية و الصلوات و بعض كتب الحديث كالبخاري و مسلم. و في العموم لم يكن وقف الكتب ظاهرة عامة بين عموم الناس في الجزائر.

و قد كانت الحملة الفرنسية على الجزائر سببا مباشرا في ضياع الآلاف من الكتب التي حملت الى باريس، و لم يعرف مصيرها الى الآن، ناهيك عن المكتبات التي أحرقت بالكامل من طرف جنود الاستعمار الفرنسي .

و لقد انبهر المؤرخون الفرنسيون من كثرة الكتب في الجزائر، و هو ما لم يكن في حسابهم غداة الاحتلال الفرنسي للجزائر. و حملت الكتب الى باريس بنفس الأهمية التي حملت بها أموال الدولة الجزائرية التي نهبها المستعمر الذي وعد الجزائريين بالإبقاء على ممتلكاتهم و مساجدهم و تراثهم كما هو دون المساس به، و أن الأمر لا يعدو مجرد تأديب للداي الذي خدش حياء الدولة الفرنسية.¹

خامسا-الوقف و أثره في الحياة الثقافية في عهد العثمانيين:

لا يمكن الحديث عن الحياة العقلية و الثقافية في العهد العثماني دون التطرق إلى موضوع الوقف باعتباره أحد العوامل التي ساهمت في الحفاظ على التعليم و المؤسسات التعليمية من مساجد و مدارس و زوايا، و كانت أهم ما ميز العمل الخيري في ذلك العهد.

و الوقف لغة الحبس. يقال وقف يقف وقفًا. أي حبس بحسب حبسا. و أما اصطلاحا فهو: حبس الأصل و تسبيل الثمرة. أي حبس المال و صرف منافعه في سبيل الله.²

و هو ينقسم إلى قسمين:

أ-الوقف العام أو الوقف الخيري: و يقصد به ما كان ريعه يصرف من اول يوم إلى الجهة الخيرية مثل الوقف على المساجد و المستشفيات و المدارس و غيرها.³

¹ انظر: عمار بوحوش، مرجع سابق، ص81، و نعي هنا حادثة المروحة، 29 افريل 1827م.

² السيد سابق، فقه السنة، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1984، ج3، ص115.

³ محمد كنانة، الوقف العام في التشريع الجزائري، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2006، ص14.

ب-الوقف الخاص أو الوقف الذري: و هو ما كان ريعه مصروفا على الواقف نفسه، ثم على أولاده و ذريته من بعده. و بعد انقراضهم يصرف إلى الجهة الخيرية. و يعرف أيضا بالوقف الذري أو الوقف العائلي.¹

1-الحكمة من الوقف: شرع الوقف لجملة من الأهداف تتلخص فيما يلي:

-ترتيب الأجر و الثواب المستمر للعباد في حياتهم و بعد مماتهم،من خلال الإنفاق والتصدق و البذل في وجوه البر ...فالوقف نوع من القربات التي يستمر أجرها صدقة جارية إلى يوم قيام الساعة.

-تحقيق مبدأ التكافل الاجتماعي بين أفراد الأمة ، و إيجاد عنصر التوازن بين الأغنياء الفقراء في المجتمع المسلم؛ إذ يعمل الوقف على تنظيم الحياة من خلال تأمين حياة كريمة للفقير،و إعانة العاجزين من أفراد الأمة، و حفظ كرامتهم من غير مضرة بالأغنياء.

-يضمن الوقف بقاء المال و حمايته و دوام الانتفاع، و الاستفادة منه أكبر مدة ممكنة و المحافظة عليه من أن يعبث به من لا يحسن التصرف فيه.

-يحقق الوقف أهدافا اجتماعية واسعة و شاملة. و يوفر سبيل التنمية العلمية و العملية للمجتمع المسلم .كما في الوقف على جميع أصناف دور العبادة و طلبتها بما يعود بالنفع على المسلمين جميعا.²

2-الوقف في العهد العثماني:

عرف الوقف في حياة الجزائريين منذ زمن بعيد. فهناك أوقاف يعود تاريخها إلى العهد الزياني. و لعل الظاهرة انتشرت في العهد العثماني و اتسعت. و أقبل الجزائريون على الوقف بنوعيه الخيري و الذري.سواء بداعي فعل الخير أو خوفا من مصادرة السلطة الحاكمة للأراضي و الممتلكات عقب الثورات التي قامت بها القبائل ضد الغطوسة التركية و ظلم البايات و القياد و قبائل المخزن. و في كلتا الحالتين فقد كان الوقف موردا اقتصاديا مهما .استفادت منه الزوايا و

¹ محمد كئارة ، المرجع نفسه،صص14-15.

² أيمن محمد العمر، الوقف و دوره في التنمية الاقتصادية. www.islam.Gov.kw

المساجد و المدارس. و صرفت امواله في الإنفاق على العلماء و المعلمين و القائمين على خدمة المساجد. و هو بذلك "مصدر العيش للزوايا و الأضرحة و غيرها من المؤسسات الدينية. كما أنه مصدر الحياة و النمو للمساجد و المدارس و الكتاتيب و معيشة الطلبة"¹.

3-الدور الذي لعبته الأوقاف في الحياة الاجتماعية في العهد العثماني:

لعبت الأوقاف الإسلامية في العهد التركي ادوارا عدة يمكن تلخيصها فيما يلي:

أ-**الدور الاجتماعي:** لعب الوقف دورا اجتماعيا مهما في مجال الخدمات المقدمة للفقراء و المساكين ، إذ تنوعت أصناف و مصارف الوقف تنوعا كبيرا شمل كل نواحي الحياة العامة. فقد كانت هناك:

-أوقاف على المستشفيات و دور العجزة و الأيتام.

-الوقف على حفر الآبار. و تعبيد الطرق و إنارة المسالك.

-الوقف على إيواء الفقراء و المساكين و المشردين.²

ب-الدور الثقافي الديني:

كان للوقف دور عظيم في إثراء الحياة الثقافية في العهد التركي الذي لم يكن فيه مؤسسة رسمية تهتم بالتربية و التعليم و لم يكن للأتراك بحكم اشتغالهم بالحرب و القرصنة أي عناية بهذا الجانب . فكان الوقف أحد العوامل التي حافظت على التعليم و حمته من التلاشي و الاندثار و قد تمثل ذلك فيما يلي:

-بناء المساجد و ترميمها و الانفاق عليها و صيانتها و دفع مرتبات القائمين عليها.

-تشبيد الزوايا و الرباطات و المعمرات للذكر و العلم و الجهاد.

-إقامة الكتاتيب و المدارس و التكفل بطلبة العلم.

¹ سعد الله، مرجع سابق، ج1، ص231.

² مصطفى السباعي، من روائع حضارتنا، المكتب الإسلامي، دمشق، سوريا، 1397هـ، ص119.

-الوقف على قراءة القرآن. و ذلك بأن يقف إنسان حدائق أو دورا يصرف مردودها على مجموعة الحزابين الذين يداومون على قراءة الحزب الراتب كل يوم في المسجد.

-الوقف على طلبه العلم. خاصة الذين يتوجهون إلى الزيتونة و الأزهر و القرويين.¹

4-أثر الوقف في الحياة الإجتماعية:

و أما أثر الوقف في الحياة الإجتماعية عموما. فيمكن تلخيصه على النحو التالي:

أ- التخفيف من معاناة الفقراء و المساكين و المعوزين: و ذلك على شكل مبالغ مالية يقدمها وكلاء الوقف في الجامع الأعظم و سبل الخيرات و الحرمين الشريفين للمحتاجين كل يوم خميس. و الأمر نفسه بالنسبة لوكيل مقام سيدي عبد الرحمن الثعالبي.

ب- العمل على تماسك الأسرة الجزائرية: ذلك أن أحكام الوقف الأهلي تقر صراحة لصاحب الوقف الانتفاع هو و عقبه بالوقف حسب الوصية التي يسجلها في وثيقة الوقف. فلا يصرف الوقف على الجهة التي وقف من أجلها إلا بعد انقراض الورثة². و هذا ما مكن الأسرة الجزائرية من المحافظة على تماسكها و حال دون اقتسام الوقف أو بيعه من طرف الورثة .

ج- الحد من المظالم و الأحكام التعسفية للحكام: رغم الاستبداد العثماني في الجزائر و الظلم و التعسف الذي مارسه السلطة الحاكمة على الجزائريين. و الذي شمل أحيانا مصادرة الاراضي و الممتلكات. إلا أن العثمانيين كانوا حريصين على عدم المساس بما له علاقة بالأحكام الشرعية و منها الوقف. الذي يكتب من طرف القاضي الحنفي أو المالكى و يخضع لأحكام الشريعة الإسلامية. و بذلك بقي الوقف بمنأى عن الجور و الظلم و وضع اليد تحت أي مبرر. بل لقد لجأ البعض من الأهالي إلى الوقف الصوري. و هو نوع من التحايل للحفاظ على الممتلكات و الأموال. و لعله ما يفسر أحيانا كثرة الوقف في العهد العثماني.³

¹ انظر: ناصر الدين سعيدوني ، دراسات تاريخية في الملكية و الوقف و الجباية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2001، ص 234 و ما بعدها.

² ناصر الدين سعيدوني ، "الوقف و مكانته في الحياة الاقتصادية و الإجتماعية و الثقافية بالجزائر أواخر العهد العثماني و بداية الاحتلال الفرنسي"، مجلة الأصالة، الجزائر، 1981، العدد 89-90.

³ ناصر الدين سعيدوني، دراسات في الملكية و الوقف و الجباية، مرجع سابق، ص 247.

5-مؤسسات الوقف في العهد العثماني في الجزائر:

كان للوقف في العهد العثماني مؤسسات ترعاه و تعمل على تنميته و تتعهدده من الضياع أو المساس به. وقد كان لهذه المؤسسات دور مهم في إعطاء الوقف دوره الإجتماعي الذي شرع من أجله. و هذه المؤسسات هي :

أ-المؤسسات الوقفية العامة أو الرسمية: و هي:

1. مؤسسة الحرمين الشريفين: و سميت بذلك لأن أوقافها كانت تصرف على أهل الحرمين الشريفين الذين يمرون بالجزائر و يثبت انتماءهم إلى الحجاز. و لقد بلغت أوقافها أضعاف ما في المؤسسات الوقفية الأخرى و ذلك للمكانة الخاصة للحرمين الشريفين في قلوب الجزائريين. و قد كانت أموال الوقف تحمل سنويا إلى شريف مكة عن طريق مبعوث خاص. و تحمل أموال الفقراء كل سنتين لتوزع على المحتاجين من أهل الحجاز¹.

2. مؤسسة أوقاف الجامع الأعظم:

يعد الجامع الأعظم بمدينة الجزائر من أقدم الجوامع. إذ يعود تاريخه إلى القرن الحادي عشر. و تدل الكتابة الموجودة على منبره أنه كان موجودا في رجب 409هـ / 1018 م. و تبلغ مساحته 2000 م²، و ساحة كبيرة نصبت فيها بطارية من أربع مدافع تشتمل على محلبة تسمى الجنيبة و بها فناء و عدد من الغرف يشغلها المفتي و العاملون بالمسجد. كما يوجد مصلى يستعمل للصلاة على الموتى². و قد كان يحتضن المجلس العلمي المكون عادة من المفتي الحنفي و المفتي المالكي و الفقهاء و الأشراف. و تعقد فيه المناظرات العلمية و تطرح فيه القضايا الكبرى التي كان البايات يحضرون جزءا منها³.

و قد بلغت أوقافه من الكثرة حتى وصلت 555 وقفا، بعضها اشترك فيه مع المؤسسات الوقفية الأخرى، وبلغت مداخيله سنة 1827م 1200 فرنك. و هي عائدات 157 ملكية، منها 125

¹ ناصر الدين سعيدوني، المرجع نفسه، ص 247.

² عائشة غطاس و آخرون، مرجع سابق، ص 310.

³ عبد الجليل التميمي، من أجل كتابة تاريخ الجامع الأعظم بمدينة الجزائر، المجلة التاريخية المغربية، جويلية 1980، عدد 19، ص 160.

منزلا، 03 أفران، 39 بستانا، 19 مزرعة. و كانت مهمة الإشراف عليها و تسييرها توكل إلى المفتي المالكي. و من العائلات المشهورة التي تولت الإفتاء في الجامع الأعظم عائلة قدورة.¹

3. مؤسسة أوقاف بيت المال:

يشرف على بيت المال في النظام الإداري للجزائر أيام الحكم التركي موظف يسمى " بيت المالجي". وهي من جهة مؤسسة رسمية و من جهة أخرى مؤسسة خيرية تعنى بأموال اليتامى و الغائبين و من ليس له وريث. إلى جانب ذلك فقد كانت تقوم بتشديد المرافق العامة كالمستشفيات و المساجد و تعبيد الطرقات. و تقوم كل خميس بتقديم الصدقات للفقراء و المساكين.²

4. أوقاف الجند و الثكنات و المرافق العامة:

و سميت بذلك لأن مداخيل الأوقاف تصرف على الجنود و صيانة الثكنات. فضلا عن الكثير من المرافق العامة ، مثل السواقي التي يقصدها عابروا السبيل حتى سميت بذلك أي "السبيل". و رغم أنها ليست ذات طابع ديني، إلا أنها كانت ذات منشأ ديني . و ذلك من أجل خدمة الناس و توفير الماء لهم، و تشييد المرافق العامة. و قد أوقفت الكثير من البنايات على الجنود الذين كانوا يتواجدون في 07 ثكنات في مدينة الجزائر.³

ب- المؤسسات الوقفية الخاصة: و من أهمها:

1.- مؤسسة سبل الخيرات:

تعتبر ثاني مؤسسة خيرية من حيث الوقف. وهي مؤسسة وقف للأتراك و الكراغلة. تصرف أموالها في المساجد الحنفية . و قد كانت بالجزائر العاصمة مجموعة كبيرة من المساجد التي تشرف عليها .

¹ عبد الجليل التميمي، المرجع نفسه، ص 281 .

² أحمد مريوش و آخرون، الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني، منشورات المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية و ثورة أول نوفمبر 1954، 2007، ص 57.

³ مصطفى بن حموش، "الوقف و تنمية المدن من التراث إلى التحديث"، ندوة الوقف الإسلامي، 6-7، ديسمبر 1997، جامعة الإمارات العربية المتحدة، العين، ص 06 .

و يعود أمر التصرف في أموال مؤسسة سبل الخيرات إلى المفتي الحنفي. و هي تشرف على كل المؤسسات الخيرية الحنفية من مساجد و مدارس و زوايا. و قد كانت ذات نفوذ قوي في الدولة. و يعين الباشا أعضائها. و ممن ترأسوها الحاج خليل معزول آغا. و يعود هذا النفوذ إلى أهمية و قيمة الأوقاف التي كانت تسرف عليها و التي بلغت 331 وقفا. منها 119 ملكية عقارية، توفر 18000 فرنكا¹.

2. أوقاف الأولياء و الأشراف:

لا شك ان المكانة الروحية الذي يحتلها الأولياء و الصالحون في قلوب الجزائريين. وما يمثله هؤلاء من رمزية دينية و علمية و جهادية جعل الوقف عليهم و على أضرحتهم و زواياهم قبلة الواقفين. إذ كانت أغلب الزوايا تستقبل طلبة العلم و عابري السبيل و وفود الزائرين. و هي ملجأ المحتاجين أيام الكوارث و المجاعات.²

ولم تخل مدينة او قرية من ضريح لولي صالح وقفت له دور سكنية أو عقارات تجارية أو بساتين من التمر أو الزيتون. وكانت الحيوانات من بين أوقاف الأضرحة و الزوايا و المعمرات.³

ففي مدينة العاصمة كانت هناك تسعة أضرحة تصرف عليها أوقاف و كان من بينها ضريح الولي الصالح سيدي عبد الرحمان الثعالبي، الذي يقع بنواحي جرجرة.⁴ و تأتي أوقاف سيدي عبد الرحمان الثعالبي هذه في مقدمة الأوقاف الإسلامية في العاصمة. إذ بلغت تسعة و ستين وقفا، بدخل سنوي بلغ 6000 فرنك. تنفق على القائمين على الضريح، و يوزع قسم منها على الفقراء المدينة كل يوم خميس، بنسبة فرنك إلى ثلاثة فرنكات لكل فرد.⁵

¹ ناصر سعيدوني، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 157.

² انظر: ناصر الدين سعيدوني، دراسات في الملكية و الوقف و العجاية، مرجع سابق، ص 89.

³ يحي بوعزيز، مرجع سابق، ج 1، ص 223.

⁴ عائشة غطاس و آخرون، مرجع سابق، ص 302.

⁵ ناصر الدين سعيدوني، دراسات و أبحاث في تاريخ الجزائر، مرجع سابق، ص 159.

وفي منطقة القبائل قدرت أوقاف سيدي علي بن موسى أفسس بمعاققة في الطريق المؤدي إلى ذراع الميزان، قرب تيزي وزو ب 58 شجرة زيتون. 34 شجرة تين، و أراض صالحة للزراعة.¹

و في منطقة بوسعادة بلغت أوقاف زاوية الهامل، حسب التركة التي وقفها المؤسس على ابنته السيدة زينب: دراهم: 370 ألف فرنك. ذهباً: 12000 فرنك. فضة: 500 فرنك. متاعاً: 250 فرنك. مواد غذائية: 3000 فرنك. كتباً: 1400 كتاب قومت ب 13000 فرنك.²

و في تلمسان بلغت أوقاف سيدي بومدين 23 وقفا بالمدينة و نواحيها حتى "أن بعض الزوايا اليوسفية و القادرية و التيجانية و الزيانية و غيرها قد امتلكت الثروة و توافدت عليها الهدايا و العطايا.. و قد عرف عن العثمانيين سخاؤهم اتجاه رجال الدين و المرابطين خاصة؛ حيث كان بعض الباشوات يمنحون في مناسبات معينة جزءاً من جزية أهل الذمة إلى الأشراف و المرابطين.³

و أما الأشراف فقد مثلوا فئة مميزة في المجتمع الجزائري إبان العهد العثماني. وكانت لهم أوقافهم الخاصة. إذ يعود ظهور الأشراف إلى أوائل القرن الحادي عشر (17م). و قد بنى لهم محمد بكداش باشا زاوية خاصة بهم ووقفها لهم. و نصت وقفيتها لهم على ألا يقيم فيها سوى الشريف غير المتزوج. و لا يتولى فيها الإمامة و الدرس و الخطبة إلا الشريف. و قد كان للأشراف في الجزائر نقابة خاصة و نقيب يسمى نقيب الأشراف. و من أشهر العائلات التي تولت هذه النقابة عائلة الزهار.⁴

3. أوقاف أهل الأندلس:

سكن أهل الأندلس المدن الجزائرية، خاصة الساحلية منها، بعد سقوط الأندلس و ما تبع ذلك من عمليات قرصنة و اعتداء كان الإسبان يقومون بها من أجل الاستيلاء على خيرات المهاجرين. و لذلك لم يتوان الأندلسيون في الدفاع عن المدن الجزائرية، و تسخير قدراتهم العقلية و

¹ عائشة غطاس و آخرون، مرجع سابق، ص 309.

² عبد المنعم، مرجع سابق، ص 296-297.

³ سعد الله، مرجع سابق، ج 2، ص 239.

⁴ المرجع نفسه، ص 238.

الحرية ، و بذل أملاكهم و أموالهم في التصدي للإسبان ¹ . و قد رأينا كيف استطاع الأندلسيون التأثير في الحياة الاجتماعية العامة، بما جلبوه من صناعات يدوية لم تكن معروفة . من ذلك فن الزخرفة و صناعة الكتب . و بعض الصناعات الحربية . الفنون الموسيقية من موشحات أندلسية . ناهيك عن التفنن في الخط الذي طوره إلى أن وصل إلى ما يعرف اليوم بالخط المغربي و هو في الأصل خط أندلسي.²

و اما أوقافهم فهي لا تقل أهمية عن أوقاف الأولياء و الأشراف . فقد أصبحوا بسبب اشتغالهم بالتجارة من أغنياء الجزائر، و خصوا جامع الأندلس و الزاوية الملحقة به بأوقافهم.

وقد أسس المسجد الأندلسي في النصف الأول من القرن السادس سنة 1633م. و بلغت املاكه 40 ملكية و 61 عناء وضعت تحت تصرف وكيل الأندلس. و قد تعززت مؤسسة أوقاف الأندلسيين بتأسيس زاوية الأندلسيين. ثم كثرت مشاريعهم الخيرية حتى أصبحت تقدر ب 408.072 فرنكا ذهبيا. و خصصت مداخيل الأوقاف لمساعدة المهاجرين الأندلسيين الفارين بدينهم من محاكم التفتيش و الإبادة العرقية التي مارسها الإسبان عليهم بمباركة من الكنيسة آنذاك. ومن أشهر العائلات الأندلسية عائلة المفتي الكبابي و حميدة الأندلسي.³

وهذا التقسيم للوقف على أوجه متعددة يظهر السلوك الحضاري للأندلسيين. فهم يريدون أن يستفيد أكبر عدد ممكن من الناس من الوقف . ناهيك عن مكانة الحرمين الشريفين في نفوسهم ، بالإضافة إلى اندماجهم التام في المجتمع الجزائري. و هم بذلك لم يقصروا أوقافهم على مساجدهم ، و لا على فقرائهم -رغم حاجتهم -و لكن اقتسموا كل ذلك مع إخوانهم الجزائريين، في سلوك لم يصدر عن الأتراك و لا الأشراف.

6- سياسة فرنسا نحو الوقف في الجزائر:

"إن الأوقاف تتعارض و السياسة الإستعمارية، و تتنافى مع المبادئ التي يقوم عليها الوجود الإستعماري الفرنسي في الجزائر"⁴ . تلخص هذه العبارة من الكاتب الفرنسي زوس

¹ انظر: ناصر الدين سعيدوني، دراسات و أبحاث في تاريخ الجزائر، الفترة الحديثة و المعاصرة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988، ص 51-52.

² سعد الله، مرجع سابق، ج 1، ص 290-291.

³ سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث، بداية الاحتلال، ش و ن ت، الجزائر، 1982، ص 161.

⁴ ناصر الدين سعيدوني، دراسات تاريخية في الملكية و الوقف و الجباية، مرجع سابق، ص 250.

ZEYS نظرة فرنسا إلى الوقف الأهلي، على أنه يمثل خطرا على السياسة الإستعمارية التي جاءت من أجل الاستيلاء على خيرات هذا الوطن. و ليس ذلك بغريب عن القوات الفرنسية التي وقعت معاهدة الاستسلام في 05 جويلية 1830 و جاء في بندها الخامس ما لي: " تبقى ممارسة الديانة المحمدية حرة و لن ينال من حرية السكان من جميع الطبقات و لا من ديانتهم و ممتلكاتهم و تجارتهم و صناعاتهم .إن القائد العام يتعهد بشرفه على احترام ذلك." ¹ ثم بعد ذلك قامت بتدمير ممنهج للمساجد و الزوايا و المدارس. و استولت على الممتلكات الخاصة و العامة . و صادرت الأراضي ودمرت كل أشكال الملكية في الجزائر. ورغم أن الوقف ظل عصيا عليها فقد أوجدت له مبررات و سنت له قوانين لضمه إلى سلطة الإدارة تمهيدا للقضاء عليه. و لقد انتهجت في ذلك طرقا عدة في مراحل مختلفة على النحو التالي:

- تدمير المساجد و الاستيلاء على أوقافها ². و هو ما يعني ضياع الجهة الموقوف عليها. و بالتالي لم يعد للوقف معنى، و جاز للإدارة الفرنسية ضمه إلى أملاكها. ولذلك تم غلق 13 مسجدا، 108 مسجدا صغيرا، 32 جامعا و 12 زاوية في أقل من سنة. ³
- إصدار قوانين تخضع الملكيات الخاصة وأموال الوقف للقوانين الفرنسية .دون مراعاة أحكام الشريعة الإسلامية، و التي كانت قانون أهل البلد.
- اعتبار العقارات و الأراضي غير المستغلة دون ملكية. و بالتالي يحق للإدارة مصادرتها
- مطالبة السكان و المستغلين للأوقاف بتقديم أوراق الملكية و هو ما عجز عنه الكثيرون. مما كان مبرا للاستيلاء عليها.

1.6- أهم القوانين و المراسيم الإستعمارية الصادرة و المتعلقة بالوقف:

-قرار 08 سبتمبر 1830: الصادر عن الجنرال كونت كلوزيل Comte Clauzel و الذي يقضي بمصادرة الأوقاف الإسلامية و الاستيلاء عليها ¹.

¹ عبد الحميد زوزو، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 69 .

² خديجة بقطاش، أوقاف مدينة الجزائر بعد الاحتلال الفرنسي 1830، مجلة الثقافة،الجزائر، 1981 عدد 66، ص75.

³ انظر: الغالي غربي و آخرون، العدوان الفرنسي على الجزائر، الخلفيات و الأبعاد، منشورات المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية و ثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2007، ص270.

-قرار 07 ديسمبر 1830 : المكمل للقرار السابق و الصادر عن الهيئة نفسها أي القائد كلوزيل. و الذي يقضي بتعيين الإدارة الفرنسية وصية على أموال الأوقاف الموجهة إلى الحرمين أو أي جهة خيرية أخرى.²

- المنشور الملكي المؤرخ في 21 أوت 1839: و هو المنشور الذي صدر بعد المعارضة التي أبداهها السكان و العلماء للقرارات السابقة . و قد قسم الملكية إلى:

أ. أملاك الدولة : و تخص كل العقارات المحولة. و التي توجه إلى المصلحة العمومية عن طريق قرارات تشريعية و المكتسبة عن طريق مداخيل و رأس المال من أموال الخزينة. و كذا كل العقارات التي كانت إدارتها في عهد الأتراك لا تحول إلى الهيئات المحلية. أو لم تكن ملكا للجماعات المحلية أو التجمعات السكنية أو الجمعيات.

ب. الأملاك المستعمرة

ت. الأملاك المحتجزة.³

-قرار 23 مارس 1843: المارشال دوق دي دالماتي Duc de dalmatie و الذي ينص على جعل الأموال المخصصة للمؤسسات الدينية في خدمة ميزانية الدولة.⁴

- قرار 06 أكتوبر 1843: و الذي نص صراحة على ضم املاك الوقف التابعة للمساجد و الزوايا و المرابطين و المؤسسات الدينية و الأضرحة و المقابر للأملاك المستعمرة.⁵

¹ Mahfoud Kaddache, **L 'Algérie des algériens, De la préhistoire à 1954** , Paris Mediterranée , france, 2003, p571.

² Charles André Julien, **Histoire de l'algerie contemporaine, La conquête dès le début de la colonisation, 1827-1871**, Gasbah édition, Alger, 2005, p67-68.

³ موسى عاشور، أساليب الاستعمار الفرنسي في الاستيلاء على الاوقاف، 1830-1962، من أعمال الملتقى الوطني الأول حول العقار في الجزائر إبان الاحتلال الفرنسي، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر، 2007، ص79.

⁴ بشير بلمهدي علي، السياسة العقارية الاستيطانية الفرنسية اتجاه الوقف أو الجبوس في الجزائر، من أعمال الملتقى الوطني الأول حول العقار في الجزائر إبان الاحتلال الفرنسي، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر، 2007، ص215-216.

⁵ موسى عاشور، مرجع سابق، ص 80.

- قرار 05 ديسمبر 1857: يظهر أن هذا القرار جاء بعد التدمير الذي تعرض له الوقف الأهلي. و أنشئ بموجبه المكتب الخيري الإسلامي الذي أسند تسييره إلى مجموعة من الجزائريين و الفرنسيين. و من صلاحياته قبول الهدايا و التبرعات من الجزائريين وغيرهم ذلك لتعويض الأضرار التي تسبب فيها السياسة الإستعمارية للوقف الأهلي.¹

- القرار الصادر عن مجلس الشيوخ بتاريخ 1863.04.22:

اعتبر هذا القرار ضربة أخرى للملكية عامة و الوقف خاصة. إذ عمد إلى تحديد ملكية القبائل و تقسيمها إلى ملكيات فردية تمهيدا لتسهيل التنازل عليها للمعمرين. و كذا تحديد أراضي البايك . و التي ستقسم على المعمرين باعتبار أنه لا مالك لها. و قد هدف القرار- فيما هدف- إلى القضاء على النسيج الإجتماعي الجزائري الذي كانت الملكية الجماعية أحد دعائمه.²

-قانون فارني: la loi warnier: 1873.07.26:

كان هذا القانون آخر حلقة في سلسلة القرارات الإستعمارية الهادفة إلى القضاء نهائيا عن كل اشكال الملكية الفردية أو الجماعية. و القضاء على كل دعائم النظام الإجتماعي الجزائري و في مقدمتها الوقف الأهلي الذي كان نظاما اقتصاديا امتدت خدماته إلى كل نواحي الحياة اليومية في الجزائر.³ وقد نص على أن تأسيس الملكية العقارية في الجزائر وحفظها و الانتقال التعاقدي للممتلكات و الحقوق العقارية مهما كان أصحابها يخضع للقانون الفرنسي.⁴

و الذي يمكن قوله بعد هذا الاستعراض للقوانين الفرنسية المتوالية هو أن الاستعمار أدرك المعاني الحقيقية للوقف الأهلي كنظام اقتصادي قائم بذاته له تأثيراته المختلفة على الحياة الإجتماعية

¹ بشير بلمهدي علي، مرجع سابق، ص 226

² أحمد علي عبد المالك، "المنظومة العقارية في الجزائر"، من منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر من 21 الى 26 نوفمبر، 1999 ، ص 5.

³ انظر حول أهداف القوانين الفرنسية: عدي الهواري، الاستعمار الفرنسي في الجزائر، سياسة التفكير الاقتصادي و الإجتماعي 1830 - 1960، بيروت، لبنان ، ص 19.

⁴ أحمد علي عبد المالك، المرجع السابق، ص 3-4.

و الثقافية و العلمية ، و لذلك سعى بكل ترسانته العسكرية و القانونية لتدميره و القضاء عليه و حرمان الجزائريين من مورد اقتصادي متجدد، ظل لقرون شريان حياة للكثير من مؤسسات المجتمع الرسمية و المدنية.

سادسا-التعليم في الجزائر خلال العهد الإستعماري:

ظلت فرنسا طيلة بقائها في الجزائر تروج للسياسة التعليمية المتحضرة التي تهدف إلى إخراج الجزائريين من الجهل الذي مارسه العثمانيون عليهم، الى نور الحضارة الغربية الذي جلبته جيوش فرنسا معها منذ أن وطئت أرض الجزائر. و ذلك عن طريق تعميم التعليم الفرنسي ، كخطوة أولى لتمكين الأهالي من استيعاب مبادئ الحضارة ، و المدنية الغربية. و كخطوة ثانية محاولة جعل التعليم وسيلة لتقرب فرنسا منهم. و في الأخير تأهيل الجزائريين و رفعهم إلى مصاف الرجل الأوروبي ليتم دمجهم في المجتمع الفرنسي.¹

1-سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر:

اعتبرت فرنسا التعليم في الجزائر وسيلة لتحقيق مطامعها الإستعمارية، و على رأسها فصل هذا الشعب عن تاريخه و مقومات شخصيته العربية الإسلامية. و إحياء النعرات القبلية و الدعوات الجهوية. و تقطيع أوصاله عن طريق تشجيع اللهجات العربية الدرجة بغية نشر الحرف اللاتيني مكانه. و لذلك لا يمكن فصل التعليم الفرنسي في الجزائر عن السياسة الفرنسية الإستعمارية عامة. و ما دفع إلى ذلك هو الانتشار الواسع للتعليم في المدن و الأرياف و الإقبال الشديد للجزائريين عليه²، و كثرة المدارس التي فاقت أحيانا كل التوقعات. ناهيك عن الأوقاف الموجهة للتربية سواء في المساجد أو المدارس أو الزوايا و المعمرات، يستوي في ذلك أهل الريف و أهل المدينة و الأغنياء و الفقراء رغم انعدام مؤسسة رسمية ترعى كل ذلك و تشرف عليه و تطوره و تنميه في ظل التحولات التي كان يعرفها العالم آنذاك. إذ رغم الكم الهائل من المدارس و المعلمين

¹ عمار هلال، أبحاث و دراسات في تاريخ الجزائر المعاصرة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995، ص 101.

² انظر: عمار بوحوش، مرجع سابق، ص 179.

إلا أن التعليم ظل مقتصرًا على العلوم الشرعي و ظلت وسائله بدائية، واختفت منه الدراسات التاريخية و الحساب و الطب و الفلك، و لم يكن له علاقة بالتطورات العلمية التي كانت تدور في العالم حوله . لكن رغم ذلك كان الجزائريون على استعداد للتطور و التحضر و الأخذ بأسباب الحضارة لو وجدوا من يدفعهم إلى ذلك.

2-موقف فرنسا من التعليم العربي :

تشير تقارير اللجان الفرنسية التي أوفدها سلطات باريس إلى الجزائر إلى حجم الدمار الذي أصاب التعليم العربي في الجزائر في السنوات الأولى للاحتلال. وليس أدل على ذلك من الصرخة التي أطلقها دي طوكفيل حين قال : "إننا جئنا لإضاءة الشموع فأطفأنا الموجود منها"¹.

وقد جاءت هذه الصيحة بعد التقرير الذي قدمه الجنرال بيدو عن التعليم في قسنطينة و كيف كان منتشرًا بصورة لم تكن متوقعة عند الفرنسيين. و أنه كان فيها -أي قسنطينة- مدارس من مختلف المستويات الإقليمية. وأن عدد الطلبة في مدارسها الثانوية و العالية بلغ ما بين 600 إلى 700 طالب يدرسون علوم التفسير و علوم الحديث و محاضرات في الحساب و الفلك و البلاغة و الفلسفة، أما المدارس الابتدائية فقد بلغ عدد التلاميذ فيها ما بين 1300 و 1400 تلميذ، يترددون على نحو 90 مدرسة ابتدائية، و كانت النفقات من الأوقاف و وصل أجر المعلم و قتها حوالي 30 فرنكا سنويا زيادة على عطاءات أهل الخير، و لكن كل ذلك اختفى بعد 10 سنوات من الاحتلال؛ فلم يبق سوى 60 طالبا في الثانوي من أصل 600، و من المدارس سوى 30 من أصل 90، و من التلاميذ إلا 350 من أصل 1500.²

3-واقع التعليم العربي الحر:

لم يكن التعليم الحر في الجزائر غداة الفترة الإستعمارية إلا رد فعل من المجتمع حيال السياسة الاستتصالية التي هدفت إلى تغييب هذا الشعب من الوجود، و تقطيع أوصاله، و محو تاريخه، تحضيرًا للقضاء عليه نهائيا. و تؤكد تقارير البعثات البرلمانية الفرنسية إلى الجزائر " أن التعليم قائم تحت إشراف الأهالي أنفسهم و الزاوية حيث يتعلم فيها التلاميذ القرآن و تفسيره و هي المؤسسة

¹ سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي ، مرجع سابق، ج3، ص 27.

² يحي بو عزيز، كفاح الجزائر من خلال الوثائق، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 2005، ص 110.

التعليمية الوحيدة في المستعمرة"¹. و لذلك انتشرت الزوايا في أعالي الجبال و في الصحاري الشاسعة. و لجأ طلبة العلم إلى ما تبقى من المساجد. و احتال الجزائريون بكل وسيلة للحفاظ على لسانهم من الضياع. و رغم ذلك لم تسلم هذه المؤسسات من الهدم و المصادرة، و ذهب الكثير من المعلمين ضحية الفقر الذي أصابهم بعد فقدانهم لوظائفهم، و الكثير منهم قضوا شهداء في الثورات الشعبية التي كان أبناء الزوايا و المساجد وقودا لها.²

4-مؤسسات التعليم الحر في الجزائر في العهد الإستعماري:

على الرغم من كل ما فعلته فرنسا من أجل القضاء على التعليم العربي، إلا أن هذا الأخير ظل صامدا على قلة الوسائل، و ضعف التمويل، و انعدام المنشآت القاعدية، فيما عدا المؤسسات الدينية ممثلة في الزوايا، و المساجد، و بعض الكتاتيب الملحقة بها.

أ-التعليم في الكتاتيب:

و الهدف منه حفظ القرآن و تعلم مبادئ العربية. و عادة ما يتقاضى المعلمون اجرا زهيدا يدفعه الآباء الموسرون أما الفقراء فلا يأخذ المعلم عنهم شيئا. و تكون أوقات الدراسة بعد صلاة الصبح و وقت الضحى و بعد صلاة العصر او المغرب. تستعمل التلاميذ ادوات بدائية تتمثل في لوح مصقول توضع عليه طبقة من الطين لتسهيل الكتابة . و يستعمل السحق المصنوع من حرق الصوف، والأقلام المصنوعة من القصب للكتابة. و لا تتوفر الكتاتيب عادة على التهوية اللازمة و لا الظروف الصحية المناسبة. إذ لا يعدو القسم أن يكون غرفة واحدة فرشت بالحصر، يجلس عليها التلاميذ حفاة متحلقين حول المعلم الذي يقوم بالإملاء عليهم واحدا بعد الآخر.³

¹ تركي رابح، الشيخ عبد الحميد بن باديس، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1981، ط 3، ص 132، نقلا عن تقرير كتبه مستشار الدولة الفرنسي "ليون بيكي" عن التعليم في الجزائر سنة 1891.

² سعد الله ، مرجع سابق، ج 3، ص 58.

³ عيسى بالقي، مرجع سابق، ص 29 .

تخصص حصة الصباح لكتابة اللوحة. في حين تكون حصة النهار للحفظ . و تبقى حصة المساء للاستظهار، أمام المعلم الذي يجيز للطالب محو لوحته و تركها تحف استعدادا لليوم الموالي. و هكذا دائما حتى يتم التلميذ حفظ القرآن. و يبدأ البرنامج بحفظ الحروف الأبجدية قبل الشروع في حفظ الفاتحة.

لا تقدم الكتاتيب عادة دروسا في اللغة إلا من بعض المعلمين الذين لهم باع في النحو و الصرف، و لا تعطى القواعد إلا لمن أتم حفظ القرآن. وذلك يكون بكتابة أبيات من الألفية مثلا في نهاية اللوحة و حفظها و استظهارها مع القرآن.

يعتبر الكتاب محورا لكثير من التقاليد الإجتماعية؛ فمعلم القرآن له اسم خاص و هو "الطالب" و يعني "العالم"، رغم أن الكثير من الطلبة لم يكن لهم من العلم إلا ما حفظوه من القرآن، و له مكانة اجتماعية خاصة رغم فقره عادة. بالإضافة إلى أن الصدقات توجه عادة إلى الكتاب و طلبته، تبركا بدعائهم في قضاء الحاجات الدنيوية و الأخروية، و يقوم معلم القرآن "الطالب" بإمامة الناس في الصلوات و عقد القرآن و كتابة الحروز من العين أو المس و غيرها، و هو ما يعتبر مصدر رزق ثانيا له.

تمثل الكتاتيب المرحلة الابتدائية من التعليم، والتي تؤهل التلميذ للالتحاق بالمدارس القرآنية التي تعتبر المرحلة المتوسطة و الثانوية من نظام التعليم الحر.

ب-التعليم في المساجد:

تمثل المساجد في النظام التعليمي الحر المرحلة المتوسطة و الثانوية. و يتوجه الطلبة اليها بعد الانتهاء من المدرسة القرآنية أو الكتاب.¹ و قد تصل بعض الدروس فيه إلى مستوى التعليم العالي في مراحل متقدمة. و رغم أن الجزائر لم تكن لها مؤسسة دينية تشرف على التعليم و ترعاه و توجه سياسته مثل الأزهر الشريف أو الزيتونة أو القرويين. إلا أن مستوى الدروس التي كان الطلبة يتلقونها في المساجد تفوق مستوى الدروس في الجامعات المذكورة.²

¹ سعد الله، مرجع سابق، ج 3، ص 57.

² المرجع نفسه، ج 1، ص 273.

و قد عوض حضور علماء من المغرب العربي و المشرق كثيرا من النقص في هذا المجال. و لا يمكن في هذا الباب التغاضي عن دور العلماء الجزائريين الذين درسوا خارج الجزائر، و عادوا ليلعبوا دورا مهما في الحفاظ على التعليم الحر.

و لم تكن البرامج موحدة بل يعود ذلك إلى اجتهاد كل معلم. و قد كان لكل معلم مسمع يقرأ عليه المتن ثم يقوم هو بشرحه بخلاف المرحلة الابتدائية التي كانت مقصورة على الحفظ و الاستظهار. أما محتوى البرامج فهو ديني بحث اختفت منه العلوم العقلية إلا قليلا. و كذا الحساب الذي اقتصر على الفرائض. والأمر نفسه بالنسبة للفلك و الطب.

ج-التعليم في الزوايا:

كانت الزوايا من بين المؤسسات التعليمية التي طالتها يد التدمير ككل ما يمت إلى العلم و المعرفة في الجزائر. و لقد عملت السلطات الفرنسية على التضييق عليها. و تدجينها و صرفها عن مهمتها الأولى و هي نشر العلم و المعرفة. و رغم كل ذلك بقي التعليم في الزوايا التي سلمت من التدمير، قائما و لو بصورة بسيطة. خاصة بالنسبة لزوايا المدن التي كانت قريبة من رقابة السلطة الفرنسية. في حين استطاعت بعض زوايا الأرياف أن تضمن للطلبة تعليما عربيا في كل مراحله من الابتدائي حتى العالي.¹

ولم تختلف البرامج في الزوايا عن تلك التي كانت تلقى في المساجد. غير أن الطلبة كانوا يجدون في الزاوية المأوى و المأكل و المشرب. و قد كان شيوخ الزوايا يقومون بالتدريس بأنفسهم. مستعينين بالعلماء أمثالهم و كذا بالنجباء من تلاميذهم. و يعود الفضل في الحفاظ على اللغة العربية و القرآن الكريم إلى تلك الزوايا التي انتشرت في أنحاء الوطن و ظلت تمارس وظيفتها بين مد و جزر لمئات السنين.

5-موقف السلطات الفرنسية من التعليم الحر:

لم تكن فرنسا الإستعمارية لترضى بتعليم يمكن أن يذكر الجزائريين بماضيهم و يستنهض همهم لتحرير وطنهم، و لذلك عمدت الى سن كثير من القوانين التي ضيقت عليه و جعلت ممارسته ضربا من الخيال. ومن هذه القوانين:

¹ انظر: يحي بو عزيز، مرجع سابق، ج 1، ص 214.

-قانون الأهالي الصادر في 25/06/1890:الذي يعاقب على فتح مدرسة عربية دون إذن من السلطات الإدارية أو العسكرية.¹

مرسوم 18/10/1892: و جاء لتكريس المرسوم السابق و تطبيقا له على بعض المدارس العامة.

-قانون 24/12/1904: والذي شدد العقوبة على المخالفين للمراسيم السابقة و نص على معاقبتهم بالحبس أو الغرامة أو العقوبتين معا.²

و قد كان حصول الجزائري على هذه الرخصة أمرا عسيرا يخضع لعدة شروط و إجراءات ، فقبل الموافقة كان لا بد من تحري البوليس الفرنسي عن سلوك طالبها سياسيا و دينيا. فلم تكن الرخصة تمنح إلا لمن ثبت ولاؤه لفرنسا و عدم اشتراكه في أي عمل يضر بالمصالح الفرنسية بالجزائر.³

و قد اشترطت فيمن يريد الإقدام على هذه المغامرة شروطا قاسية منها:

-اقتصار التعليم في المدرسة على القرآن الكريم وحده

-عدم التعرض للتفسير خاصة آيات الجهاد.

-استبعاد دراسة التاريخ الجزائري و التاريخ العربي الإسلامي.

-عدم تدريس المواد العلمية و الرياضية.

إضافة إلى هذا يمنع على المدرسة فتح أبوابها للتلاميذ الذين هم في سن الدراسة في أوقات التعلم في المدارس الرسمية.⁴

و تمادت فرنسا في غطرستها فاعتبرت اللغة العربية لغة أجنبية في الجزائر، بعد القانون الذي أصدره وزير الداخلية "شوطان" في 08/03/1938، لتتم بذلك آخر حلقة من حلقات القضاء على اللغة العربية.

¹ أحمد طالب الابراهيمى، آثار محمد البشير الابراهيمى، دار الغرب الإسلامى، بيروت، 1997، ج2، ص 143.

² رابح تركي، الشيخ عبد الحميد بن باديس، مرجع سابق، ص 154.

³ عيسى بالقي، مرجع سابق، ص33.

⁴ تركي رابح، مرجع سابق، ص154.

6-التعليم الرسمي في الجزائر:

و يقصد به التعليم الذي كانت تشرف عليه سلطات الإحتلال الفرنسي سواء من حيث التمويل المادي أو البيداغوجي. و يتكون من التعليم الابتدائي و الثانوي، و التعليم العالي.

و لم يكن تعليم الأهالي هدفا من أهداف السياسة الفرنسية في الجزائر، بل كان العكس هو الصحيح ، بل لم يتم التفكير في تعليم الجزائريين إلا بعد صدور تقارير اللجان الفرنسية التي زارت الجزائر على فترات متقطعة و التي أظهرت مدى التدمير الذي حدث للتعليم و مؤسساته، وقد أوصت هذه اللجان بضرورة تعليم فئة من الجزائريين تكون واسطة بين الإدارة و الأهالي، و إلا وجدت فرنسا نفسها غير قادرة على التعامل مع أحد. و كانت الفكرة أن يتم تعليم أبناء الطبقة الأرستقراطية و الاعتماد عليهم كإطارات متوسطة لمساعدة فرنسا في تسيير الشؤون الجزائرية. غير أن المستوطنين كانوا يرون في هذا القرار خطرا على وجودهم. ولذلك ظلوا يعارضون ذلك و يؤخرونه، في الوقت الذي بنوا فيه مدارس لتعليم ابنائهم من المرحلة الابتدائية إلى التعليم العالي. و حرّموا السكان من كل ذلك.¹

و لم يكن التعليم موحدا لكل من المستوطنين والجزائريين. بل كان تعليمًا عنصريًا. قامت على أساسه مدرستان . واحدة خاصة بأبناء المستوطنين، و الأخرى خاصة بأبناء الأهالي.²

أ-التعليم الرسمي الخاص بالأوروبيين:

و هو التعليم الذي واكب قدوم المستوطنين إلى الجزائر. و قد انتشر في كل المناطق التي احتلها هؤلاء. و كان على نمط المدارس في فرنسا من حيث البرامج و المعلمون و الوسائل . و لم يسمح للجزائريين بالدراسة فيه، إلا القلة القليلة من أبناء القياد و الموالين لفرنسا. و قد كانت ميزانيته تتطور تبعا لأعداد المستوطنين القادمين و ذلك بغية توفير أسباب الراحة لهم وتشجيعا لهم

¹ AGERON ، *Histoire de l'Algérie contemporaine: la conquête et les débuts de la colonisation*. 1827-1871, Ed, P,U,F, 1979, tome 1, p57-161.

² تركي راجح، مرجع سابق، ص137.

على البقاء في الجزائر.¹ و هو ما يظهر بوضوح في النسبة المطردة لعدد التلاميذ الأوروبيين الملتحقين بالتعليم بين سنتي 1847 - 1850.

جدول رقم (1) يبين الزيادة المطردة لعدد التلاميذ الفرنسيين و الأوروبيين (1847-1850)²

السنة	عدد التلاميذ (الأوروبيين)
1847	7347
1848	8334
1849	8828
1850	9679

إعداد شخصي، اعتمادا على: عمار هلال، مرجع سابق، ص 11.

ب- التعليم الرسمي الخاص بالجزائريين:

و نعني به المدارس الابتدائية التي أقامها المستعمر بعد أكثر من عشرين سنة على الإحتلال. و ذلك بهدف إيجاد طبقة من الموظفين متوسطي التعليم لخدمة الإدارة الفرنسية و تنفيذ أوامرها و تبليغها للسكان. و قد كانت أول مدرسة ابتدائية اقيمت لتعليم أبناء الجزائريين هي " المدرسة الحضرية الإسلامية" بالجزائر العاصمة سنة 1857م. و ذلك بعد أن أصدر نابليون الثالث مرسوما بتاريخ 14 مارس من نفس السنة يقضي بإنشاء مدرسة على أساس أن يلتحق بها 150 تلميذا من أبناء المسلمين و المسيحيين ممن يرغبون في تعلم اللغة العربية و اللغة الفرنسية ، و في سنة 1863 تم إنشاء مدرسة لترشيح المعلمين و المعلمات و ابتدأت تشتغل بصفة ملموسة سنة 1865.³

أما ما يخص المضمون البيداغوجي لهذه المدارس فقد كانت تعطي دروسا في اللغة العربية و الفرنسية، لكن التركيز الكلي كان على اللغة الفرنسية. بالرغم من أن التعليم موجه أساسا

¹ أحمد الخطيب، جمعية العلماء المسلمين و أثرها الاصلاحى في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 65.

² عمار هلال، مرجع سابق، ص 11.

³ عمار بوحوش، مرجع سابق، ص 179.

للجزائريين. وسرعان ما تم تهميش اللغة العربية و استبعادها تدريجيا بحجة واهية كعدم وجود العدد الكافي من المدرسين ¹.

و قد تكونت هذه المدارس من قسم واحد أي حجرة واحدة للتعليم. كان يتداول عليها معلمان. أحدها للعربية و هو جزائري طبعاً، و الآخر فرنسي. و يعتني بتعليم الفرنسية. و قد وصل عددها في عهدها الأول في مدينة الجزائر و ضواحيها حوالي 6 مدارس ثم تطور عددها في عدة جهات من الوطن حتى وصلت في سنة 1861 حوالي 38 مدرسة تعلم حوالي 13000 طفل جزائري ²..

و هي الفترة الذهبية لهذا التعليم الذي بدأ بعد ذلك في التلاشي تدريجيا بسبب الإهمال و قلة الوسائل و ضعف المخصصات. حتى وصل عدد الملتحقين به أقل من 4000 تلميذ في ربوع الجزائر كلها.. و رغم أن قوانين 1881، 1882، 1883 أجبرت الحكومة العامة في الجزائر على النظر في أمر تعليم الأهالي. إلا أن المستوطنين عرقلوا كل ذلك و اتخذوا من الثورات الشعبية ذريعة لإغلاق المدارس، و تطبيق قانون الحرب على "البرابرة". لأن قانون التعليم وضع للمتمدنين فقط. ³

ج-التعليم الثانوي:

لم يكن التحاق الجزائريين بالتعليم الثانوي ممنوعاً من الناحية القانونية . و لكن دون ذلك الكثير من العراقيل المتعلقة بالحصول على الشهادة الابتدائية و عدم تجاوز سن الثانية عشر. و هو الأمر الذي لم يكن متوفراً في الكثير من الطلبة . خاصة مع الحالة المزرية للمدارس العربية الفرنسية الخاصة بالأهالي. و لذلك لم يكتب للكثيرين الالتحاق بالتعليم الثانوي. و عند المقارنة بين عدد التلاميذ من الطرفين تتضح الصورة كاملة على النحو التالي ⁴:

¹ عيسى بالقي، مرجع سابق، ص 37.

² عمار هلال، مرجع سابق، ص 112.

³ المرجع نفسه، ص 114.

⁴ عيسى بالقي، مرجع سابق، ص 39.

جدول رقم (2) يوضح عدد الطلبة الجزائريين في التعليم الثانوي

السنة	عدد الجزائريين في التعليم الثانوي
1886	115
1899	86
1914	386
1930	776
1951	3214

المصدر: عيسى بالقي، مصدر سابق، ص39.

و أما لغة التدريس فهي الفرنسية و تدرس العربية على أساس أنها لغة أجنبية.

د-التعليم العالي:

تأسست ابتداء من 1879 أربع مدارس عليا بالجزائر. و شملت بالإضافة إلى الطب، الآداب و الحقوق و العلوم. و رغم أن الدراسة في الجزائر إلا أن الامتحانات كانت تتم في باريس. و كانت المدارس العليا الجديدة مغلقة في وجه الجزائريين الذين وضعت كل العراقيل أمامهم في التعليم الابتدائي و الثانوي. فكيف بالتعليم العالي؟. و يوضح الجدول التالي نسبة الجزائريين إلى الفرنسيين في الجامعات، رغم التفوق العددي للأهالي من أصحاب البلد:

جدول رقم (3) يبين عدد الطلبة الجزائريين و الفرنسيين في التعليم العالي

الكلية	الجزائريون	الفرنسيون و الأوروبيين
الحقوق	17	831
الطب	7	324
الصيدلة	6	211
العلوم	14	198
الآداب	33	249
الجملة:	77	1813

المصدر : سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج3. ص310.

و بعد ست سنوات (1936) وصل مجمل طلاب الجامعة إلى 2250 طالبا في مختلف التخصصات، وكان عدد الجزائريين منه هو 94 طالبا فقط ليس من بينهم أي عنصر نسوي.¹

هـ-المدارس الشرعية الثلاث:

لم يفكر الفرنسيون في إنشاء تعليم في المستوى المتوسط و الثانوي للجزائريين إلا منذ 1850. اي بعد عشرين سنة من الاحتلال. و قد تزامن ذلك مع ظهور المدرسة العربية -الفرنسية الابتدائية التي أنشئ منها ست مدارس فقط إلى السنة المذكورة . أما المتوسط فقد أنشئ له ثلاث مدارس فقط في كل من البليدة و قسنطينة و تلمسان². و لعل اختيار هذه المدن كان نتيجة لما عرفت به عبر العصور من كونها مراكز إشعاع علمي و روحي و لها تأثير فيما حولها من المدن.³

لقد أسست المدارس الإسلامية الحكومية قصد تكوين المدرسين (الطلبة) و ذلك تحت نفوذ الإدارة الإستعمارية، بعدما كانوا تابعين و لمدة طويلة للمدارس الحرة . و منذ الاحتلال برزت تجربة المدارس كضرورة حتمية ابتداء من منتصف القرن 19 . و هذا لتلبية الحاجيات المختلفة من مناصب العبادة (أئمة، حزاب، مفتين)، و المحاكم الإسلامية، و منذ البداية انصبت الأفكار باتجاه السيطرة على التعليم و ذلك من خلال التحكم في مؤسساته قصد تجنب الاصطدام مع الجزائريين و إظهار النية في خدمة المجتمع الجزائري عبر الاهتمام بتعليمه تعليما دينيا بعيدا عما تقدمه الطرق الصوفية و الزوايا التي استولت عليه وطبعته بالتقليدية و التخلف.⁴

و كان الفرنسيون يطلقون عليها الإسم العربي وهو المدارس les Medersas، و لا يسمونها بالاسم الفرنسي Ecole أو Lycée أو College ، أو يترجمون معنى هذه إلى العربية، بل انطلقوا في التسمية من التقاليد الإسلامية التي تطلق المدرسة على المكان المخصص لتدريس العلوم

¹ سعد الله، مرجع سابق، ج3، ص311.

² كمال خليل، "المدارس الشرعية الثلاث في الجزائر : التأسيس و التطور"، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ المجتمع المغربي الحديث و المعاصر، إشراف أحمد صاري، جامعة منتوري، قسنطينة، 2007-2008، ص69. (لم تنشر).

³ صبرينة الواعر، "محمد بن رحال، دوره السياسي والثقافي (1856-1928) "، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث و المعاصر، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، الجزائر 2002-2003، ص198. (لم تنشر).

⁴ كمال خليل، مصدر سابق، ص 76.

بالمستويات الثانوية و العالية... و كانت عبارة المسيد أو الكتاب أو المكتب خاصة بالتعليم الابتدائي (القرآني). أما التعليم العالي فكان مقره المساجد الكبرى والزوايا الشهيرة.¹

و أما مدة الدراسة في المدارس الإسلامية للتعليم العالي فهي محددة بثلاث سنوات تشمل :

1- تعليم اللغة الفرنسية، التاريخ و الجغرافيا، الحساب و بعض مبادئ القانون الفرنسي القانون المدني، القانون الجزائي، و القانون الإداري.

2- تعليم اللغة و الأدب العربي :علم التوحيد، و القانون الإسلامي.

و لم يخف الاستعمار من أول وهلة الغرض من تلك المدارس. و ذلك بتحديد نوعية الطلبة الذين يسمح لهم بدخولها. فلا يجب أن يدخل هذه المدارس إلا النخبة المثقفة من السكان المسلمين، ويجب تحديد -بدون تردد- كل من لا تتوفر فيه شروط الأمانة والصدق و الشعور الحسن إزاء فرنسا، و لذلك نص المرسوم المؤسس لهذه المدارس² على حتمية وقوعها تحت رقابة وزارة الحربية دون وزارة التربية، التي أوكل لها مهمة الانضباط داخل المدرسة فقط. و لم تكلف السلطات الإستعمارية نفسها مؤونة التكاليف المدرسية فتلاميذ المدارس يعالون من أموال السنتيمات الزائدة مضافة إلى الضرائب العربية المقبوضة عن الأهالي³.

و لم يكن يشترط في المتقدمين بها شروط معينة ، فقد سمح لشيخو بعض الزوايا بدخولها، و تخرج البعض منهم و فاز بمنصب القضاء. و لكن هذه المشاركة (مشاركة الشيخو) ألغيت فيما بعد . و أما شرط المستوى فكان مجرد معرفة القراءة و الكتابة كافيا، و هو ما يدل قطعا

¹ سعد الله، مرجع سابق، ج 3، ص 367.

² صدر مرسوم تأسيس هذه المدارس بتاريخ 30 سبتمبر 1850، انظر: كمال خليل، مصدر سابق، ص 76.

³ انظر، الطاهر زرهوني، التعليم في الجزائر قبل و بعد الاستقلال، موفم للنشر، الجزائر، 1993، ص 216 و ما بعدها

على أنها لم تكن تعليما عاليا كما كان يروج لذلك، لكن المدرسة استدركت ذلك فيما بعد، و أصبح هناك امتحان للدخول في شهر جوان يتضمن إملاء بالعربية مع إعراب في النحو من الإملاء نفسه، و شرحا لنص بالعربية في الشريعة الإسلامية و تدريبا على التحرير بالعربية و اختبارا في اللغة الفرنسية يتضمن القراءة و الكتابة بها مع محادثة شفوية، و قد كان الإقبال عليها بادئ الأمر مقبولا على أساس المنحة التي تمنح لكل طالب، غير أنه سرعان ما خبا كل ذلك. ولم يعد الحضور يتعدى العشرين طالبا.¹

و تحتوي كل مدرسة على 6 أساتذة. (3 فرنسيين و 3 مسلمين). يقدمون تعليما فيها خلال ثلاث 03 سنوات لتلاميذ لا تقل أعمارهم عن 17 سنة. كما تم ضبط و توزيع المواد و اختلافها بين: النمو و الأدب، الفقه، و الشريعة، و التوحيد و اللغة، و اللغة الفرنسية و الحساب و الهندسة إضافة إلى هذه المواد هناك درس في التحرير الأدبي و آخر في العقود الشرعية و بعد مدة حذفت مادة التوحيد التي عوضت بدرس الفقه الإسلامي. كما ظهرت في هذه البرامج مادة التاريخ و الجغرافيا. و قد أسندت الإدارة في مدرسة تلمسان إلى مدير فرنسي. بينما كانت في قسنطينة تحت إدارة القاضي محمد الشاذلي القسنطيني. و في العاصمة كان المدير هو الشيخ أحمد بن البشير ثم حسن بن بريهمات.

و لم يكن المعلمون يخضعون لشروط تؤهلهم للتدريس في التعليم العالي. بل كان البعض منهم ينتقون بطرق ملتوية. مما أفرز نوعية من المتخرجين الذين تولوا مهام دينية و عبادية! كانوا سببا في تعفن الوضع أكثر مما كان عليه. و قد شهدت المدارس تغييرات عدة في برامجها التي كانت دينية بحتة فأضيفت لها الفرنسية و الحساب و الهندسة و التاريخ الفرنسي -طبعاً- و الجغرافيا. و كل هذه المواد كان يغطيها معلمون فرنسيون. و ربما كان الغرض من هذا التغيير ترغيب الطلبة في العلوم الحديثة و صرفهم عن العلوم الشرعية. و بعد سنوات لم يتعد عدد الطلبة في المدارس الثلاث

¹ سعد الله، مرجع سابق، ج 3، ص 372.

66 تلميذا موزعين هكذا: 26 في البليدة و 26 في قسنطينة و 14 في تلمسان¹. و هو ما يدل على نفوق هذا التعليم الذي أهمل من طرف الإدارة الإستعمارية. و لم يكن الهدف منه سوى التبحر بوجود جامعات شرعية في الجزائر. و تكوين دفعة من الأئمة و القضاة و الحزابين. الذين كان ولاؤهم للقمة العيش أكثر من ولائهم لدينهم أو وطنهم.

- و على العموم فإن الدارس لموضوع المدارس الشرعية الثلاث يمكنه الخروج بالاستنتاجات التالية:
- أن الهدف منها لم يكن التربية و التعليم. و لا الوصول بالأهالي إلى مستوى المجتمع الأوروبي المتحضر كما تدعي فرنسا بالنسبة للتعليم في الجزائر.
 - أرادت السلطات الفرنسية صرف الطلبة عن التوجه إلى الحواضر العلمية كالزيتونة و القيروان و الأزهر الشريف. خشية اختلاطهم بغيرهم من أبناء العالم الاسلامي. و هو ما يمكن أن يذكرهم بالوحدة الإسلامية ، فيعودوا بأفكار مناهضة للاستعمار و داعية للتحرر و الاستقلال عن فرنسا.
 - محاولة فرنسا الادعاء أمام العالم بأنها تهتم بالسكان المحليين. و بالتالي فهي توفر لهم تعليما عاليا في كل التخصصات بما في ذلك الدين.
 - رغبة فرنسا و سلطاتها في الجزائر في ايجاد طبقة من المثقفين ثقافة متوسطة يكونون بها وسيطا بين السكان و الإدارة.
 - كسر احتكار التعليم الديني من طرف الزوايا. و ترغيب الطلبة في هجره و التوجه إلى التعليم الذي يضمن لهم المنحة الآن و الوظيفة فيما بعد.
 - محاولة السيطرة على القضاء و المؤسسات الدينية كالمساجد عن طريق تكوين أئمة و علماء يكون ولاؤهم لفرنسا و ليس لدينهم.²

¹ عبد الحميد زوزو، نصوص و وثائق في تاريخ الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 218.

² كمال خليل، مرجع سابق، ص 119.

خاتمة:

على الرغم من أن الحكم العثماني للجزائر لم يول التربية و التعليم أهمية كبرى و لم تكن هناك مؤسسة رسمية تشرف عليه إلا أن التعليم انتشر انتشارا واسعا، و تقلصت نسبة الأمية ،ولم تخل قرية من مدرسة ابتدائية ،غير أن السمة العامة لهذا التعليم ظلت السمة الدينية؛ فقد كانت المدارس و المساجد و المعمرات تدرس القرآن الكريم و علومه و علوم اللغة و بشكل أقل بعض العلوم العقلية . و لم يكن للتعليم دور في النهضة الإجتماعية؛ في الوقت الذي كانت أوروبا تشهد ميلاد الثورة الصناعية، و ما واكبها من تحولات جذرية غلبت كفة الميزان لصالح القوى المتربصة بالعالم الإسلامي و بالدولة العثمانية.

و لم تكن هناك ميزانية خاصة للتعليم، بل كان الوقف هو المؤسسة التي ترعى التعليم والمعلمين و المؤسسات الدينية.

هذا على المستوى الثقافي ،أما على المستوى الإجتماعي فقد شهد المجتمع الجزائري مزيجا من الثقافات الشرقية و الغربية و فدت مع الأتراك و اليهود و الأسرى المسيحيين، و مهاجري الأندلس، وأثرت كل منها الحياة الثقافية، و تركت بصمة على لغة الجزائريين و عاداتهم و تقاليدهم و احتفظت مع ذلك بخصوصيتها الثقافية. و لم تشهد الحياة الإجتماعية اضطهادا عرقيا أو تمييزا عنصريا.

وأما على المستوى الديني فقد انتشرت الزوايا و الطرق بشكل كبير. و يعود ذلك إلى السياسة التركية الرامية إلى السيطرة على المجتمع عن طريق شيوخ الصوفية، خاصة و أن أفكار الجلال الرومي كانت قد سبقت الوجود التركي بالجزائر، لكن ذلك لم يفلح في ترويض بعض الحركات الصوفية التي ثارت على الحكم العثماني في الجزائر و كادت تقضي عليه. و على العموم فقد ساد الحياة العامة ركود فكري وانتشرت الأضرحة في كل مكان، و أصبح لكل مدينة أكثر من ولي يحميها و يدفع البلاء عنها،و تمحضت عن الطريقة الواحدة طرق عدة، و ألقت الكتب في المناقب و الكرامات و خوارق العادات، و لم تعرف الجزائر انتاجا فكريا يذكر فيما عدا الشروح و الحواشي و التعليقات ،و انعدم الانتاج العلمي في الطب و الفلك و العلوم التجريبية التي ظلت

بدائية و بوسائل قديمة، و لم تأخذ الدولة العثمانية في الجزائر بأسباب القوة العلمية؛ و هو ما مهد للغزو الفرنسي للجزائر التي كانت في أضعف فترات حياتها.

و قد كان الاستعمار أكبر كارثة أصابت المجتمع الجزائري سواء على المستوى الثقافي أو الاقتصادي أو الاجتماعي، و تم تدمير النظام التعليمي القديم و تشريد العلماء و تفريق طلبة العلم، و لم تبق إلا بعض الزوايا التي تحاول تأمين سيرورة شبه طبيعية للتربية و التعليم في الجزائر.

و يعتبر التعليم في هذه الزوايا استمرارا للتعليم الديني الذي ساد منذ الدولة الزيانية، سواء في مناهجه أو وسائله أو طرق تدريسه، و قد جاء كردة فعل على السياسة الفرنسية الرامية إلى تجهيل الجزائريين و السيطرة على خيراتهم و فصلهم عن بعدهم الإسلامي أو العربي. و لذلك يعتبر التعليم في الزوايا وجها من وجوه المقاومة الثقافية التي واکبت المقاومة المسلحة و مهدت فيما بعد للثورة التحريرية.

الفصل الرابع

زاوية الهامل

ظروفه النشأة و صعوباته

التأسيس

تمهيد:

يرمي الفصل التالي إلى التعريف بزاوية الهامل أو بمجال الدراسة، من حيث الموقع الجغرافي و الانتماء الصوفي و ظروف النشأة، و مرافقها البيداغوجية، والأدوار المختلفة التي أدتها، وأهم الأحداث التاريخية التي عرفت طيلة قرن من الزمان (1862-1962)، وهي الفترة محل البحث في هذه الدراسة.

أولا-موقع زاوية الهامل:

تقع الزاوية بقرية الهامل، الواقعة في الجنوب الغربي من مدينة بوسعادة، و هي تبعد بحوالي 250 كلم جنوبا عن العاصمة، على القمم الأخيرة لجبال أولاد نائل في السفح الشرقي لجبل عمران من السلسلة المعروفة بجبل أم ساعد، و بالتالي تتوسط السلسلة الجبلية للأطلس الصحراوي. الممتد من الشمال الشرقي للجزائر انطلاقا من الأراضي التونسية إلى غاية الجنوب الغربي متوغلة داخل التراب المغربي.

كما أن منطقة الهامل تعتبر البوابة الوسطى للصحراء الجزائرية الكبرى، فهي تقع على الحدود الفاصلة بين الإقليم التلي الشمالي، و الإقليم الصحراوي في الجنوب.¹

ثانيا-تاريخ تأسيس قرية الهامل:

اختلف العلماء و المؤرخون لهذه القرية في تاريخ التأسيس و انقسموا إلى روايات نستطيع إجمالها فيما يلي:

1-القرن الخامس الهجري: و هذا الرأي تبناه مؤسس زاوية الهامل. الشيخ محمد بن أبي القاسم.

¹ الحاج مزاري، الهامل مركز إشعاع ثقافي و قلعة للجهاد، ط1، المطبعة العصرية، بلوزداد، الجزائر، 1993، ص7.

2- القرن السابع الهجري: و هي الرواية الشفوية التي نجدها عند أشرف الهامل ، كما نجدها أيضا في التقارير الفرنسية

3- القرن التاسع الهجري: و هي رواية الشيخ بنعزوز القاسمي¹

4- نهاية القرن السابع²: أي نهاية القرن 13 م و بداية القرن 14 م: و هو الرأي الذي رجحه عبد المنعم القاسمي ، بناء على المعطيات التاريخية المتعلقة بالجد الأول للأشراف و هو سيدي بوزيد.

ثالثا-سبب تأسيس الزاوية:

لم يكن تأسيس الزاوية بقرية الهامل ضربا من الصدفة ، و لا محاولة من الشيخ المؤسس لزيادة زاوية إلى عدد الزوايا التي كانت منتشرة في ربوع الجزائر آنذاك ، و لكنه كان استجابة لعوامل تاريخية و اجتماعية أملت على المؤسس أن يقوم بتشيد زاوية يصفها هو " بأنها زاوية للطلبة و الإخوان و الأرامل و الأيتام و المرضى و العميان"³.

و لعننا يمكن أن نحمل هذه العوامل فيما يلي:

أ- أمر الشيخ المختار بن خليفة الجلالي:

ظل مشايخ الطرق الصوفية على مر التاريخ الإسلامي ، خاصة في بلاد المغرب يختارون من بين تلاميذهم وأشياعهم و مريديهم ، من يرونه أقدر على حمل رسالة الطريقة ، والحفاظ عليها . و هو الأمر نفسه الذي حدث مع الشيخ محمد بن أبي القاسم ، إذ كان شيخه الشيخ المختار بن خليفة الجلالي يرى فيه من قوة الشخصية ، و نفاذ البصيرة، و سعة العلم ، ما يؤهله ليكون خليفته

¹ هو الفقيه المالكي، محمد بنعزوز بن الشيخ المختار القاسمي (1906م-1984م)، انظر ترجمته في صلاح مؤيد العقبي، الطرق الصوفية والزوايا، مرجع سابق، و عبد المنعم القاسمي، إجازات الشيخ بنعزوز القاسمي، مرجع سابق.

² عبد المنعم، مرجع سابق، ص 57.

³ تعريف الشيخ بنفسه، من مخطوطات الزاوية.

على الزاوية الموجودة بأولاد جلال، فأوصى له بذلك. غير أن الأمور لم تسر على وفق ما أراده الشيخ لتلميذه؛ إذ رغب أهل أولاد جلال في أن يكون أحد أبناء الشيخ خليفة له على الزاوية. و هو الأمر الذي دفع بالشيخ محمد بن أبي القاسم إلى أن يميم وجهه شطر قرية الهامل ليعيد بعث الطريقة هناك، و بشكل جعل زاوية الهامل تتفوق على غيرها من زوايا الطرق الصوفية صيتا و ذيوعا ، و أتباعا و مریدین.¹

ب- رغبة سكان الهامل في تأسيس مقام جديد للعلم و العبادة:

إن الذين أقاموا بقرية الهامل أول مرة كانوا من أشرف سيدي بوزيد، مثلما تذهب إلى ذلك جل الروايات، و قد عرفوا بالعلم والتربية، و هو الدور الذي قام به الجد الأول عبد الرحيم بادئ الأمر في المسجد المسمى اليوم مسجد الحجاج، والذي أسس احتفاء بهم و تخليدا لذكراهم وتذكيرا بما صاحب ذلك من الكرامات² التي تحفل بها الروايات الشفهية، و يحرص سكان الهامل على ترديدها و تلقينها للأجيال. و بذلك كان تأسيس الشيخ محمد بن أبي القاسم للزاوية - في الحقيقة - إعادة تأسيس و بعث لما بدأه الأجداد، و لكن بطريقة جديدة.

بدأ الشيخ التمهيد لمشروعه الحضاري بإلقاء دروس في الفقه و التفسير والنحو و البلاغة في المسجد العتيق (1849م)³، بالإضافة إلى دروس الوعظ و الإرشاد، مع شروعه في بناء زاويته في العام نفسه، والتي قضى بها ما بقي من عمره، معلما ومربيا و موجها، و مصلحا اجتماعيا.

¹ Octave Depont -Xaver Copolani، **Les confréries religieuses musulmanes** ، Adolphe Jordan، Alger1،897،p،407.

² تذهب الروايات الشفهية إلى أن حجاج الهامل أقاموا ليلتهم عند العين القبلية بعد رجوعهم من الحج، و المسماة اليوم بعين التوتة، و أنهم وجدوا في الصباح أن العصي أورقت، و أصبحت أشجار توت، و وجدوا أساسات المسجد العتيق بارزة، فكان ذلك - حسبهم - أمانة على أنهم يجب أن يعمروا المكان، و هذا هو سبب تأسيس قرية الهامل.

³ محمد بن الحاج محمد، الزهر الباسم في ترجمة الشيخ سيدي محمد بن أبي القاسم، ط1، المطبعة الرسمية، تونس، 1929 ، ص25 .

ج- واجب الدعوة و التبليغ:

طلب الشيخ محمد بن أبي القاسم العلم في مسقط رأس، ثم هاجر إليه في منطقة الزاوية ، و بالضبط في زاوية الشيخ "علي الطيار" بالببيان(1837م)¹ و بقي بها سنتين، و بعدها زاوية الشيخ السعيد بن أبي داوود بتاسلنت نواحي آقبو ولاية بجاية²، و بقي بها أربع سنوات. فلما أتم ذلك كله ورجع إلى بلده مدرسا واستقر به المقام، بدا له بصيص استزادة فالتحق بزاوية أولاد جلال(1856-1862م)³. و لقد أجز في علوم كثيرة⁴، و هذا هو الذي أعانه فيما بعد حين شرع في تدريس كل علوم الشريعة دون حاجة إلى من يساعده ، حتى تخرجت الدفعات الأولى من طلبته الذين حملوا إلى جانبه مهمة التدريس في الزاوية ،بعد ما أصبحت مقصدا لطلبة العلم من كل مناطق الوطن .

د- احتفاء أهل الهامل بالشيخ المؤسس: أو الدعم الاجتماعي:

احتفى سكان الهامل بمقدم الشيخ المؤسس بعد عودته من بلاد القبائل، وحظي عندهم بمكانة خاصة و التفوا حوله طلبا للعلوم الكثيرة التي حصلها في رحلته العلمية.

وليس هذا بالغريب، فقد عرفت القرية منذ تأسيسها تقاليد علمية تمثلت في الدروس التي كان أشرف الهامل يلقيها في المساجد و خاصة في فصل الشتاء .وهو فصل لا زراعة فيه و لا عمل، مع طول ساعات الليل، مما يوفر الوقت لدراسة كتاب ،عادة ما يكون في الفقه.⁵

و لا شك أن القبول الاجتماعي شرط أساسي في نجاح المشاريع الحضارية، فإذا ما وجد العالم أو المصلح صدى لدعوته في أوساط مجتمعه ،كان ذلك حافزا له على المضي قدما في تحقيق أهدافه، أما إذا ما قوبلت الأفكار بالرفض أو اللامبالاة فإن مصيرها -في الغالب - إلى الفشل.

¹ الحاج مزاري، مرجع سابق، ص 22.

² صلاح مؤيد العقي، مرجع سابق، ص 299.

³ عاشور خضراوي، "إسهامات المرأة الجزائرية في التعليم القرآني"، الملتقى الدولي الرابع للقرآن الكريم، وهران، دت، ص 9.

⁴ محمد بن الحاج محمد ، مرجع سابق، ص 24.

⁵ لا تزال هذه العادة مستمرة إلى اليوم في المسجد العتيق.

فما لم يستطع الشيخ المؤسس أن يحققه في زاوية الشيخ المختار بأولاد جلال ، بسبب الموقف الاجتماعي الرفض لأن يتولى غير أبناء الشيخ المختار خلافة الزاوية من بعده، كان يقابله في الهامل احتفاء و قبول اجتماعي، و اهتمام بالغ، و عناية خاصة ،و تقدير و احترام للإبن العالم الذي رجع محملا بالعلوم التي لم تتوفر لغيره من أبناء قريته.

هذا الموقف الاجتماعي، الذي تمثل في القبول التام للمشروع ، وإيلائه الاهتمام اللائق ، و الدعم المادي و المعنوي اللازم، هو الذي جعل الشيخ محمد بن أبي القاسم يسرع في تشييد زاويته ،دون أن يتوقف عن التدريس في المسجد العتيق.

و لقد وصف الشيخ أهل قريته بأن "طبعهم الثبوت والتأني، ودأبهم القراءة للقرآن والفقه، والمداومة على العلوم الربانية"¹.

هـ-السياق السوسيوثقافي لنشأة الزاوية :

مما لا شك فيه أن الفترة الزمنية التي أسست فيها الزاوية تمثل قمة المهجمة الإستعمارية على المجتمع الجزائري. إذ تؤكد التقارير الفرنسية التي أعدتها اللجان البرلمانية ،الموفدة من قبل السلطات الفرنسية في باريس، إلى أن التدمير الممنهج الذي قامت به الإدارة الفرنسية في الجزائر قد طال كل نواحي الحياة الاجتماعية ، و العلمية و الثقافية و لم يعد في الجزائر ما يدل على وجود شعب أصلا ،ناهيك عن وجود حضارة ،أو مدنية استطاعت أن تقضي على الأمية بنسب لم تصلها الدول المستقلة اليوم.²

فأما في المجال العلمي و المعرفي -و هو ما نركز عليه في بحثنا - فقد قامت السلطات الإستعمارية بمجموعة من الإجراءات ، تهدف في النهاية إلى طمس الحرف العربي، و تغييب لغة القرآن، و استبدال الحرف اللاتيني به، و كان من أهم هذه القرارات:

¹ من رسالة حول أشرف الهامل لشيخ الزاوية ، من مخطوطات الزاوية.

² انظر: الطاهر سعود، الجذور التاريخية و الايديولوجية للحركة الإسلامية في الجزائر، مرجع سابق، ص 147-175.

-اشتراط رخصة من السلطات الإدارية من أجل تعليم القرآن ، أو العربية.

-تدمير الزوايا و المدارس القرآنية ، خاصة تلك التي أبدت مقاومة للمستعمر.

-الاستيلاء على الأوقاف الإسلامية التي كانت تمثل الممول الوحيد للتعليم الأهلي. و بالتالي منعت

العطاء عن طلبة العلم، و كذا العلماء، فاشتغلوا بطلب الرزق عن تحصيل العلم.

-تخطيط نظام العدالة الإسلامي: و هو المجال الذي كان يوظف طلبة العلوم الشرعية ،سواء من أبناء الزوايا أو خريجي المعاهد الإسلامية آنذاك كالزيتونة و القرويين. بل قام المستوطنون بإلغاء دور القضاة المسلمين، وقصر وظيفتهم على إصدار الفتاوى في بعض القضايا ،و تحرير العقود، و إلزامهم بتحريرها بالفرنسية!

و تمادت فرنسا في تعسفها فألحقت المحاكم الإسلامية بالمحاكم الفرنسية، و أخضعت القاضي المسلم لسلطة القاضي الفرنسي وألغت محاكم الاستئناف¹. و بذلك تفرق العلماء والقضاة و طلبة العلم ،الذين لم يعد لهم دور في الحياة الاجتماعية العامة، فبحثوا عن رزقهم في غير هذا النطاق.

-إقامة تعليم مواز بوسائل حديثة. لم يكن يهدف في الأساس إلى نقل المدنية و الحضارة إلى الأهالي، بقدر ما كان يرمي إلى إبعاد الجزائريين عن الزوايا و المدارس القرآنية، خاصة بعد الرفض التام لتلك المدارس الفرنسية من قبل المواطنين.

لقد ساعدت الرحلات العلمية ،التي قام بها الشيخ محمد بن أبي القاسم إلى ربوع الجزائر، في الوقوف جليا على الآثار المدمرة للمسح الاستعماري، وقد كان شاهدا بنفسه على اندثار كثير من الزوايا المجاهدة.

وكانت العلاقة التي ربطت الشيخ المؤسس بالأمير عبد القادر ولقاؤه معه وبيعته له، وهي بيعة لم ينزعها من عنقه حتى مات، و وصية الأمير له بأن يكون جهاده في مجال العلم و

¹ عمار بوحوش، مرجع سابق، ص 174.

المعرفة بعدما طلب أن يكون في صفوفه مجاهدا في سبيل الله، كان كل ذلك دافعا له لتشديد زاويته¹.

فإذا ما أضفنا إلى كل ذلك الشخصية المميزة للشباب العالم، و قدرته الفائقة على القيادة و حسن التدبير - و هو ما ظهر واضحا في خلافته للشيخ المختار على الزاوية في أولاد جلال- نحس أنه لم يكن يرغب في تأسيس زاوية بقدر ما كان يؤسس لبعث أمة و إحداث نهضة. "و من يدري فلعل الشيخ محمد كان ينوي ما نواه ابن باديس بعد قرن، و هو تكوين حركة تعليمية، يصارع بها الجهل الذي ضربته السلطات الإستعمارية على الجزائريين أكثر من نصف قرن، و تخريج طلائع تتولى بنفسها قيادة البلاد"²

و-الموقع الجغرافي لقرية الهامل:

تمتاز قرية الهامل -كغيرها من قرى و مداشر الجزائر- بالهدوء و البعد عن ضوضاء المدينة و صخبها مما يعتبر بيئة ملائمة لمن يريدون الإنقطاع للعبادة أو طلب العلم.

و لقد رأينا عند حديثنا عن الزاوية بأنها من الانزواء: أي البعد . و هو ما ميز الزوايا أو الرباطات التي كانت تقام عادة في مناطق نائية ،سواء من أجل الجهاد، أو وفادة المسافرين، أو الانعزال عن الناس من أجل التعبد، بمنأى عن كل شاغل من شواغل الحياة المادية التي تزخر بها المدن و الحواضر .

و قد كان لموقع القرية أثر في اختيار الشيخ محمد ابن أبي القاسم لها لتكون مقرا لزاويته. هذا الموقع يمكن أن نلخص مميزاته فيما يلي:

أ-تقع قرية الهامل تحت سفح جبال تحيط بها توفر لها جوا رطبا ، و في الوقت نفسه تحميها من التيارات الهوائية الحارة القادمة من الجنوب. خاصة أنها تقع في منطقة صحراوية.

¹ عيسى بالقي، مرجع سابق، ص 75.

² سعد الله ،مرجع سابق، ج 4، ص132.

ب-أقيمت القرية على طول الوادي الذي لازال يسقي أراضيها إلى اليوم. موفرا بذلك تيارات هوائية باردة منعشة، خاصة في فصل الصيف، و هو إلى جانب ذلك يعتبر المصدر المائي الأساسي الذي تعتمد عليه الزراعة في القرية.

ج-و قد كانت زكاة المحاصيل عند حصادها ، تدفع إلى الزاوية لتصرف في أبواب الخير ، خاصة بعد أن أصبحت القرية مقصد الزائرين، سواء للعلم أو العبادة ، أو طلب المساعدة أيام الأزمات و المجاعات.

ه-تقع قرية الهامل على الطريق الكبير الرابط بين مدن الشمال كقسنطينة و الجزائر العاصمة و بلاد القبائل، و مدن الجنوب سواء باتجاه الجلفة ، الأغواط، غرداية، أو باتجاه بسكرة، تقرت ورقلة. و بالتالي فهي تقع في مفترق الطرق ، مما يسهل على روادها الوصول إليها.وقد كانت باستمرار محط استراحة للحجاج القادمين من المغرب الأقصى، و المتوجهين إلى البقاع المقدسة¹

و- يوفر الموقع للزاوية نوعا من العزلة النسبية التي تجعلها في منأى عن بعض الصراعات القبلية و عن الأخطار القادمة من البحر المتوسط²

رابعا-مراحل بناء الزاوية: مر بناء المسجد بمراحل هي:

1 - بناء المسجد:

رأينا في تحديدنا لمعنى الزاوية -إجرائيا- أنها مؤسسة اجتماعية ذات أبعاد تربوية تثقيفية،دعوية، و خدمية. والدارس لمراحل البناء منذ الوهلة الأولى يلاحظ أولوية الجانب التربوي التعليمي على الجوانب الأخرى ؛ذلك أن الشيخ المؤسس بدأ ببناء مرافق الزاوية الأخرى من مساكن للطلبة و غرف للدرس قبل الشروع في بناء المسجد³،و بالتالي فهو لم يرد أن يضيف إلى مساجد القرية آنذاك مسجدا آخر،بقدر ما كان يشيد جامعة للعلم و المعرفة.

¹ عيسى بالقي، مرجع سابق،ص63.

² Youcef Nacib, - Cultures oasiennes- bousaada, ENAL, Alger, 1986, p238.

³ محمد بن الحاج محمد ، مرجع سابق،ص56.

إضافة إلى أنه لو أراد أن يؤسس زاوية لاستضافة المسافرين، ومساعدة المحتاجين، و إيواء الأيتام و المساكين، لكان المنزل الذي شيده لعائلته كافيا لذلك، خاصة أنه كان واسعا استوعب أسرته وكذا العشرات من الفقراء الذين قاسموه العيش فيه.

والأمر الآخر هو أن الشيخ لم ينقطع عن الدروس العلمية في المسجد العتيق، مع استعجاله بناء الزاوية، مما يدل على أن هم التربية والتعليم لازمه منذ كان شابا يطلب العلم. و أنه كان يرى أن تلك الدروس في المسجد لا ترقى إلى ما كان يصبو إليه من تشييد مشروع حضاري، لا زال قائما بعد أكثر من قرن و نصف على انطلاقه.

إن الدارس للهندسة المعمارية للمساجد في الزوايا -خاصة في الجزائر- يستنتج أنها لم تبني من أجل الصلوات الخمس و الجمعة فقط، بل بنيت لتؤدي دور القسم في المدرسة، أو المدرج في الجامعة، و ذلك لخلوها من الصومعة التي تدل الناس عادة على موضع المسجد، و هو ما تفتقر إليه مساجد الزوايا. و كأنها إشارة واضحة إلى وظيفتها التربوية التعليمية قبل الوظيفة الدينية التعبدية¹.

بنى الشيخ بجانب منزل العائلة مسجدا سماه مسجد سيدي عبد القادر، نسبة إلى عبد القادر الجيلاني البغدادي، الولي الصالح. و قد كان الشيخ يصلي فيه الصلوات الخمس مع خاصة تلاميذه. يتلى فيه القرآن²، بمقدار خمسة أحزاب في كل ليلة. و يدرس به الحديث و النحو والتفسير، و تقرأ فيه الموالد النبوية.

و المتمعن في هذا المسجد يلاحظ أنه سخر للوظيفة التعبدية الصوفية البحتة، إذ كان يؤمه خاصة الخاصة من تلاميذ الشيخ الذين تدرجوا في علوم الشريعة، و أصبحوا قادرين على ولوج عالم التصوف، وفك ألغازه، و دراسة كتبه. و كأنه نوع من التخصص، أو ما نسميه اليوم التدرج العلمي. كان يقدمه الشيخ للمبرزين من تلاميذ الزاوية.

¹ - بن سالم مصطفى، مرجع سابق، ص 54.

² محمد بن الحاج محمد، مرجع سابق، ص 56.

و بذلك يكون مسجد سيدي عبدالقادر قد لعب دور الخلوة التعبدية للشيخ و خاصته من تلاميذه، فكان دليلا آخر على أن المسجد الكبير في الزاوية مسخر للوظيفة التعليمية التي من أجلها بنيت زاوية الهامل.

أنجز الشيخ محمد ابن أبي القاسم مسجد الزاوية المستقل عن بيته في سنة 1864 م، و انتقل للتدريس به دون ان يقطع دروسه في المسجد العتيق خاصة في ليالي الشتاء الطويلة التي خصصها الشيخ، ومن قبله أشرف الهامل ،لدراسة كتاب في الفقه، و لكن هذا المسجد لم يكن بالمواسفات التي أرادها الشيخ فأعاد بناءه سنة 1891م -1309هـ. غير أن المنية عاجلته. و تكفلت ابنته السيدة زينب ببناؤه من حر مالها . وكان تدشينه سنة 1904 م -(04 شوال 1321هـ).¹

2- بناء مرافق الزاوية :

و الزاوية إضافة إلى المسجد تحتوي على مرافق عدة ،تعتبر ضرورية بالنسبة لمؤسسة بحجمها. و هذه المرافق هي:

أ-منزل الشيخ و عائلته:

لم يكن الشيخ يغيب عن الزاوية إلا نادرا عندما،و تقتضي الضرورة ذلك، أو لا يكون نوابه قادرين على أن يحلوا محله،و هو كعادة مشايخ الصوفية يقضي يومه إما في التربية و التعليم، وإما في استقبال الوافدين على الزاوية ، وهو يتصدر لحل المشاكل الإجتماعية التي كانت تعرض عليه بدل اللجوء إلى القضاء الفرنسي.و هو إلى جانب كل ذلك يقعد للإفتاء فيما يستجد في حياة الناس من حوادث يعجز أئمة بلدانهم عن الرد عليها. و لذلك بدأ الشيخ ببناء بيت العائلة، لما يوفره من استقرار بالنسبة للمسؤول الأول عن الزاوية.²

و المنزل كان بالإضافة إلى وظيفته كمأوى للعائلة، يؤدي وظيفة المخزن للمؤن التي تجلب إلى الزاوية من أجل إطعام من فيها. غير أن هذا المنزل لم يكن خاصا بالشيخ و عائلته، بل قاسمتهم فيه أسر فقيرة لم يكن لها مأوى، زيادة عن أكثر من أربعين فتاة كانت السيدة زينب تقوم

¹ هذا التاريخ مدون على اللوح التذكاري للمسجد القاسمي بالهامل.

² محمد بن الحاج محمد، مرجع سابق، ص 55.

على رعايتهن و الإنفاق عليهن؛ و هن في أغلبهن ممن تركزن من طرف أهلهن على باب الزاوية أيام الكوارث و المجاعات¹.

ب-بيت الضيافة (العلي):

عرفت الزاوية في حياة مؤسسها الكثير من التغيرات العمرانية، التي جاءت نتيجة الحاجة الملحة لمرافق جديدة، تستوعب وفود الزائرين و افواج الطلبة القادمين من كل ربوع الوطن، و التي كانت تقصد الزاوية بعد أن ذاع صيتها، و كثر أتباعها، و حملت لواء الطريقة الرحمانية في الجزائر و المغرب العربي.

و قد كان الشيخ يستقبل زواره في بيته، فلما كثرت أعدادهم ، زاد في عدد المساكن المخصصة لهم، و أدخل عليها كل أسباب الراحة ، و أثارها بضوء الكهرباء²

ج-بيوت الطلبة:

لما كان طلب العلم، و خاصة حفظ القرآن، يستلزم إقامة دائمة، و لمدة طويلة في الزاوية، فقد قام الشيخ المؤسس ببناء دور للطلبة، فرشت بالحصر و الزراي، و بها نافذة صغيرة و مكان للوضوء ، و رغم كثرتها إلا أنها لم تستوعب عدد الطلبة المقيمين. عند ذلك سمح للطلبة ببناء مساكنهم الخاصة، مستعملين المواد البدائية من طين و أخشاب ، ثم وقفت تلك المساكن على الزاوية لتستقبل طلبة جدد³. و قد سميت هذه المساكن بالعشش و هو جمع عشة. سميت بذلك لصغر حجمها و عدم ارتقائها إلى منزلة البيوت المعهودة.

د-منازل المريدين:

و الظاهر أنها للفقراء و المساكين و من لا مأوى لهم. و قد بلغ تعدادها حسب صاحب الزهر الباسم ما يربو على المائة⁴ "بناها الشيخ للطلبة و الإخوان". في حين جاء في وثيقة حصر

¹Clancy smith, julia, **Rebel and saint: Muslim notable, Pupilist protest, colonial encounters, Algeria and tunisia**, Berkeley University 1, 1994, p234

² محمد المكي القاسمي، مرجع سابق، الملحق رقم (1).

³ محمد بن الحاج محمد، مرجع سابق، ص 55.

⁴ المرجع نفسه، ص 56.

تركة "لالة زينب" انها "سنة بيوت مخصصة للزوار"¹. و الظاهر أنه- أي الشيخ محمد- أراد هذه الدور و كذا عيش الطلبة، لأن هذه المنازل كانت تضم أحيانا طلبة العلم الذين لم يستكملوا بناء "عشتهم"، كما كانت العيش تستوعب -بالمقابل- جموع الزائرين للزاوية خاصة في الموالد والزيارات .

هـ-مطعم الزاوية:

اشتملت الزاوية على مطبخ كبير، يقع في الناحية الشرقية منها و يسمى "النوال"، و هي مأخوذة من المناولة و التناول.² و المطبخ يقوم بتوفير وجبة الطعام المسماة "العياد"، و هو كسكسي من القمح الصلب والمرق، و يقدم اللحم مرة واحدة في الأسبوع. وللمطبخ فناء يقوم مقام غرفة الأكل اليوم، و هو حوش يسمى حوش "الكرمة". يقوم على العمل فيه أناس خاصون يقوم الشيخ بتعيينهم و متابعتهم شخصيا مع حضوره بنفسه أوقات تقديم الوجبات. و يتبع هذا المطبخ مخزن بجواره، تخزن فيه المؤن التي تحمل إلى الزاوية سواء من أراضي الوقف أو تبرعات المحسنين كالزيتون- مثلا- الذي يأتي من بلاد القبائل، و التمور التي تأتي من الصحراء. و كان الشيخ يستأجر نسوة لتحضير الكسكسي، في قاعة بجانب المطبخ، و هو ما كان يوفر مصدر رزق للكثير من العائلات المحتاجة.³

و قد جرت العادة أن ينادي القداش -و هو عامل المطعم- للأكل ثلاث مرات، ثم يعطي الإشارة للبدء في تناول الطعام. و يعاقب الطلبة على البدء في الأكل قبل الإشارة، و يحرمون من الوجبة عند تأخرهم عن النداء الثالث، أما عمال المطعم فلا يأكلون مع الطلبة بل يأكلون بعدهم داخل المطعم.⁴

و-الجناح البيداغوجي:

¹ وثيقة حصر التركة للالة زينب، من مخطوطات الزاوية.

² عبد المنعم، مرجع سابق، ص 153.

³ من مقابلة مع شيخ الزاوية الحالي.

⁴ السفارة (القانون الداخلي)، الملحق رقم (10).

و هي قاعات الدرس التي كان الأساتذة يستقبلون فيها الطلاب ،ويحضرونهم للمراحل القادمة من التحصيل و لذلك سميت بالمحاضرة¹. و لازال الاسم متداولاً في زوايا المغرب العربي إلى اليوم.

و يتكفل بالتدريس فيها متخصصون ،في حفظ القرآن و علوم الشريعة و العلوم اللغوية، و هم من حملة الإجازات في تلك العلوم . و الإجازة شهادة تمنح من طرف العلماء كدليل على حفظ الطالب للقرآن الكريم ، أو إتقانه لعلم من العلوم و بموجبها يصبح قادراً على أن يتولى مهمة التربية و التعليم.

ي-المكتبة:

و تقع في المكان المسمى بالعلي على يسار الداخل إلى فناء الزاوية. وهي صرح علمي متوارث أسسه الجد الأول للأسرة الشيخ عبد الرحمن بن سائب، ثم أضيف إليه ما تركه ولده الشيخ أبو القاسم من كتب، فلما وصل إلى الحفيد محمد ازدهر لاسيما بعد تأسيس الزاوية. كانت المكتبة ابتداءً بمنزل الشيخ محمد بن أبي القاسم، ثم خصصت لها بناية تعرف ب"العلي" وهي بها إلى اليوم. وتحتوي المكتبة على عدد كبير من المخطوطات . حوالي 800 عنوان في نحو ألف ومائتي مجلد². وإذا نظرنا إلى محتوياتها نجد أنها تضم كتب الفقه المالكي، التفسير، الحديث بشكل أكبر ثم تليها الموضوعات الأخرى .موزعة على الشكل التالي:

جدول رقم(2) يبين المخطوطات المفهرسة و المجرودة بالمكتبة القاسمية بزاوية.

¹ عبد الهادي حميتو، حياة الكتاب و أدبيات المحاضرة، منشورات وزارة الأوقاف المغربية، 2006، مقدمة الكتاب.

² محمد فؤاد القاسمي: فهرسة مخطوطات المكتبة القاسمية بالهامل، دار الغرب الاسلامي بيروت، لبنان، 2006، ص 05 .

الرمز	الموضوع	العدد المفهرس	العدد المجرد	المجموع	النسبة %
ق	المصاحف	33			
	التفسير	12			
	علوم القرآن	09	09	72	11.42
	إعراب القرآن	01			
ح	الحديث	18			
	شرح الحديث	45	03	70	8.69
	مصطلح الحديث	04			
هـ	الفقه	261			
	أصول الفقه	07	26	294	36.52
س	التاريخ	08			
	السير	24	06	44	5.46
	التراجم	06			
ص	التصوف و الأخلاق و السلوك	81	13	94	11.67
ك	التوحيد	30			
	المنطق	15	09	54	6.70
ع	الطب	03	06	22	2.73
	الفلك	11			
	الحساب	02			
د	قواعد اللغة	48			
	البلاغة	15			
	المعاجم	17	39	135	16.77
	الأدب	26			
	المجموع العام	694	111	805	%100

المصدر: عيسى بالقبي، مرجع سابق، ص122.

و لم تكن المكتبة تفتح إلا للطلبة النجباء من أبناء الزاوية ، وكذا العلماء الزائرين ، و ظلت محاطة بعناية الشيخ محمد ابن أبي القاسم الذي كان يرسل في طلب الكتب التي يسمع بوجودها سواء في الجزائر أو خارجها نسخا أو شراء؛ إذ كان يرسل بعض الطلبة لنسخ الكتب من المكتبات الخاصة التي كانت موجودة آنذاك في الزوايا الأخرى و يدفع مقابل ذلك مالا لأصحابها.¹

و للحفاظ على المكتبة من الضياع أو التشتت ، فقد منح الشيخ مفاتيح مكتبته لابنته حين وجد منها استعدادا وشغفا للمطالعة والتحصيل .. فكانت تقيم بها ، عاكفة على القراءة والدرس .. فلما رأى الوالد منها ما رأى حبس أصلها عليها.²

ك-حي المقارنة:

و هو حي سكنه أبناء الشيخ المقراني بعد استشهاده، و وصينه للشيخ للتكفل بهم بعد و فاته. و قد أحسنت الزاوية وفادتهم ، وعاملتهم بما يستحقون. و تقلد بعض ابنائهم مناصب عليا خاصة في حياة الشيخ و كذا في حياة ابنته لالا زينب. و قد بلغ عددها العشرين منزلا . أقامت بها اربعون أسرة في الوقت الذي سكنت فيه الأسر الأخرى داخل قرية الهامل، أي خارج إطار الزاوية.³

3-ساحة الزاوية :

وهي الفناء الكبير(المراح) الذي يتوسط الزاوية ، و قد كان لها باب يغلق ليلا ويفتح مع صلاة الصبح، و يمنع على الطلبة الخروج منه بعد المغرب، ويدفع الطالب المخالف غرامة توضع في صندوق الطلبة⁴. و الساحة و إن لم تكن من مرافق الزاوية إلا أن لها دورا مهما في الحياة اليومية، وقد حرص الشيخ على أن تكون واسعة ، فهي المكان الذي يتجمع فيه الطلبة بعد الدرس

¹ من مقابلة مع الشيخ أبي الأنوار دحية ، أمين المكتبة الحالي.

² عاشور خضراوي، مرجع سابق، ص11.

³ عبد المنعم، مرجع سابق، ص155

⁴ انظر: السفارة، أو القانون الداخلي، الملحق رقم(10).

كساحة المدرسة اليوم، و هي بالإضافة إلى ذلك المصلى الذي تصلى فيه صلاة الجنازة على الموتى من أبناء الهامل أو من الذين يوصون بدفنهم بمقبرة الزاوية من أهل القرى المجاورة، و هي المكان الذي تستقبل فيه وفود الزائرين، وقوافل الحجيج المتوجهين إلى البيت الحرام.

والدارس لمرافق الزاوية يلاحظ ما يلي:

- أن الزاوية قد احتوت على كل المرافق اللازمة لعملية التربية و التعليم. من داخلية و قاعات للتدريس و مطعم .

- أن الزاوية نموذج استقاه الشيخ من رحلاته العلمية ، و هي أشبه بزوايا منطقة القبائل ، و بالضبط زاوية ابن أبي داود. و لذلك فهي لا تختلف عن غيرها من الزوايا الجزائرية خاصة تلك التي اهتمت بالتربية و التعليم.

- إن الهياكل الموجودة في الزاوية تجعل المقيم بها منقطعاً للعلم و العبادة، و ذلك بما توفره له من مرافق الإيواء و الإطعام و الدراسة.

- إن إقبال سكان الهامل على إنجاز زاوية بمستوى الزاوية القاسمية، من حيث ضخامة البناء والتقنية العالية المستعملة في ذلك، وفي مدة وجيزة لم تتجاوز السنة، معتمدين على جهدهم الذاتي، يبرز شدة تمسك المجتمع الجزائري بدينه و حاجته الماسة للعلم و المعرفة.¹

خامسا- الانتماء الصوفي لزاوية الهامل:

أخذ الشيخ محمد ابن أبي القاسم سند الطريقة الرحمانية الخلوتية² عن الشيخ المختار بن خليفة الجلالى، عن الشيخ محمد بن عزوز البرجي، عن الشيخ عبد الرحمان باش ترزي القسنطيني³، عن الشيخ محمد بن عبد الرحمان القشطلوي الجرجري الأزهري.¹

¹ عيسى بالقي، مرجع سابق، ص79، بتصرف.

² نسبة للشيخ سراج الدين الخلوقي، (ت800هـ-1397م)، أنظر: عبد الباقي مفتاح، أضواء على الطريقة الرحمانية الخلوتية، دار الوليد للنشر، الجزائر، 2004، ص19.

³ الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف ، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1982، ص205.

و الرحمانية من أهم الطرق الصوفية في الجزائر، حتى عدها الكثير من المؤرخين أقوى الطرق الصوفية انتشارا، و أكثرها أتباعا². و قد وصل عدد أفرادها قرابة 160.000 مريد. و عدد الزوايا التابعة لها 177 زاوية. و قد كان مركزها الرئيسي زاوية الشيخ الحداد بمنطقة القبائل. لكن بعد ثورة الشيخ المقراني و مشاركة الإخوان الرحمانيين فيها، و ما نتج عن ذلك من تدمير للزاوية و تشريد لمريديها، و مصادرة لأموالها، لم يعد للطريقة مقر واحد. و انتقل مقرها في الشمال إلى زاوية الحاج بالحملوي بشلغوم العيد، و في الجنوب إلى زاوية الهامل، و لم تمض مدة حتى تصدرت هذه الأخيرة زعامة الطريقة بأكملها ولقبت بالزاوية الأم للطريقة الرحمانية الخلوتية.³

سادسا-مشايخ الزاوية بعد الشيخ المؤسس:

تولى مشيخة الزاوية بعد الشيخ المؤسس، ابنته السيدة زينب (1852-1904م). و اعتبر ذلك خروجاً عن التقليد العام للزوايا و الطرق الصوفية. حيث يتولى الرجال مشيخة الزوايا، لما في ذلك من المهام الشاقة، المتعلقة بإدارة أموال الزاوية، و استقبال الزائرين، و متابعة المشاريع التي تقوم الزاوية بتمويلها و الإشراف عليها. و قد اعتبر الكثير من المفكرين هذه الخطوة، مؤشرا على النظرة المعتدلة لشيخ الزاوية إلى المرأة، و قدرتها على القيادة و التصرف. ثم تولى المشيخة بعدها أبناء أخ الشيخ المؤسس و هم : الحاج محمد (1860م-1913م)، (صاحب الزهر الباسم)، و من بعده الشيخ المختار (1867م-1915م)، ثم الشيخ أبو القاسم (1883م-1927م)، و أخيرا أحمد بن الحاج محمد بن بلقاسم القاسمي (1882 م-1929م).

*ملاحظات حول مشايخ زاوية الهامل :

إن دراسة تاريخ المشايخ الذين تعاقبوا على زاوية الهامل يجعلنا نبدي الملاحظات التالية :

-تعتبر المشيخة وراثية في الأسرة القاسمية ولم تخرج منهم إلى غيرهم، وهو الأمر الذي لم يحدث في كثير من الزوايا الاخرى؛ من ذلك استخلاف الشيخ محمد بن عبد الرحمان الازهري مغربيا، هو

¹ الحفناوي، المرجع نفسه، ص، 457، و القشطولي نسبة إلى قبيلة قشطولة، من بلاد القبائل،

² Copollani:1897,ibid,p222

³ Fontaine.pierre,p80

الشيخ علي بن عيسى على زاويته آيت اسماعيل¹، واستخلاف الشيخ المختار بن خليفة الجلاي الشيخ محمد بن أبي القاسم الهاملي على زاوية أولاد جلال. وربما كان ما حدث للشيخ في أثناء قيامه على زاوية أولاد جلال ومنازعة أولاد الشيخ المختار له على مشيخته لها جعله ينأى بزاوية الهامل عن كل خلاف، وذلك بأن يجعل مشيخته في أسرته فأوصى بها لابنته السيدة زينب، و من بعدها يتم اختيار الشيخ من قبل العائلة القاسمية وينصب بحضور أشرف الهامل الذين يتولى أحدهم مشايخهم وضع العمامة على رأس الشيخ الجديد في تقليد لازال موجودا إلى اليوم.²

-تعلم جل مشايخ الزاوية في زاوية الهامل ولم يغادروها إلا لطلب الاجازة أو التفنن في علم من العلوم وأخذه عن رجاله، مما يدل على العناية الفائقة التي أولتها الأسرة القاسمية لتربية أبنائها وتأهيلهم للعب دور في الحياة العلمية والثقافية، ومن جهة أخرى المستوى العلمي التي وصلت إليه الزاوية مما أغنى الكثيرين عن السفر إلى غيرها من الزوايا والمعاهد الاسلامية المشهورة آنذاك

- جلس جل مشايخ الزاوية للتدريس و التربية و التعليم رغم مشاغلهم، ولم يترفعوا عن ذلك مع وجود من ينوبهم فيه، وهو سبب من أسباب نجاح هذه المؤسسة في أداء مهمتها التربوية والعلمية كل هذه المدة الزمنية التي تفوق القرن و النصف.³

-تجنب أغلب المشايخ الخوض في القضايا السياسية مباشرة، و وجهوا طاقاتهم إلى خدمة المجتمع من إصلاح ذات البين والإنفاق على الفقراء والمساهمة في المشاريع ذات المنفعة العامة، وكانوا طرفا في كل المبادرات الرامية إلى خدمة الوطن بدءا بجمعية العلماء المسلمين ثم جمعية أنصار السنة و جامعة أولاد نايل و اتحاد الطرق الصوفية بالشمال الأفريقي، وهي أعمال تحمل في مضمونها المحتوى السياسي و إن لم تصرح به.

-تقتضي الموضوعية العلمية عدم التعميم، وأن ندرس كل شيخ من مشايخ الزاوية على اعتبار أن له شخصيته الخاصة و سلوكياته الفردية التي لا يمكن فهمها إلا من خلال فهم ملابساتها الاجتماعية

¹ سعد الله، مرجع سابق، ج 4، ص 140

² من مقابلة مع الشيخ أبي القاسم جوبر، إمام متقاعد وأحد معلمي طلبة الزاوية.

³ من مقابلة مع شيخ الزاوية الحالي.

وسياقها التاريخي، ومن ثم لا يمكن أن نجعل مواقف الشيوخ ازاء الأحداث التاريخية المختلفة قاعدة عامة ننطلق منها للحكم على المؤسسة ككل ،ولكن لكل شيخ على حدى رؤيته الشخصية ومواقفه الفردية و تقديراته الخاصة .

سابعاً-الأدوار التي أدتها زاوية الهامل منذ تأسيسها:

1- أدت الزاوية منذ تأسيسها أدواراً عدة أهمها:

أ- الدور الاجتماعي: يمكن تلخيص الدور الاجتماعي لزاوية الهامل فيما يلي:

1- رعاية الأيتام و الأرامل:نتج عن الحروب التي حدثت في الجزائر طيلة المقاومة الشعبية للإحتلال الفرنسي تشريد للعائلات و تدمير للملكية الفردية مما ضاعف عدد الفقراء و المشردين و زيادة أعداد الأيتام الذين وجدوا في الزوايا ملجأ لهم .بل إن بعض هؤلاء لم يكن ممن فقد والديه أو أحدهم ، بل دفعت الظروف والديه إلى وضعه أمام باب الزاوية ليقينهم بأنه المكان الآمن له. و لم تكن الحروب سبباً وحيداً في كثرة الأيتام و الأرامل بل كانت المجاعات التي ضربت الجزائر¹ خاصة ، سبباً ثانياً زاد من معاناة الجزائريين.

و رغم أن المنطقة عرفت الكثير من أصحاب المال و الجاه من أبنائها الذين كانت لهم القدرة على تقديم المساعدة ، إلا أن الفقراء و المساكين وجدوا في الزاوية الملاذ الآمن. أين كانوا يحسون بالجو العائلي الذي يغمرهم به شيخ الزاوية. ولقد وصف أحد الكتاب الفرنسيين ذلك الجو بقوله: " ترى بالقرب من الزاوية جمعا من كل الأعمار، أطفالاً بؤساء عراة ،امهات تظهر عليهن مظاهر الفقر، و شيوخا جالسين على تل صغير. هذا هو الجو العائلي بالنسبة للأسر التي تطلب الصدقة في هذا المكان الكريم"². و وصف الشيخ محمد ابن عبد الرحمان الديسي مدى اهتمام الزاوية بالأيتام و الفقراء و المساكين. بقوله: "كانت الزاوية محلاً للفقراء الغرباء و المساكين و الأرامل

¹ حول المجاعات التي ضربت الجزائر و موقف السلطات الفرنسية منها ،انظر: يحي بو عزيز، مرجع سابق، ص483.

² La fontaine ,pierre ,p 65

و الايتام و الزوار و الطلبة و كان مبلغ الذين يمنحهم- أي شيخ الزاوية- على الدوام و هم في حكم العائلة نحو الألف نفس!¹.

و لقد نهجت الزاوية في ذلك منهجا مميزا تمثل فيما يلي:

أ- الإيواء و التعليم: يستفيد الايتام من نفس الخدمات المقدمة لطلبة العلم، من حيث الإقامة و الأكل. باستثناء البنات اللواتي يسكن مع الشيخ في بيت العائلة و لا يفارقنهن إلا بالزواج.

ب- التكفل المادي: من بين أيتام الزاوية من هو صاحب ميراث أوصى أهله الشيخ بالتكفل به و بماله. و هذا يستثمر الشيخ ماله و ينمي له دون أن ينفق منه على تربيته. فإذا بلغ الطفل رشده دفع إليه ماله مضاعفا. وأما بقية الأيتام فهم في كفالة الشيخ ينفق عليهم من أمواله و من صدقات المحسنين.²

ج - التربية العقلية و الروحية: أولت الزاوية أهمية خاصة للتربية العقلية و الروحية للأيتام بجانب التربية الجسمية، فكانت تعاملهم معاملة الأبناء. و تحرص على تحفيظهم القرآن الكريم، و توجيههم إلى العلم الشرعي، فعوضتهم بذلك عن فقد آبائهم. و قد برز منهم الكثيرون ممن خدموا بالزاوية أو درسوا بها. و منهم من تبوأ مكانة راقية في المجتمع بفضل ما تلقوه في الزاوية من تربية حسنة.

د- التأهيل المهني: و ذلك إما علميا بحيث يصبح اليتيم قادرا على العمل في الوظائف الدينية أو الإدارية. و إما مهنيا عن طريق ممارسته لعمل في أوقاف الزاوية بحيث يؤهله ذلك في مجال الزراعة و هي المهنة الغالبة على المجتمع الجزائري آنذاك. و هذا العمل يجعل اليتيم يحس بأنه ليس عالة على أحد، و أنه قادر على تقديم شيء للمجتمع.

لقد كانت جهود الزاوية منصبة على انتشار الأيتام من الوقوع في مخطط لافيحري لتنصير الأطفال الجزائريين، تحت غطاء التكفل بهم، من أجل فصلهم عن دينهم، و تأهيلهم ليكونوا وسيلة

¹ محمد بن الحاج محمد، مرجع سابق، ص56.

² محمد بن الحاج محمد، المرجع نفسه، ص 57.

المستعمر التي تروج لأفكاره الرامية إلى التشكيك في وجود شعب جزائري أصلا، و سبيله لنشر النعرات القبلية و النزاعات العرقية، تمهيدا لتفكيك وحدته و تشتيته و القضاء عليه¹.

2-الخدمات المقدمة للأرامل:

تتكفل الزاوية بهذه الفئة على شكلين:

- أ- الأرامل المتواجدات داخل الزاوية:تضمن الزاوية لهن المأوي و المأكل و المشرب، مع إشراك القادرات منهن في تحضير وجبات الطعام للزائرين و طلبة العلم.
- ب-الأرامل المتواجدات خارج الزاوية:وأغلبهن من سكان القرية و قد وفرت الزاوية لهن فرص عمل في مطعم الزاوية بالنسبة للقادرات منهن ،أما غير القادرات فلم يكن من عادة شريفات الهامل التوجه إلى الزاوية، بل كانت الصدقات تصلهن إلى البيوت.²

3- الخدمات المقدمة للفقراء و المساكين:

اتسعت الخدمات الإجتماعية المقدمة للفقراء و المساكين لتشمل المناطق المحيطة بالهامل. و امتدت إلى بلاد القبائل و الصحراء. و قد ساهمت الزاوية في تخفيف المعاناة عن المناطق التي عرفت مقاومات شعبية كمقاومة المقراني أو الشيخ الحداد. و لقد آوت الزاوية أبناء المجاهدين في كل فترات المقاومة الشعبية و كذا أثناء ثورة التحرير المباركة³. و شملت هذه الخدمات المأوى، و المأكل و المشرب، والتربية والتعليم ، والرعاية الصحية والنفسية.

4-الخدمات المقدمة لعابري السبيل:

كانت قرية الهامل ممرا لقوافل الحجيج المتوجهة من المغرب إلى بيت الله الحرام⁴.و بحكم موقعها بين الشمال و الجنوب فقد كانت تستقبل القبائل التي ترحل من الجنوب إلى الشمال بحثا

¹ سعيدي مزيان ، النشاط التبشيري للكاردينال لافيغري في الجزائر، دار الشروق للطباعة و النشر و التوزيع، الجزائر، 2009، ص 222 فما بعدها.

² من حوار مع أمين مكتبة الزاوية أبي الأنوار دحية.

³ عيسى بالقي، مرجع سابق، ص 125.

⁴ الحاج مزاري، مرجع سابق، ص23.

عن الكلاً. و قد أعدت الزاوية لذلك مرافق خاصة من بيوت للضيافة تفانى شيوخ الزاوية في بنائها و إضاءتها و توفير وسائل الراحة فيها.

و لم يكن عابروا السبيل من الفقراء أو الرعاة المتنقلين، بل كانوا أحيانا طلبية للعلم، متوجهين إلى الزيتونة أو الأزهر، و كان الشيخ يدفع لهم من ماله الخاص، حاثا لهم على طلب العلم و المعرفة ، و قد أعجب الكثيرون منهم بالتعليم في الزاوية فعدلوا عن وجهتهم، و بقوا في الزاوية و أصبحوا أساتذة فيها.¹

5-الخدمات المقدمة للمشردين و المعوقين:

خصصت الزاوية من بين مرافقها قاعات لاستقبال فئة معينة، ذات احتياجات خاصة، و هي فئة ذوي الأمراض العقلية ،وقد كانت الزاوية تقوم بمحاولة تأهيلهم إجتماعيا، عن طريق تكليف القادرين منهم على العمل في البساتين، أو في بعض أعمال الزاوية. و قد كانوا يحضرون حلقات الذكر التي عادة ما تكون يوم الخميس ليلا أي ليلة الجمعة، دون أن يتعرض لهم أحد بالإهانة أو الأذى.

6-المساهمة في أوقات الكوارث و المجاعات:

كانت سنة 1869م من أشد السنوات على الشعب الجزائري؛ إذ مات الآلاف منهم بسبب القحط و قلة المحاصيل الزراعية، و قد وقفت السلطات الفرنسية من كل ذلك موقف المتفرج، بل استغلت الفرصة للدفع بمشروعها التبشيري إلى أقصى مدى على يد المبشر لافيغري²، و هنا برز دور الزوايا - و من بينها زاوية الهامل - التي سخرت كل أموالها و مرافقها من أجل إيواء المشردين الذين فقدوا اموالهم بعد هجرهم لأراضيهم التي لم تعد تجود بشيء.

ولم يقتصر هذا الدور على المناطق القريبة كالجلفة وسيدي عيسى والشلالة و المسيلة و عين بوسيف، بل تعداه إلى منطقة الشلف حيث شاركت الزاوية في التخفيف من المجاعة التي حدثت في سنة 1893م. و يحدد لنا صاحب "رسالة حول زاوية الهامل" محمد المكي القاسمي ،

¹ منهم محمد بن عبد الرحمان الديسي، انظر: الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1982، ص407.

² خديجة بقطاش ، الحركة التبشيرية الفرنسية في الجزائر 1830-1871، دار دحلب ، الجزائر ، ص110-111.

المبالغ التي صرفها شيخ الزاوية الشيخ أبو القاسم سنة 1920م¹ و المناطق التي جاء منها المشردون بقوله: "كفل الشيخ المترجم- الشيخ أبو القاسم القاسمي- من منكوبي ناحية الجلفة و بوسعادة و الشلالة و عين بوسيف و المسيلة وسيدي عيسى ما يزيد على المائتين من العائلات زيادة على المشردين من الأهالي، و أنفق عليهم في طعامهم و كسوتهم ما يزيد عن ربع مليون من الفرنكات! و بقوا في العيش تحت أكناف الزاوية و ظلها إلى أن زالت تلك الجماعة و كشف الله تلك الشدة الدهماء عن عباده و بلاده".²

7- فض النزاعات و الخصومات:

لم يكن دور شيوخ الزاوية مقتصرًا على إصدار الفتاوى بحكم إتقانهم للعلوم الشرعية ، و لكن تعدى ذلك إلى فض النزاعات و الخصومات سواء العائلية منها ، كقضايا الزواج و الطلاق و الميراث ، أو العامة أي المتعلقة بجرائم القتل التي عادة ما تحدث نتيجة الصراع على الأراضي، و قد كانت الأحكام محل تقدير من جميع المتخاصمين بسبب النفوذ الروحي لهؤلاء الشيوخ الذين عادة ما كانوا يدفعون من أموالهم الخاصة ما يصلحون به ذات البين دفعا لكل ما يفرق شمل الجماعة.

وجد الأهالي في الزوايا بديلا عن المحاكم الفرنسية خاصة بعد قانون 1841³ الذي تضمن التنظيم القضائي في الجزائر. و الذي بموجبه انتزعت كل الصلاحيات من القضاة المسلمين و خاصة البت في القضايا الجزائية ، بحجة التعاطف و عدم التشدد مع الجزائريين ، و اقتصر دورهم على القضايا الشخصية . و حتى هذه الأخيرة ظلت السلطات الفرنسية تتحايل حتى ألغتها. من خلال قانون "سيناتور كونسولت" (Sénateur Consulte).⁴

¹ تقرير السلطات الفرنسية حول زاوية الهامل سنة 1952، من وثائق الزاوية القاسمية. الملحق رقم (7)

² محمد المكي القاسمي، مرجع سابق، الملحق رقم (1).

³ عيسى بالقبي، مرجع سابق، ص 139.

⁴ عبد الله سليمان، شرح قانون العقوبات، دار الهدى ، الجزائر، ج 1، ص 43.

و لقد لفت هذا الدور انتباه الكاتب الفرنسي Lehravx-Léon خلال زيارته للزاوية حيث يقول: "و من الجدير بالذكر أن التأثير الروحي لقائد هذا المركز الديني كانت له تأثيرات مدنية، حيث توصل إلى جعل أولاد نائل يرجعون إليه في حل خلافاتهم حتى غير الدينية.¹

و بالتالي لعبت الزاوية دور المحكمة الموازية للمحاكم الفرنسية، و هي تحكم وفق قوانين الشريعة الإسلامية، ولا بد لنا من لفت الإنتباه إلى أن الكثير من القضايا كانت تحل وديا بعيدا عن المشاحنات والعداوات، و ينفذ المتخاصمون راضين بالأحكام ومنصاعين لحكم شيخ الزاوية في جو من الأخوة التي حافظت على كيان الأمة من التمزق.

8- الحفاظ على الموروث الثقافي للمجتمع الجزائري:

الثقافة في مفهومها العام هي ذلك الكل المكون من العادات والتقاليد و الأعراف و المبادئ التي تحكم مجتمعا ما و تعتبر رأسمال معنويا يقابل رأس المال المادي. و تنتقل الثقافة من جيل إلى آخر عن طريق عملية التنشئة الإجتماعية التي يمارسها الجيل السابق على الجيل اللاحق. و التي تؤهل الفرد ليكون صالحا في المجتمع. و تمثل الشريعة الإسلامية مصدر الثقافة الأول بالنسبة للمسلمين ، فهي التي تحدد ملامح المجتمع الإسلامي، و علاقته بالمجتمعات الأخرى، وهي إلى جانب ذلك ترسم ملامح العلاقات البينية داخل المجتمع ،بدءا بالعلاقات داخل الأسرة وانتهاء بالعلاقات العامة التي تنتج من الأدوار التي يلعبها الفرد في المجتمع.

و المجتمع الجزائري زاهر بالعادات و التقاليد المستمدة من دينه و أصالته، و لقد حافظت الأجيال السابقة على هذا الموروث المادي منه و المعنوي؛ فكان الجزائريون يتضامنون آليا في مواسم الحصاد وعند تشييد المرافق و المشاريع العامة. و تعتبر **التوزيع** فرصة مواتية ليظهر فيها التماسك و التآزر والتآخي و التعاون على البر و التقوى. و لقد كانت الزاوية تشارك أهل المنطقة مواسم الحصاد، و يدعى شيخ الزاوية أو أحد ممثليه ليفتح هذا المهرجان الثقافي تبركا به و طلبا للدعاء بدوام النعمة ووفرة المحصول.²

¹ Fontaine، Pierre، P81

² من مقابلة مع شيخ الزاوية الحالي.

أما المشاريع العامة فقد ساهمت الزاوية في ترميم السدود الموجودة على مجرى وادي الهامل، موفرة بذلك كمية أكبر من المياه التي عادة ما تضيع عند سقوط السدود أو قدمها. وهي فرصة - أي التوزيع - لزيادة الإحساس بالروح الجماعية وترسيخ معاني الأخوة و التعاون والحفاظ على الثقافة الشعبية المتمثلة في الأشعار و الأهازيج التي كانت تردد أثناء العمل؛ من مدائح دينية وقصائد نبوية ظلت الأجيال تتناقلها شفاها ويحفظها الكبار و الصغار على حد سواء، وعادة ما يحضرها الآلاف من أبناء القرية ومن خارجها، و يدعى إليها في المساجد قبل موعدها بأسابيع، و تعد فيها الولائم للفقراء و المساكين، في جو من التعاون والتراحم.¹

2- الآثار المترتبة على الدور الاجتماعي للزاوية:

ساهمت الزاوية كمؤسسة اجتماعية في التخفيف من معاناة الشعب الجزائري الذي تعرض لأبشع أنواع الاستعمار على الإطلاق. وحافظت على موروثة الثقافي ممثلا في دينه وعقيدته و لغته و عاداته و تقاليده. و حمايته من الثقافات الوافدة و الجمعيات التبشيرية، و حمت نظامه الاجتماعي بواسطة خلق نمط جديد من العلاقات الاجتماعية القائم على الانتماء الروحي ، و جنببت المجتمع ويلات التفكك و الذوبان.

و بذلك كله تكون الزاوية قد مثلت دور مؤسسة ضبط اجتماعي كان لها أثرها في تقويم السلوك الاجتماعي ، و حملت على عاتقها - رغم محدودية سلطتها - مسؤولية المؤسسات الرسمية للدولة التي دمرها المستعمر، من سلطة إدارية و قضائية و دينية.

3- أوقاف زاوية الهامل:

لا يمكن الحديث عن الدور الاجتماعي للزاوية دون التطرق إلى مصادر تمويلها؛ فقد كانت الزاوية تستقبل المئات بل الآلاف أحيانا من الفقراء و المساكين، و هي مأوى دائم للمشردين، و محطة للمسافرين و عابري السبيل، ناهيك عن أنها مؤسسة علمية تقدم تعليما مجانيا لمئات الطلبة في نفس الوقت. كل هذا يجعل من توفير المورد المالي المتجدد أمرا حتميا، وإلا توقف هذا النشاط.

لقد مثلت الاستقلالية المالية للزاوية الهامل عاملا مهما في استقرارها و ضمان سيرورتها، ومكنتها من القيام بأدوار كثيرة دون الحاجة إلى تمويل من جهات حاكمة، وهذا جعلها

¹ المقابلة نفسها.

بمنأى عن ضغوطات الجهات الرسمية التي تتخذ من التمويل وسيلة للتأثير على توجهات المؤسسات الدينية و تسخيرها لخدمة سياساتها.

و تمثلت مصادر تمويلها فيما يلي:

* الأراضي الزراعية التي وقفها أبناء الأعراش والقبائل على شيخ الزاوية من أجل القيام بمهمة تعليم القرآن و نشر العلم، و قد كانوا يختارون في ذلك أخصب الأراضي و أجودها، و فيها بساتين النخيل في الجنوب و الزيتون في بلاد القبائل و غيرها.

* الحيوانات من الأغنام و الماعز و الخيول و الإبل.

* أوقاف قارة من بيوت و حوانيت و دور للسكنى، و قد كانت موجودة في المدن الكبرى.

و قد انتشرت أوقاف الزاوية في الجزائر شرقا و غربا، و تعدتها إلى خارج الجزائر؛¹ فقد كان للزاوية أوقاف في الحرمين الشريفين، يشرف عليهما الشيخ أحمد الأمين بنعزوز.²

تكونت للزاوية من الثروة ما قدرته التقارير الفرنسية بأنه يمثل عشر الثروة في الجزائر³ آنذاك أي في حياة المؤسس. و قد تصرف الشيخ المؤسس في كل ذلك بشكل حافظ به على هذه الثروة من الضياع و وثقها و نماها وسخرها للصالح العام. فقد كان الشيخ محمد يوثق عقود الأوقاف في محكمة بوسعادة. و يشهد عليها العلماء واعيان الهامل و بوسعادة . ولا زالت نسخها إلى اليوم عند مشيخة الزاوية. و دفع بأموال الهبات و الهدايا إلى بعض مريدي الطريقة من التجار من أجل تنميتها. و قد اشترى أراضي أخرى في كل من بسكرة و وادي ريغ و تيارت و منطقة القبائل و وقف بعضها على قراءة القرآن. و فعل الخيرات.⁴

و من أجل حماية أموال الزاوية من التقسيم و التشتت بسبب الإرث، فقد جعلها حيسا على نفسه مقلدا في ذلك مذهب أبي يوسف من الأحناف، ثم على ابنته السيدة زينب و من

¹ عبد المنعم، مرجع سابق، ص 308.

² من خريجي الزاوية، و أحد علماء الحرمين الشريفين، انظر ترجمته في: عبد الحي الكتاني، فهرس الفهارس و الأثبات و معجم المشيخات و المسلسلات ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1982، ج1، ص 87.

³ Rapport des archives d'outre- mer، aix-en- province، AOM ،

⁴ من مقابلة مع شيخ الزاوية الحالي.

بعدها على أبناء عمومته أي أبناء أخيه الحاج محمد. و بذلك حافظ على اصل الوقف، و حرم التصرف فيه ببيع أو هبة أو غيرها من انواع التصرف التي تنقص منه، و توعدها كل من يفعل ذلك بأنه سيكون خصيمه يوم القيامة.

و بذلك كله استطاع الشيخ محمد بن أبي القاسم أن يحمي الزاوية من ضغوط السلطة الفرنسية، ومن الضرائب المسطرة على الأملاك الخاصة و العامة، واستفاد من رحلاته العلمية و تنقلاته في تنويع مصادر دخل الزاوية، من تنمية للمال بالتجارة و الزراعة و الرعي، وقد استفاد من ذلك الكثير من التجار والفلاحين و وفر للمئات من عامة الشعب مناصب شغل قارة.

و قد ساعدت رغبة فرنسا في استمالة الشيخ و تقييد الزاوية عن الثورات الشعبية . واستغلالها كعامل استقرار للصحراء، في إعطائه نوعا من الحرية في التحرك و الإتصال بالمواطنين و التملك دون أن يجد عائقا من السلطات الفرنسية التي ظلت ترقب الزاوية عن قرب دون أن تتدخل في شؤونها.¹

ب- الدور الصوفي لزاوية الهامل:

لم تمض مدة طويلة على تأسيس زاوية الهامل حتى حازت رئاسة الطريقة الرحمانية التي اعتبرت أكثر الطرق انتشارا و أتباعا في الجزائر²، مما يدل على الجهد الذي بذله الشيخ المؤسس في سبيل نشر الطريقة الرحمانية الخلوتية و ما لقيته هذه الطريقة من قبول على يديه.

فقد كان الشيخ يقوم بنشر طريقته أثناء الزيارات التي يقوم بها لمقامات كبار المتصوفة في الجزائر كمقام الولي الصالح عبد الرحمان الثعالبي بالعاصمة ، و هي الزيارة التي أقبل فيها أهلها على أخذ ورد الرحمانية بمسجد الحامة سنة 1304 هـ.

و قد كان الشيخ ينشر طريقته في كل المناطق التي حل بها في طريقه من العاصمة إلى الهامل، متوسلا إلى ذلك بالسمعة التي حظيت بها الزاوية في نفوس الأهالي، خاصة تلك التي تضررت أيام الكوارث والأزمات؛ فلم يكن من الصعب اقتناعهم بالطريقة وكسب ولائهم للزاوية القاسمية.

¹ تقرير السلطات الفرنسية في بوسعادة عن الزاوية، من مخطوطات الزاوية ، ملحق رقم(7).

و للشيخ أتباع و مريدون في كل انحاء الوطن ؛ تربوا في الزاوية و أخذوا العلوم الشرعية على مؤسسها تولوا بأمر منه مهمة نشرها و تعليم أواردها، و لم يكن الأمر مقتصرًا على نشر الأتباع و تعليم الأوراد بل تعداه إلى تأسيس زوايا تابعة لزاوية الهامل، تقوم بنفس أعمال الزاوية . نذكر من ذلك¹:

1-زاوية سي علي بن دنيدينة بالجلفة: وهو من طلبة الزاوية القاسمية؛ أخذ العلم على شيخها الشيخ محمد بن أبي القاسم لينتقل بعد ذلك إلى الجلفة أين أسس زاويته في قلب مدينة الجلفة.

2- زاوية الشيخ عطية الجلالية:² أسسها الشيخ أبو أحمد عطية بن أحمد بن عطية في نواحي الجلفة بالمكان المسمى عين معبد سنة 1870م. و قد تخرج منها علماء كثيرون منهم الشيخ عطية مسعودي(1600م-1989م) و هو عالم الجلفة و مفتيها.³

3-زاوية الشيخ عبد الرحمان طاهري⁴: من مواليد 1882م بمسعد، أسس زاويته ب "دمد" بالقرب من الجلفة. تخرج من زاويته علماء كثيرون من أشهرهم محمد بن ارييح إمام الجامع الكبير بالجلفة ثلاثينيات القرن العشرين. عارض الشيخ طاهري قانون التجنيد الإجباري سنة 1914، فسجن وعذب ثم قتل بالسّم عام 1931م

4- زاوية الشيخ السلامي: بالقرب من عين وسارة:

الشيخ السلامي من مواليد مدينة الأغواط سنة 1840م.⁵ أخذ العلم بزاوية الهامل في عهد مؤسسها، ثم عاد إلى منطقة أولاد سلام، عرش رحمان و أسس زاويته سنة 1870م، و ظل مدرسا بها إلى أن وافته المنية سنة 1927م. خلفه على رأس الزاوية ابنه عبد العظيم الذي كان فيما بعد من

¹ عبد المنعم، مرجع سابق، ص222.

² عامر محفوظي، تحفة السائل بباقة من تاريخ سيدي نائل، مطبعة النعمان، الجزائر، 2002، ص، 27.

³ صلاح مؤيد العقبي، مرجع سابق، ص508.

⁴ عامر محفوظي، مرجع سابق، ص ص35-36.

⁵ المرجع نفسه، ص37.

الأعضاء المؤسسين لجمعية علماء السنة بالجزائر سنة 1939م، و خلفه أخوه الشيخ محمد بن السلامي.

5-زاوية أحمد برميلة القصيعات ،بوسعادة:

أسسها القاضي محمد الصغير الأعرج الذي كان قاضيا بمنطقته فأشار عليه الشيخ محمد بن أبي القاسم بالتخلي عن القضاء و تشييد زاوية للعلم، فكانت الزاوية الموجودة في منطقة القصيعات (أولاد رحمة) جنوبي مدينة بوسعادة. من أهم أعلامها الذين شاركوا في ثورة التحرير الشيخ زيان عاشور، قائد المنطقة العسكرية آنذاك. اعتبرت قاعدة خلفية للثورة و هو ما دفع السلطات الفرنسية إلى التضييق عليها حتى توقف نشاطها.

ولقد شاركت الزاوية القاسمية في تأسيس جمعية العلماء المسلمين، ومثلها في ذلك الشيخ مصطفى القاسمي و عبد القادر القاسمي و محمد بنعزوز القاسمي، لكن بعد الخلاف الذي حدث بين العلماء وبين بعض مشايخ الصوفية وعلى رأسهم الشيخ المولود الحافظي¹ انسحب القاسميون من بين من انسحبوا ليؤسسوا "جمعية علماء السنة" بتاريخ 15 سبتمبر 1932 و التي لم تدم طويلا و حلت في شهر نوفمبر 1935م².

بعد ذلك سعت الزاوية إلى تأسيس رابطة تجمع الزوايا على المستوى المغاربي أطلق عليها اسم "جامعة الزوايا للشمال الإفريقي"، في شهر مارس 1948، دعت إليها علماء من الأقطار المغاربية و حضرها أكثر من 120 شيخ زاوية، و قد أسندت رئاستها إلى شيخ زاوية الهامل مصطفى القاسمي، وحضرها عبد الحفي الكتاني من المغرب والتبريزي بنعزوز من تونس .

و كان من أهدافها:

-المحافظة الكلية على الدين الإسلامي و تعاليمه و على القرآن الكريم و الأحكام الشرعية.

¹ مولود بن الصديق الحافظي الأزهرى، ولد بقرية بوقاعة بولاية سطيف سنة 1895، من خريجي الأزهر الشريف، توفي سنة 1948 م، انظر ترجمته في : مؤيد العقبي، مرجع سابق، ص456.

² AGERON ,*histoire de l'Algérie contemporaine* ,op,cit,p 331

-احترام التقاليد القومية التي لا تتعارض مع أصول الدين الإسلامي الحنيف أو مع فروعه.

-نشر التعليم المجاني بواسطة برنامج واسع النطاق في الزوايا و إحداث معاهد أخرى في مختلف مناطق البلاد لهذا الغرض.

-الدعوة والارشاد إلى التمسك بأهداب القرآن الكريم الذي هو حبل الله المتين و تبين محاسن الشرع الإسلامي بواسطة علماء الدين.

-العمل على إزالة الفقر و البؤس على الفقراء لا سيما اللاجئين إلى الزوايا حيث تقع العناية بهم و تعليمهم، وخصصت لكل مشروع من هذه المشاريع أو الأهداف صندوقا ماليا خاصا به.¹

ج-الدور الجهادي:

1-موقف زاوية الهامل من الثورة التحريرية 1954-1962م:

ظل موقف الزوايا عموما من الثورة التحريرية يتحاذبه طرفان، أحدهما يرى بأن الزوايا وقفت ضد الثورة التحريرية وإن لم يكن ذلك صراحة، على اعتبار أن الثورة قد سلبت الزوايا نوعا من السلطة العاطفية و الفكرية على المجتمع، وهددت المكاسب المادية لشيخ الزوايا الذين كانوا يتمتعون بمكانة خاصة لدى السلطات الفرنسية التي أسقطت عنهم الكثير من الأعباء التي كان الجزائريون يتحملونها، من ضرائب ومكوس وغرامات، بل إن بعض هؤلاء تولوا مناصب إدارية وسياسية جعلتهم وسيلة في يد المستعمر، وأصبح من الصعب عليهم مواجهتها أو دعم الثورة عليها، و من جهة أخرى فالزوايا خلقت نوعا من الركود الفكري و الإستسلام العاطفي لدى الجزائريين الذين أصبحوا- بفعلها - يعتقدون أن فرنسا هي قضاء الله المحتوم، وأنه لا طاقة للإنسان أمام هذا القدر سوى التسليم به.

و أما الطرف الثاني فهو يرى بأن الزوايا لم تكن كلها في موقف واحد من الثورة التحريرية أو المقاومات الشعبية قبلها؛ ففي الوقت الذي نعم فيه بعضها بالطمأنينة رأينا زوايا تدمر، وأموالا تصادر، و شيوخا يقادون إلى السجون أو يعدمون.²

¹ صلاح مؤيد العقبي، مرجع سابق، ص389-391.

² عمار بوحوش، مرجع سابق، ص145.

و يمكن أن نرد هذا التجاذب إلى كون الطرق الصوفية لم تعلن صراحة تأييدها للثورة من أول يومها، مثلها مثل جمعية العلماء المسلمين وبعض الأحزاب السياسية، وهو ما جعلها محل شك من قادة الثورة و مفجريها .و يعود سبب هذا الموقف إلى:

*محاولة الزوايا الحفاظ على مؤسساتها التربوية التي ظلت لعشرات السنين محضنا من محاضن الشخصية الجزائرية، وهي اليوم غير قادرة على المقاومة بها.

*ما حدث للزوايا الصوفية من قادية و رحمانية و طيبية من تدمير وإبادة أثناء المقاومة الشعبية جعلها تنأى بنفسها عن العمل المسلح و تقتصر على العمل الثقافي التربوي، بل و تشكك في أي عمل من شأنه إنهاء الإستعمار.

*اعتبار الزوايا التربية والتعليم نوعا من الجهاد الموازي للجهاد بالسلاح، وأنه داعم له و رافد من روافده.

*اختارت بعض الزوايا الدعم غير المباشر للثورة، فقد كونت خلايا للتوعية و الترويج للفكر السياسي الثوري و جمعت التبرعات¹، و أقامت محاكم شرعية تابعة للقيادة السياسية كانت تفصل في القضايا المتعلقة بشؤون المواطنين لإبعاد القضاء الفرنسي عن الحياة الإجتماعية للجزائريين.

و قد نهجت زاوية الهامل الرحمانية الخلوتية نهج الدعم غير المباشر للثورة متبعة في ذلك مسلك الشيخ المؤسس الذي عاصر الكثير من الثورات وظل محافظا على مؤسسته التي ربطت علاقات وطيدة مع قادة الثورات واحتضنت الكثير من أسرهم مثل الشيخ المقران و غيره و اكتسبت ثقتهم و تقديرهم دون أن تشارك مباشرة معهم، و هذا المنهج يمكن إجماله فيما يلي:

-الدعاية للثورة التحريرية: استثمرت القيادة السياسية للثورة المكانة التي تتمتع بها الزوايا في قلوب الجزائريين فجعلت منها وسيلة للترويج للثورة، فكانت من أبناء الزاوية خلايا تنشر الوعي السياسي بين المواطنين، و كان من بين أعضائها من تولى مشيخة الزاوية لاحقا و قبض على البعض منهم و أودع البعض الآخر السجن و الإقامة الجبرية².

¹ الحاج مزاري، مرجع سابق، ص48.

² من مقابلة مع شيخ الزاوية الحالي.

-المشاركة المباشرة في العمل المسلح :وهو موقف تبناه بعض طلبة الزاوية من أبناء عائلة الشيخ المؤسس أي القاسميين ومن غيرها، وقد سقط بعضهم شهداء في ساحة المعركة.¹

-إيواء أبناء المجاهدين و أسر الشهداء :ليس من المنطقة فحسب ،بل من مناطق بعيدة و منها منطقة القبائل.

-تكوين محاكم شرعية تابعة للقيادة العسكرية .مهمتها الفتوى و إصدار الأحكام في القضايا المتعلقة بالعمل المسلح.

و لقد مثل هذا الموقف بالنسبة للبعض قمة الذكاء². إذ لا فائدة من الإعلان الرسمي عن الدعم للثورة لتتحول الزوايا إلى أكوام من التراب بعدما كانت "تمد الثورة بالمجاهدين و الكتاب و القضاة ممن ساهموا في ارساء ادارة قوية كانت سندا للثورة في ترتيب امورها و تدوين تقاريرها". بل لقد كان من قادة الثورة من تخرج من الزوايا متشعبا بالقيم الإسلامية و الوطنية.³

وليس أدل على العلاقة الوثيقة بين الزاوية القاسمية و الثورة ،من القرار الذي اتخذته القيادة السياسية للولاية السادسة التاريخية ،القاضي بإنشاء معهد إسلامي تابع لزاوية الهامل ، برئاسة الحاج خليل القاسمي تكريما لها على الأعمال الجليلة التي قدمتها للثورة التحريرية. هذه العلاقة التي أشارت إليها التقارير الفرنسية التي ظلت تحذر من النشاط غير المفهوم الذي تقوم به المنظمات السرية (الزوايا) و بالضبط زاوية الهامل. و تحذر من التحركات المشبوهة التي يقوم بها بعض أبناء الزاوية اثناء تنقلاتهم ،تحت غطاء النشاط الديني ،و هي تحمل في داخلها مضمون العمل التعبوي السياسي.⁴

¹ عبد المنعم، مرجع سابق، ص، 251.

² سعد الله ، مرجع سابق، ج4، ص ص 160-161.

³ أمثال عميروش و الحواس و القايد زيان. انظر: وفاء بن علي، مرجع سابق، ص 52.

⁴ تقارير مكتب بوسعادة، من مخطوطات الزاوية، الملحق رقم(7).

ثامنا-مؤسس الزاوية:

1- مولده و نشأته:

هو أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم بن ربيع بن محمد. ولد بالبادية قرب حاسي بجيج في شمال الصحراء بمكان يسمى الحامدية في رمضان من عام 1239هـ الموافق لسنة 1823م وقد كانت العائلة التي ولد فيها من الأسر العريقة بالمنطقة ميسورة الحال ماديا. وذات علم ودين ذلك أن جده الثاني محمد بن عبد الرحيم كان من العلماء الأجلاء في عصره وترك خزانة حافلة من الكتب تدل على درجته في العلم وتفقهه في علوم الدين واللغة أما والده فأشتهر كذلك بالعلم والصلاح والتقوى، وقد عرف عليه حرصه الشديد وتفانيه في تعليم ابنه منذ نعومة أظافره. ومما اشتهر به تربيته للأيتام والإحسان اليهم، وقد كان من مريدي الطريقة الرحمانية ومن اتباع الشيخ المختار بن خليفة شيخ زاوية أولاد جلال، وكان يختم نصف القرآن في اليوم الواحد خصوصا في أواخر أيامه، وأنه ما ترك قراءة القرآن في اللوح حتى مات وتركها مكتوبة بخطه في سورة الاعراف¹. وأما أمه فهي السيدة عائشة بنت مازوز شريفة حسنية من أقارب والده .

2-مراحل تعلمه:

كان من عادة الأسر الميسورة أن توجه أبناءها لحفظ كتاب الله في كتاتيب ومساجد القرى والتي توفر تعليما ابتدائيا يقتصر على تحفيظ القرآن وبعض مبادئ العربية. فاذا ما أتقن الطالب حفظ كتاب الله توجه إلى زاوية من الزوايا المنتشرة هنا وهناك من اجل طلب العلم الشرعي، وهو ما كانت تقدمه الزوايا كحد أدنى من الدراسات الاسلامية بعدما توقفت جل المدارس الشرعية عن استقبال الطلبة بعد التدمير الممنهج الذي قامت به فرنسا ضد كل مؤسسة اسلامية دينية ؛وهو ما قام به الوالد أبو القاسم حين بعث بابنه محمد إلى بلاد القبائل في شمال الجزائر بعدما رأى عوامل النبوغ والتفوق وفي مقدمتها حفظه للقرآن وعمره لم يتجاوز الثالثة عشر سنة .وقد

¹ محمد بن الحاج محمد ، مرجع سابق، ص07.

كانت منطقة القبائل عامرة بالكثير من الزوايا التي أسسها علماء جلسوا للتدريس وتحفيظ القرآن والحفاظ على اللغة العربية وبنو زوايا لاستقبال الطلبة والانفاق عليهم من أموال المحسنين، وبعض هذه الزوايا لازال قائما منذ قرون إلى يومنا هذا.¹

التحق الشيخ محمد في بداية الأمر بزواية الشيخ علي الطيار في البيان (1252هـ-1836م)، فأتقن فيها القراءات السبع والتجويد وحفظ الكثير من المتون. دامت مدة إقامته في هذه الزاوية سنتين، ثم انتقل بعد ذلك إلى زاوية ابن أبي داود في زاوية في ناحية آقبو بجبال القبائل²، وهي من أكبر الزوايا في الشمال وكان طلاب يقصدونها من أنحاء كثيرة لطلب العلم والمعرفة فاختارها آل محمد ابن أبي القاسم لابنهم اعتمادا على توجيهات أساتذته في الزاوية الأولى³، و تم انتقاله إليها في سنة 1245هـ-1838م.

وقد كان حفيد مؤسسها الشيخ أحمد ابن أبي داود يدير شؤونها، وهي زاوية تميزت بالعلوم الشرعية الكثيرة وكذا كبار العلماء والمدرسين البارعين، وقد لازم فيها شيخها وأخذ عنه العلوم الشرعية وأتقنها، فبرع في التفسير والحديث والفقه والأصول والنحو والصرف والبلاغة وعلم المنطق وعلم الفلك والحساب. ولعل ملامح شخصيته العلمية قد تبلورت في هذه الزاوية، ولفت إليه انتباه شيخ الزاوية الذي قربه منه واجازه للقيام بمهمة التعليم، وذلك في سنة 1259هـ-1843م⁴، بالإضافة إلى دروس الوعظ التي كان يلقيها في أحد المساجد التابعة للزاوية بزواوة، وكان عمره آنذاك لا يتجاوز العشرين سنة.⁵ بل لقد دفع به شيخه إلى استخلافه في الدروس العليا التي كان يلقيها بمعهد وكلفه بأعمال الإدارة والتسيير، واستمرت فترة إقامته في الزاوية سنة كاملة بعدها أجازه شيخه في كل العلوم وأذن له في الرجوع إلى بلدته مع التوصية بسلوك طريق العلم والعمل.

¹ صلاح مؤيد العقبي، مرجع سابق، ص 290.

² محمد بن الحاج محمد، مرجع سابق، ص 20.

³ Coppolani, ibid, p407.

⁴ المرجع نفسه، ص 21.

⁵ دبور محمد علي، نهضة الجزائر الحديثة و ثورتها المباركة، مطبعة التعاون، دمشق، 1956، ص 60.

وليس مستبعدا أن يكون هو من أوعز له بفكرة تأسيس زاوية بالهامل التي رجع إليها سنة 1260هـ-1844م بعد أن أتم ثماني سنوات في جبال القبائل التي لم يكن الاستعمار الفرنسي قد بسط سيطرته عليها بعد وقد كانت اخبار المقاومات الشعبية خاصة مقاومة الامير عبد القادر تصل إلى الزاوية .

تعتبر هذه المرحلة في الحياة العلمية للشيخ محمد بن أبي القاسم مرحلة تحصيل علوم الشريعة من تفسير وقراءات وفقه وأصول ونحو وبلاغة، غير أنه وبعد أن عاد إلى الهامل وشرع في التدريس أحس بحاجة إلى تحصيل علم التصوف، وهو علم خاص يؤخذ عن شيوخ الطريقة بعد الصحبة والملازمة والطاعة والانصياع التام، وهذا ما وجده في شخص الشيخ المختار بن خليفة الجلاي بأولاد جلال فانتقل إليها (1856م-1862م). وظل ملازما له حتى وفاته. فآخذ عنه ورد الطريقة الرحمانية وتولى أمور الزاوية بوصية منه وذلك لمدة سنة عاد بعدها ليؤسس زاويته الخاصة بقرية الهامل¹.

3- جهوده في التربية والتعليم :

لم يبرح الشيخ محمد بن أبي القاسم مجالس العلم و المعرفة معلما و مربيا منذ أن كلفه شيخه أحمد بن أبي داود بالتدريس والوعظ بآقبو ببلاد القبائل .وعندما رجع إلى الهامل ظل يلقي الدروس الشرعية في المساجد و يجتمع حوله الطلبة ،وبقي على ذلك حتى بعد تأسيس زاويته؛حيث كان ملتزما بالدروس الليلية في الفقه أيام الشتاء للعامة من أهل القرية الذين شغلتهم الحياة عن التحصيل العلمي المنتظم.و لعل في ذلك التزاما أخلاقيا و اعترافا بالجميل للسكان الذين ترجوه عدم مغادرة الهامل والتفوا حوله و حققوا له بدعمهم ما كان يصبو إليه.

¹ من مقابلة مع أبي الأنوار دحية أمين المكتبة القاسمية.

و بلغ عدد الطلبة الذين اجتمعوا حوله الثمانين طالبا ؛ كان الشيخ ينفق عليهم من ماله

الخاص، و هو ما اعتبر التأسيس الأول للزاوية الذي أعقبه الانتقال إلى الزاوية الحالية.¹

4-ملاح شخصيته:

كان الشيخ محمد بن أبي القاسم ذا شخصية اجتماعية غير انغزالية. تميز بالعلم الشرعي الذي برزت ملامح عبقريته فيه منذ صغره. تميز بالحركة الاجتماعية من خلال مشاركته في الأعمال العامة التي اهلته فيما بعد لإدارة زوايا ذات شان كزاوية السعيد بن أبي داوود بالقبائل و زاوية الشيخ المختار بأولاد جلال.

خط لنفسه طريقا خاصا و هو طريق العلم و المعرفة و ظل محافظا عليه و أبعد زاويته عن كل صراع، ولم يشارك مباشرة في الثورات الشعبية حتى التي ربطته بها أواصر القرابة كثورة المقراني²، و استطاع أن يحافظ على معهده الديني و أن يضمن له كل مقومات الاستمرار.

تعتبر افواج الطلبة الذين تخرجوا من الزاوية —و هم بالآلاف —أكبر كرامة له رغم ما يحاول البعض إسباله على شخصه من الكرامات³. و رغم الإجازات التي منحت له على استحقاق لم يترك إلا القليل من الفتاوى في قضايا شرعية.

5-مؤلفاته:

لم يترك الشيخ محمد غير مجموعة من الرسائل التي اقتضت الحاجة تأليفها و هي:

-رسالة في الهجرة

-رسالة في تحريم الدخان

¹ محمد بن الحاج محمد، مرجع سابق، ص25.

² يقال إن الشيخ محمد تزوج ابنة الشيخ المقراني، انظر: سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج3، مرجع سابق، ص161، نقلا عن اشيل روبير.

³ سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج4، مرجع سابق، ص 158.

-رسالة في تفسير سورة القدر

-رسالة إلى بني ميزاب، يوضح فيها موقفه من التعصب للمذهب، و ينفي ما نسب اليه من آراء لم تصدر عنه في ذلك الباب.

-رسالة في أن الطريقة الرحمانية و الطريقة الشاذلية طريقة واحدة.

-رسالة في مقامات الأنفس السبعة.

-رسالة في جواز الفطر للتويزة في رمضان، مع الشروط المعتمدة فقها.

-منظومة الأسماء الحسنى (شرحها الشيخ محمد بن عبد الرحمن الديسي)¹.

6-شيوخه في العلم و التصوف:

*الشيخ الصادق البيباني: وهو أحد شيوخ زاوية السعيد بن أبي داوود بالبيبان و التي كانت أول محطة في رحلة الشيخ العلمية.

*الشيخ أحمد ابن أبي داوود:(1819م-1861م): هو أحمد بن أبي القاسم بن السعيد بن عبد الرحمن بن محمد. الفقيه المالكي من عائلة الداوديين . المعروفة في المنطقة بالعلم و الصلاح.²

*الشيخ المختار بن خليفة الجاللي:(1784م-1861م):شيخ زاوية أولاد جلال:

هو الفقيه الصوفي الشيخ المختار بن عبد الرحمن بن خليفة الإدريسي الخالدي(نسبة إلى قرية سيدي خالد بالقرب من أولاد جلال).ولد سنة 1784م .حفظ القرآن و هو صغير و تفقه على جملة من العلماء.لازم الشيخ علي بن عمر الطولقي مدة ثلاثة عشر سنة. أسس زاوية بسيدي خالد، ثم انتقل إلى أولاد جلال و أسس الزاوية التي لازالت إلى اليوم. شارك في ثورة الزعاطشة و"تبنى قضية الثورة و نسق جهوده مع الشريف بو معزة الذي ظهر في المنطقة سنة 1846م ، وانتفض مع أهل الجلفة سنة 1861 فيما سمي بقضيه (بو شندوقة)³.

¹ محمد فؤاد القاسمي، فهرسة مخطوطات الزاوية القاسمية، مرجع سابق، ص110.

² صلاح مؤيد العتي، مرجع سابق، ص 299.

³ سعد الله ،مرجع سابق، ج4،ص150.

7- إجازاته:

و ممن منح الإجازة للشيخ محمد بن أبي القاسم:

- الشيخ علي ابن الحفاف: و هو الشيخ علي بن عبد الرحمن الحفاف المعروف بابن الحفاف¹، فقيه مقرر عالم بالحديث، ولد بالجزائر العاصمة و تعلم بها، وحج و أخذ عن علماء الحجاز. التحق بمعسكر الأمير عبد القادر، وتولى فيه ديوان الإنشاء بمليانة، ثم ولي الإفتاء بالبليدة سنة 1284هـ ثم إفتاء مدينة الجزائر. توفي بالعاصمة سنة 1307هـ-1890م. من آثاره العلمية: "منة المتعال في تكميل الاستدلال" في القراءات، و "الدقائق المفصلة في تحديد آية البسمة". أجاز الشيخ محمد بن أبي القاسم إجازة في علم الحديث.

- الشيخ إبراهيم بن أحمد الشريف النفطي: (1792م-1868م)²:

هو ابراهيم بن أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى الشريف، من سلالة الشيخ سيدي عبد القادر الجيلالي التي استقرت بتلمسان. ولد سنة 1792 بمدينة نفطة. أخذ الطريقة القادرية عن شيخه أبي بكر بن أحمد الشريف. أسس الزاوية القادرية في نفطة سنة 1819م. و قد قدمت زاويته خدمات جليلة للطلبة المتوجهين إلى تونس. دعم ثورة الأمير عبد القادر و ثورة الشريف بوشوشة التومي و الثائر بن شهرة. كما ساهم في ثورة الزعاطشة 1849م. أجاز الشيخ محمد بن أبي القاسم في إعطاء ورد الطريقة الرحمانية.

8.9- تلامذته:

تخرج على يديه الكثير من الطلبة و مريدي الطريقة من أشهرهم:

محمد المكي بن عزوز البرجي³، محمد بن عبد الرحمان الديسي⁴، أحمد الأمين بن عزوز، أبو القاسم الحفناوي، الحاج بن السنوسي الديسي، محمد الصغير بن المختار الجلاي، محمد بن الحاج محمد الهاملي، المختار بن الحاج محمد الهاملي، حميدة بن الطيب الجزائري، عبد الحليم بن سماية (مفتي العاصمة).

¹ المرجع نفسه، ج 3، ص 80.

² Coppolani, ibid 306-309.

³ الحفناوي، مرجع سابق، ص 482.

⁴ المرجع نفسه، ص 407.

خاتمة:

زاوية الهامل إحدى زوايا الطريقة الرحمانية الخلوتية. أسسها الفقيه المالكي محمد بن أبي القاسم الهاملي بعدما أتم دراسته في منطقة القبائل وفي زاوية الشيخ المختار بن خليفة بأولاد جلال بيسكرة. أسست من أجل أن تكون مؤسسة تعليمية لطلبة العلم، و مؤسسة اجتماعية للمرضى والعجزة و العميان، وبنيت من تبرعات أهل الخير من سكان قرية الهامل و ما جاورها من القرى والمدن. عرفت ترميمات وتغييرات عدة على أيدي شيوخها، و منهم ابنة المؤسس "لالا زينب" التي أتمت بناء المسجد على الهيئة التي يعرف عليها اليوم. و قد جاءت الزاوية استجابة للحاجيات الملحة للشعب الجزائري إلى مؤسسة تحافظ على الاسلام و العربية، و تقف في وجه الحملة الشرسة للمستعمر على الثوابت الوطنية.

بدأ الشيخ المؤسس التعليم في المسجد العتيق قبل بناء الزاوية بأكثر من عامين، ثم انتقل إليها بعدما أصبح المسجد غير قادر على استيعاب الطلبة الوافدين لطلب العلم من كل أرجاء الوطن، وتولى التدريس بنفسه أول الأمر، ثم استعان ببعض تلامذته واستقدم بعض العلماء كأساتذة دائمين أو زائرين.

التزم الشيخ في زاويته بالمرجعية الدينية لكل المغاربة وهي: المذهب المالكي و العقيدة الأشعرية وتصوف الجنيد، وإن خرج على المذهب في بعض فتاويه رفعا للحرج وترجيحا للمصلحة. نأى بزايته عن الثورات الشعبية و إن كان له اتصال بها، و أثر المقاومة الثقافية على المقاومة المسلحة، واستقدم إلى الزاوية أسر المجاهدين والشهداء خاصة المقرانيين و أولاهم عناية خاصة.

تحتوي الزاوية على عدة مرافق أساسية تؤدي الدور الاجتماعي و التعليمي معا، وهذه المرافق هي: المراقد أو العشش، وهي من بناء الطلبة، المطعم، المكتبة، الحمام، المسجد، و المكتبة، بالإضافة إلى جناح الضيوف.

و قد تداول على مشيخة الزاوية أبناء أخ الشيخ ماعدا ابنته، التي كانت أول من تولى المشيخة من بعد أبيها، و لم تخرج المشيخة من العائلة القاسمية.

تملك الزاوية مجموعة متنوعة من الأوقاف كالأراضي الفلاحية والبساتين والعقارات و الدور السكنية وغيرها في الجزائر و خارج الوطن، وقد مكنها ذلك من التخفيف من الكوارث التي حلت بالوطن أيام المجاعات، واستقبلت الآلاف من الفقراء والمساكين و المعوزين.

مثلت الزاوية و شيوخها المرجعية الدينية لكثير من الجزائريين بعدما قضى المستعمر على المؤسسات الدينية و شرد علماءها و ضيق على الباقين، وأدت أدوارا اجتماعية عدة منها: فض الخصومات و المحافظة على العادات والتقاليد الإسلامية ومساعدة الفقراء و المساكين وتمويل المشاريع العامة كحفر الآبار و شق الطرق و بناء السدود.

تميزت الزاوية بنشاطها العلمي وبكثرة طلابها خاصة في أيام الشيخ المؤسس، و عرف من علمائها الديسي و عاشور الخنقي و غيرهما، و قد تجاوزت شهرتهم حدود الوطن، و وفد الطلبة عليهم من كل مكان. كما عرفت بأساتذتها الزائرين و منهم عبد الحي الكتاني و محمد المكي بن عزوز، واهتم مشايخها بجمع الكتب والمحافظة عليها، واحتوت المكتبة القاسمية الكثير من المخطوطات النادرة. كما اعتنت الزاوية بالنشاط الثقافي فساهمت في تحقيق و طبع الكثير من الكتب، و أصدر طلبتها جرائد ثقافية و دواوين شعرية.

شاركت الزاوية في تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ثم جمعية انصار السنة، و هو ما اعتبر حينها خروجاً عن الخط الحيادي الذي التزمه الشيخ المؤسس. كما ساهمت الزاوية في الثورة التحريرية وسقط من أبنائها الشهداء، و تولى بعض طلبتها مهام عسكرية كبرى. تولى شيوخها إدارة المجالس القضائية التابعة للثورة و اضطلعوا بمهمة التوعية و التوجيه في صفوف المواطنين.

يعتبر مؤسس الزاوية من أقطاب التصوف في الجزائر و من علماء المذهب المالكي. و رغم أنه لم يترك إلا القليل من الرسائل، إلا أن ثناء العلماء عليه واعترافهم بعلمه و سعيهم لأخذ العلم عنه و طلب الحصول على الإجازة منه دليل على مكانته العلمية.

الفصل الخامس

التعليم في زاوية الهامل

تمهيد:

يصطدم الباحث في النظام التعليمي في الزوايا بمجموعة من المعوقات البحثية من أهمها تصنيف التعليم في الزوايا وفق التصنيفات الحديثة للنظم التعليمية. و رغم أن التعليم في زاوية الهامل يكاد يكون صورة مطابقة للتعليم في منطقة القبائل، و بالضبط في زاوية السعيد بن أبي داود¹، إلا أن الدارس يمكن أن يميز فروقا ليست جوهريّة تختص بها كل زاوية عن الأخرى. و ربما كان ذلك راجعا إلى ما برع فيه شيوخ زاوية و امتازوا به عن شيوخ الزوايا الأخرى، و هو أمر عرفت به الكثير من الزوايا، فاختصت زوايا بالفقه و أخرى بالعربية و ثالثة بعلوم التصوف و هكذا.

و لذلك فإن محاولة وصف التعليم في الزاوية وتصنيفه و تقسيمه على أساس التقسيم الحديث، أي الى مراحل واضحة الحدود و محددة بالزمن، يعتبر في الحقيقة إجحافا في حق الزوايا والتعليم السائد فيها، والذي ورث عن المرحلة الزاوية و ربما من قبلها. و لذلك فإن كل تشخيص لهذا النوع من التعليم، ومحاولة المقارنة بينه وبين التعليم الحديث، و استعمال المصطلحات الحديثة للدلالة عليه، يعتبر من قبيل تقريب الصورة لا غير. وإلا فإن لهذا النوع من التعليم خصوصيته الزمانية والمكانية وظروفه الإجتماعية و الثقافية، و في النهاية هو استجابة منطقية للحاجات الآنية للمجتمع الذي يعيش فيه.

بالإضافة إلى ذلك فإن هذا التعليم كان نوعا من ردة الفعل الثقافية التي تبديها المجتمعات حين تحس بالخطر على هويتها و تاريخها و مكونات شخصيتها. و عادة ما تقصر ردود الأفعال عن بلوغ النتائج المرجوة منها. ولذلك فهي تسعى للحفاظ على الموجود وحمايته من الضياع و لو بأبسط الوسائل و في أصعب الظروف.

و الذي لا بد من ملاحظته هو ذاك العزوف عن الكتابة إلا ما ندر حول التأريخ للزاوية و التعليم فيها، أحيانا بدافع الإحساس بعدم القدرة و الإعتراف بالتقصير، و أحيانا تنزها عن الوقوع في الرياء و الحديث عن الذات. وليس عجيبا أن تفتقر الزاوية إلى سجل يضم أسماء الطلبة

¹ صلاح مؤيد العقبي، مرجع سابق، ص 299.

الذين درسوا فيها¹. ولا يمكن معرفة ذلك اليوم إلا من خلال السير الذاتية التي كتبها بعض طلبة الزاوية، و هي قليلة. وحتى الذين كتبوا لم يتطرقوا بالوصف الدقيق لمجريات الحياة اليومية في الزاوية، و اهتموا بالمقابل بذكر مناقب الشيوخ و أفضالهم و الكتب التي درسوها عليهم و الإجازات التي تحصلوا عليها، وفي بعض الأحيان الدفاع عن الزاوية و التشجيع على منتقديها، و تسطير القصائد في ذكرها و الدفاع عن طريقتها و تفضيلها عن كل الطرق. وما عدا الزهر الباسم للشيخ محمد بن الحاج محمد وبعض الخطب و الكرايس الشخصية، فإن الباحث يجد نفسه أمام إشارات هنا وهناك لا تسعفه حتى في بناء صورة و لو مقربة عن يوم واحد في الزاوية.

وهنا لا بد من التنبيه إلى أن الروايات الشفهية تصبح وسيلة الباحث لمحاولة تلمس الحقيقة وترميم أجزاء الصورة التي لم تمكنه المصادر التاريخية القليلة من بنائها.

ولعل المقابلات التي قام الباحث بإجرائها اعتمدت على الروايات الشخصية و الفهم الفردية و الانطباعات التي ارتسمت في أذهان بعض الطلبة، دون أن يكون لهم صورة مكتملة عن الحياة العلمية في الزاوية. و رغم كل هذا فلا يمكن إهمال أي معلومة قد تساهم في تجلية جوانب الظاهرة التعليمية في الزاوية.

و تعتبر الدراسات الأكاديمية الحديثة حول الزاوية — على قلتها— مصدرا مهما بالنسبة للباحث سواء من ناحية المعلومات أو طرق التحليل. و قد توزعت على فروع مختلفة من المعرفة خاصة التاريخ و اللغة العربية و الدراسات الإسلامية، و ظهرت إلى الوجود الكثير من الدراسات التي تهتم بتخريج وتحقيق المخطوطات الموجودة في زاوية الهامل، والتي يعود بعضها إلى شيوخ الزاوية. والذي يمكن ملاحظته في هذه الدراسات هو :

¹ عثر الباحث على قائمة للطلبة مقسمة حسب المناطق و الأعراس، و يظهر من أسماء من ذكر فيها من أبناء المنطقة أنها كتبت في عهد الشيخ المؤسس، أما الفترات الأخرى فليس فيها قوائم مضبوطة بأسماء تلاميذ الزاوية، انظر: الملحق رقم (12).

-اهتمامها البالغ بالجانب التاريخي- على أهميته- دون محاولة النقد و التمحيص.
ولذلك ليس مستغربا أن تركز هذه الكتب على حشد الروايات وذكر المناقب والكرامات، دون
التطرق الى التصوف بوصفه فاعلا في المشهد الثقافي و السياسي و الإجتماعي.

-يلاحظ أن أغلب الدراسات التي أجريت خاصة على زاوية الهامل كانت قد أجريت من
طرف أبناء الزاوية و بالضبط من العائلة القاسمية، و هو أمر يدعو إلى الحيرة والتساؤل، خاصة إذا
تعلق الأمر بإحدى أكبر الزوايا في المغرب العربي. و ليس معنى ذلك أنه لا توجد دراسات أخرى
من غير المنتسبين للزاوية، أي من باحثين دفعهم البحث العلمي إلى التنقيب في مثل هذه المجالات
و لكنها في العموم قليلة.

و قد تناول الباحث في هذا الفصل التعليم في الزاوية و الظروف التي نشأ فيها
والعمليات التربوية والمناهج الدراسية والمعلمين والقانون الداخلي ونظام العطل والشهادات الدراسية
و المخرجات المادية لهذا التعليم، وفق نظرية النظم. كل ذلك من خلال المقابلات التي أجراها مع
شيخ الزاوية الحالي، وبعض معلمي الطلبة ممن تعلموا في الزاوية، و كذا الاعتماد على السير
الشخصية لبعض من درس فيها، وأغلبهم من أئمة المنطقة وعلمائها. وقد أعمل المنهج النقدي في
كل المعلومات، على أساس من التمحيص التاريخي و النقد العلمي والمقارنة مع المصادر التاريخية
الأخرى وصولا الى تمييز الحقيقة من غيرها.

أولا-ظروف النشأة وصعوبات التأسيس:

يعتبر النظام التعليمي الوسيلة الناجعة لنقل الثقافة من جيل الى آخر، و هو المؤسسة
الإجتماعية التي تتولى مهمة التربية العقلية و النفسية و الإجتماعية لأفراد المجتمع. و تتخذ الدول من
التربية أساسا لتحقيق أهدافها على المستوى الفردي أو الإجتماعي. ولذلك يعتبر التعليم المرأة
العاكسة لتطلعات المجتمع و أهدافه و غاياته و مراميه، و هو في الوقت نفسه المؤشر الأول لقياس
مدى تطور الأمم و رقيها. والنظام التعليمي ليس نظاما مغلقا منعزلا عن التغيرات الإجتماعية التي
تحدث من حوله، بل هو نظام منفتح يستقبل مدخلاته الإجتماعية أصلا ليحولها إلى مخرجات وفق
الفلسفة التربوية التي وضعها المجتمع و وفر لها من الوسائل و الطاقات والإمكانات ما يجعلها قابلة
للتحقيق. وتعتبر دراسة الظروف الإجتماعية والإقتصادية و الثقافية جزءا من مستويات التحليل

لأي نظام تعليمي؛ فلا يمكن تحليل مكونات النظام بعيدا عن البيئة المحيطة به ،وهو ما حاول الباحث التركيز عليه عند الحديث عن الظروف التي صاحبت تأسيس زاوية الهامل .

و الدارس لملامح الحياة الاجتماعية في الفترة التي تأسست فيها الزاوية يلاحظ تلك الهجمة الشرسة على المجتمع الجزائري التي تجسدت أساسا في استيلاء القوات الفرنسية على أغلب المؤسسات الدينية من مساجد و زوايا و مدارس دينية و تحويلها إلى ثكنات عسكرية و مراكز للجيش.والأمر نفسه بالنسبة للأوقاف الاسلامية؛حلت مؤسسات الوقف الاسلامي و تم مصادرة أملاك المساجد و الزوايا و المعمرات، و اعتبرت من الأملاك التي لا مالك لها، كما تم حل المدارس الدينية التي كانت تابعة للمساجد، مما أدى إلى تشتيت الطلبة و تشرد المعلمين و توجيههم إلى مهن أخرى غير التعليم القرآني.

ولم يسلم القضاء الاسلامي من الحل،وحلت القوانين الفرنسية مكانه، وتم إخضاع القضية المسلمين لسلطة القاضي الفرنسي،وجعلت محاكم النقض فرنسية بحتة، و ألزم القضاء الجزائريون بكتابة العرائض باللغة الفرنسية.

و قد تعدى الأمر إلى حد تدمير الزوايا خاصة التي وقفت ضد الحملة الفرنسية على الجزائر ومصادرة أموالها والتنكيل بشيوخها.

و قد وقف المعمرون ضد كل المشاريع التعليمية للحكومة الفرنسية مما زاد من عدد الأميين،بحيث أصبحت الأمية ميزة ظاهرة في المجتمع الجزائري بعدما كانت نادرة،و انعدمت المدارس الابتدائية التي كانت منتشرة في القرى و المداشر، وفي كل ربوع الوطن.

و رغم أن فرنسا حاولت استدراك الأمر بإنشاء مدارس فرنسية-عربية، الهدف منها نشر اللغة الفرنسية وتكوين طبقة من أنصاف المثقفين تكون وسيطا لتبليغ أحكام و أوامر السلطات الفرنسية للسكان، إلا أن ذلك جعل أغلب الجزائريين ينفرون منها.

و مما زاد من تفاقم الأزمة اعتبار اللغة العربية في التعليم لغة أجنبية، بحيث كان الحجم الساعي للعربية أقل بكثير من حجم المواد الأخرى التي كانت تدرس بالفرنسية و من طرف معلمين

فرنسيين، مع إخضاع التعليم العربي الحر لسلطة المفتش الفرنسي و التشدد في منح الرخصة لكل راغب في فتح مدرسة لتعليم القرآن و مبادئ العربية.

و قد أدى ذلك إلى اختفاء التعليم الثانوي و التعليم العالي لأبناء الجزائريين، مما جعل أعدادهم فيه ضئيلة رغم تفوقهم العددي على المعمرين الوافدين، ناهيك عن أن بعض التخصصات كان حكرا على الفرنسيين كالطب مثلا، مع ما صاحب ذلك من عدم الاهتمام بتكوين المعلمين و انعدام شروط معينة للالتحاق بمهنة المعلم؛ مما انعكس سلبا على التحصيل الدراسي لأبناء الجزائريين في المدارس الفرنسية- العربية.

أما تخلف المناهج الموجهة للطلبة الجزائريين وانعدام الوسائل التعليمية وضعف الميزانية المخصصة لتعليم الأهالي فقد كان أمرا متعمدا في الوقت الذي كان التعليم الموجه للفرنسيين مزدهرا وميزانيته تزداد سنة بعد أخرى، بل لقد كان أبناء المعمرين يتلقون تعليمهم العالي في فرنسا.

وقد نال التعليم الديني العالي نصيبه من هذا التدمير فانعدمت الجامعات الإسلامية التي تخرج أئمة وقضاة ومدرسين في العلوم الشرعية على غرار الزيتونة والأزهر و القرويين، و حتى عندما صدر المرسوم المؤسس للمدارس الشرعية الثلاث كان هذا التفافا على التعليم الديني عامة؛ ذلك لأن الهدف من تأسيسها كان تكوين طبقة من الأئمة والمدرسين الذين سيتولون بعد تخرجهم العمل في المساجد والترويج للمخططات الفرنسية عوض خدمة بيوت الله و المصلين فيها و الحكم في القضايا الشرعية. و قد أهملت هذه المدارس كذلك، وأخضعت لسلطة المفتش العام الفرنسي، وانخفض عدد مرتاديهما حتى تلاشت نهائيا .

لقد تم ملاحقة العلماء و الدعاة و حملة الفكر الحر ومصادرة أموالهم وكتبهم و نفيهم أو اغتيالهم، مما جعل الحياة العامة تخلو من المفتين و العلماء و المربين. وقد كان هذا سببا في هجرة الكثير من العائلات الجزائرية إلى المشرق العربي وتونس والمغرب، مما أوجد فراغا رهيبا في الحياة الثقافية و الإجتماعية في الجزائر.

وتوقف التعليم في الحواضر الثقافية المعروفة كقسنطينة وتلمسان والعاصمة و معسكر، و انتقل العلماء إلى الداخل، ثم توقف كل ذلك بسبب الثورات والمقاومات الشعبية، و انخسر

التعليم العربي في بعض المساجد واقتصر على تعليم القرآن ومبادئ العربية وانصرف المعلمون إلى تحصيل لقمة العيش بعيدا عن تدريس القرآن الذي لم يعد يدر شيئا عليهم.

و بالمقابل استفحل التنصير في الجزائر كسياسة تبنتها الحكومة الفرنسية اللائكية. ففي الوقت الذي أعدمته فيه الثورة الفرنسية القساوسة والرهبان وأحرقت الكنائس، فإنها في الجزائر جعلت من المساجد كنائس تنشر المسيحية و تبشر بها.

و كان من نتيجة كل ذلك أن أصبحت الزوايا -إلا القليل منها- قبلة للزائرين والمتبركين، وتوقف التعليم في أغلبها واقتصرت على العمل الخيري الإجتماعي ولم تعد مدارس للتربية و العلوم كما كانت من قبل.

1- السلطات الفرنسية و موقفها من تأسيس الزاوية :

في ظل هذه الظروف تأسست زاوية الهامل من طرف مؤسسها الشيخ محمد بن أبي القاسم القاسمي الهاملي. ولكن القراءة السوسولوجية للظروف التي صاحبت تأسيس الزاوية تستدعي التساؤل عن الطريقة التي انتهجها الشيخ المؤسس ليقوم بتأسيس زاوية تعلم القرآن الكريم و تدرس علوم الدين و يجتمع حولها الكثير من الطلبة و المريدين دون أن يصطدم بالقوانين الفرنسية التي تجرم ذلك. وإذا كانت التجارب السابقة مع الطريقة الرحمانية تبين مدى مقاومتها للاستعمار و كذا حساسيته منها، فإن السماح بفتح فرع للطريقة في منطقة ظلت آمنة نسبيا يدعو الى الكثير من التساؤلات.

و الظاهر أن العائلة القاسمية تبوأ مكانة اجتماعية مرموقة، و ظلت بعيدة عن مواجهة السلطة الفرنسية. وربما رأت هذه الأخيرة-أي السلطات الفرنسية- أن التقرب من العائلات الشريفة قد يساعدها في التحكم في المنطقة، ولذلك عرفت للأشراف مكانتهم، وهو ما استغله الشيخ محمد لتمرير مشروعه على أساس أنه لا يمثل خطرا على المشروع الإستعماري.

إضافة إلى ذلك يبرز الحياذ الذي انتهجه الشيخ إزاء الثورات الشعبية في تلك الفترة، و منها ثورة الشيخ المقراني، و اختياره للمقاومة الثقافية على حمل السلاح و الإصطدام مع الإدارة الفرنسية¹؛ كل ذلك قد يفسر السكوت الفرنسي على تأسيس الزاوية .

و تبين الوثائق التاريخية أن هذا السلوك الحياذي للشيخ كان محل رضا من القائد العسكري الضابط كروشار في بوسعادة، والذي أقام مهرجانا خطايا أسبوعا بعد موت الشيخ محمد، و أثنى عليه و على تعاونه مع الدولة الفرنسية.²

و سواء كان هذا تشويها متعمدا للشيخ و زاويته أو هو غير ذلك، فإن الثابت أن الزاوية ظلت تؤدي دورها في تطور ملحوظ، دون أن تتعرض لها السلطات الحاكمة بسوء. و تفيد تقارير الإدارة الفرنسية أنها كانت ترقب الزاوية بعين الريبة و تخشى تحولها الى المقاومة على غرار زوايا الطرق الرحمانية³. و لضمان ذلك ألزمت الشيخ المؤسس بتعيين خليفة له قبل مماته و حاولت إجباره على ذلك، و قد أبدى استجابة أول الأمر ثم عدل عنه و كتب وصية موثقة؛ بموجبها أصبحت السيدة زينب أول شيخة لزاوية الهامل و أول امرأة تتولى هذا المنصب في تاريخ مؤسسة الزاوية.

و إذا علمنا حجم الطلبة الذين التفوا حول المؤسس من أول يوم، و ما يمكن أن يمثل هذا التجمع من خطر على النظام العام، خاصة في ظل طريقة رحمانية عرفت بالجهاد للمستعمر، ربما اتضح لنا أن المكانة الاجتماعية للعائلة القاسمية⁴، و تقرب السلطات الفرنسية منها، وكذا الحياذ الذي انتهجه الشيخ اتجاه المقاومات الشعبية، كل ذلك يمكن أن يعتمد أساسا لفهم هذا التغاضي الذي أبدته الإدارة الإستعمارية اتجاه تأسيس زاوية بحجم زاوية الهامل.

¹ وجدنا السلوك نفسه عند الشيخ عبد الحميد بن باديس عند تأسيس جمعية التربية و التعليم الاسلامية بقسنطينة، حيث جاء في مادتها الثانية: "بما أن مقصد الجمعية هو التربية و التعليم لا غير، فإنها تحرم على نفسها الخوض في المسائل السياسية و الاختلافات الحزبية و المذهبية و الشخصية بأي وجه من الوجوه"، انظر: آثار الامام عبد الحميد بن باديس، من إصدارات جمعية العلماء المسلمين في إطار الجزائر عاصمة القافة العربية، 2007، بإشراف الشيخ عبد الرحمان شيبان

² Octave Depont -Xaver Copolani. Les confréries religieuses musulmanes ، Adolphe Jordan، Alger، 1897، p407،

³ تقرير السلطات الفرنسية، من وثائق الزاوية، ملحق رقم (7)

⁴ خطاب الباشا مصطفى، الملحق رقم (8).

و يرى أبو القاسم سعد الله أن وراء تغاضي فرنسا على النشاط التعليمي لزواية الهامل و زواية طولقة هدفا سياسيا ، وهو نزع الفتيل من زواية نفطة التي كانت ملجأ للعلم والسياسة معا ، و لذلك خبا إشعاعها بعد احتلال فرنسا لتونس سنة 1881م.¹

ثانيا- التعليم في الزاوية:

وفيه يتم التناول بالوصف و التحليل للأهداف العامة و الخاصة، والعمليات التعليمية ، و المخرجات:

1 -الأهداف العامة: تهدف الزاوية عموما إلى :

أ-المحافظة على المرجعية الثقافية للمجتمع الجزائري: ممثلة في العقيدة الأشعرية والفقهاء المالكي و طريقة الجنيد السالك في التصوف:

تمثل المقدمة التي بدأ به الشيخ محمد بن الحاج محمد كتابه الزهر الباسم² تصورا للمرجعية التي تستند إليها الزاوية و تعمل على الحفاظ عليها، و التي عبر عنها بقوله: " و بعد فيقول أفقر العبيد إلى مولاه وأوجلهم إليه من عظيم كسبه و خطاياها ،محمد بن الحاج محمد بن أبي القاسم الشريف الهاملي الجزائري الخلوتي الأشعري المالكي " .

و في تعريفه بنسب المؤسس -و هو عمه- يقول: " سيدي أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم.. بن المنصور الشريف الحسني نسبا المالكي مذهبا الاشعري اعتقادا"³ .

و المتصفح لقائمة الكتب المقررة في الزاوية يلاحظ ذلك التركيز على الفقه المالكي؛ بدءا من المرشد المعين لابن عاشر إلى مختصر خليل الذي يختم كل عام في فصل الشتاء، من طرف شيوخ الزاوية في المسجد العتيق الذي كان الشيخ المؤسس يلقي به دروسه قبل الانتقال إلى الزاوية

¹ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 3، ص 217.

² محمد بن الحاج محمد، مرجع سابق، ص 2.

³ ، المرجع نفسه، ص 3.

الحالية. وإذا كان الفقه يمثل نسبة 36.52% من مجموع كتب المكتبة القاسمية¹، فإن الفقه المالكي يمثل نسبة 100% من المقرر الدراسي. وحتى الكتب التي تناولت الفقه المقارن هي في الأصل لعلماء مالكيين كـ "بداية المجتهد و نهاية المقتصد" لابن رشد المالكي.

و أما العقيدة الأشعرية فقد اختير لها كتب من أمثال: أم البراهين للإمام السنوسي، و كتاب جوهر التوحيد للإمام اللقاني مع شرح ابنه عبد السلام لها، و العقائد النسفية بشرح السعد التفتازاني، و كل هؤلاء من علماء الأشعرية.²

ب- صيانة مكونات الشخصية الوطنية ممثلة في الإسلام والعربية والانتماء للوطن:
و ذلك من الحملات التي قادها المؤرخون الفرنسيون للتشكيك في وجود وطن اسمه الجزائر عبر كل حقب التاريخ، وهو المنحى الذي سار عليه دعاة الاندماج لاحقا.

فقد اهتم شيوخ الزاوية بالتاريخ الاسلامي العام و تاريخ الجزائر الخاص، وكان التاريخ والسير النبوية من بين المواد المشتركة التي تدرس للطلبة و عوام الناس³. و الهدف من ذلك تذكير الجزائريين بماضيهم و أجدادهم و صيانتهم من الاندماج في المجتمع الفرنسي⁴.

ج- الرد على حركة التنصير:

هدفت الحركة التبشيرية إلى القضاء على الدين الإسلامي و تشويهه و التشكيك فيه و صرف الأهالي عنه تحضيرا لتنصيرهم. وتعتبر المرحلة التي أسست فيها الزاوية من أخطر الفترات التي استفحل فيها نشاطها (1867-1892)⁵؛ حيث قاد المبشر لافيحري (Charles

¹ من مقابلة مع أمين المكتبة الحاج أبي الأنوار دحية.

² عبد الحميد مرسي، نشأة الأشعرية و تطورها، دار الكتاب اللبناني، ط1، بيروت، لبنان، 1975، ص320.

³ محمد يحي حازلي، العلامة الشيخ الربيع بن عطية حرزلي، دار الحكمة، الجزائر، 2005، ص34.

⁴ من مقابلة مع شيخ الزاوية الحالي، المأمون القاسمي.

⁵ خوجاجة عبد العزيز وداوود عمر، "مؤسسة الآباء البيض، الفضاء الديني و الاقتراب المجتمعي"، الملتقى الوطني حول المؤسسة الدينية، الأشكال و الوظائف، 23/24/2011، جامعة معسكر، ص3.

(Allemand Lavigerie) أشرس عملية تبشيرية كان من أهدافها صرف المسلمين عن دينهم و إحلال المسيحية بدلا عن الإسلام، مستغلا المجاعات التي ضربت الجزائر وأحدثت الكثير من المآسي التي نتج عنها تشرد الآلاف من الأطفال واضطراب الكثير من الأهالي للجوء إلى الكنائس والبعثات الإرسالية التي كانت تقدم الخبر بيد والصليب باليد الأخرى. ورغم أن التركيز كان على منطقة القبائل إلا أن الأخوات والآباء البيض أنشأوا مراكز في المناطق الصحراوية؛ كانت تبني الأطفال ممن فقدوا آباءهم أو ممن يحتاجون إلى الرعاية بسبب فقر عائلاتهم. ولذلك كله أسس لافيغري للعمل التبشيري في الجزائر متحديا أحيانا حتى تحفظات وردود أفعال بعض الحكام العاملين على نشاطه التبشيري المثير، فأنشأ ملاجئ للأيتام والفقراء، وتجاوزت جهوده العمل الفردي إلى عمل تبشيري جماعي ومؤسسي؛ من ذلك تأسيسه لمؤسسة القديس أوغستين Saint Augustin ومؤسسات جمعية الآباء البيض Les Pères Blancs و الأخوات البيض Les soeurs Blanches وجمعية الإخوة المسلحين في الصحراء، وهي مؤسسات صار لها قبل نهاية القرن مراكز في زواوة و ورقلة والمنبعة وميزاب.¹ ويمثل العمل الخيري الوسيلة الناجعة للوصول إلى الفقراء و"البحث عن الله في خدمة الآخرين" وهو الشعار الذي تبنته الإرساليات التبشيرية في الجزائر.²

في مقابل كل هذا العمل الإجتماعي التبشيري، كان لزاما أن توجد مؤسسة اجتماعية أهلية تقوم بإيواء الفقراء و المساكين ورعاية الأيتام وتوفير أدنى حد من التعليم الديني الذي يمكن أن يقي الجزائريين من تغيير دينهم.

و لذلك فإن أعداد الذين كانت الزاوية تؤويهم و تقدم لهم المساعدات و تسهر على تربيتهم، يمكن أن يساعدنا في فهم الغاية التي أسست من أجلها الزاوية. فقد جاء في الزهر الباسم أن عدد هؤلاء يبلغ الألف نفس على الدوام.³ ولعل في العدد بعض المبالغة، لكنه يدل على أن أعداد الذين كانوا يقصدون الزاوية كبيرة جدا، وربما دخل فيها طلبة الزاوية وهم بالمئات. وعلى العموم

¹ سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، 1860-1900، مرجع سابق، ج1، ص75.

² خواجة عبد العزيز و داوود عمر ، مرجع سابق، ص 4.

³ محمد بن الحاج محمد، مرجع سابق، ص 56-57.

فإن التأثير التبشيري في منطقة بوسعادة لم يكن كبيرا ولم تعرف المنطقة ما عرفته مناطق أخرى من إنشاء المدارس اليسوعية أو اعتناق بعض الأهالي للمسيحية، وكل ذلك يعود إلى النشاط الاجتماعي الذي كانت الزاوية تقوم به في مواجهة التبشير.

د- توفير تعليم عربي يكون في متناول كل الجزائريين:

أساسه القرآن الكريم واللغة العربية وعلوم الشريعة، في مقابل التعليم الفرنسي الرامي لمسح شخصية الجزائري وإبعاده عن تاريخه ومقومات شخصيته، دون الارتقاء به إلى مصاف المجتمع الفرنسي¹.

ولما كانت المدرسة أداة الممانعة و منفذ تشكيل الهوية الحضارية²، فإن استهدافها كان من أوليات المخطط الإستعماري الهادف إلى القضاء على النظام التعليمي التقليدي بما يحمله من هوية إسلامية و انتماء عربي و ارتكاز على المكون الديني كأهم عنصر من عناصر الهوية الوطنية. ورغم محاولات الرفض التي أبدتها المعمرون اتجاه كل مشاريع التعليم في الجزائر، إلا أن الإدارة الفرنسية كانت ترى في تعليم الأهالي وسيلة للسيطرة عليهم وليس تحديثهم أو إلحاقهم بركب الحضارة. ولذلك ظهرت المدارس الفرنسية -العربية بهدف تكوين طبقة من الإداريين ليلعبوا دور الوساطة بين الإدارة و السكان.

و كان من تبعاتها ظهور نخبة من المثقفين الجزائريين نادت بالاندماج في فرنسا، و أنكرت كل وجود لهذا الشعب على أرضه³، وكانت سببا في الاستقطاب الذي لا زالت تبعاته الفكرية و السياسية قائمة إلى اليوم⁴.

¹ من مقابلة مع الشيخ بلقلم جوبر ، أحد معلمي طلبة الزاوية .

² الطاهر سعود، "الجذور التاريخية و الايديولوجية للحركة الاسلامية في الجزائر"، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في علم اجتماع التربية، جامعة منتوري، قسنطينة، 2009-2010، ص 170، (لم تنشر).

³ سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، مرجع سابق، ج 3، ص 59.

⁴ الطاهر سعود ، مرجع سابق، ص 174.

و على الرغم من الفرق الشاسع بين عدد السكان الأصليين والمعمرين الوافدين إلا أن الإحصائيات تبين أن حظ الجزائريين من التعليم كان ضئيلاً. هذا في المراحل الابتدائية. و هو يتناقص تدريجياً في الثانوي. و يكاد ينعدم في التعليم العالي.¹

جدول رقم(1) يبين نسبة الأطفال المتدربين في الجزائر في نهايات القرن التاسع عشر.

السنة	عدد التلاميذ	النسبة %
1872	3172	0.62%
1883	4095	0.77%
1886	7341	1.37%
1887	9064	1.69%

المصدر: عمار هلال، مرجع سابق. ص ص 115-116.

فإذا كانت هذه هي الوضعية التي آل إليها التعليم في الجزائر في نهايات القرن، و نظرنا إلى عدد المتدربين في الزاوية -وهم بالملئات- ظهر جلياً الدور الذي قامت به الزاوية كمؤسسة تربوية استوعبت أعداد الجزائريين الذين لم تتح لهم فرصة التعليم الرسمي، خاصة في المناطق الداخلية كالقرى والمداشر وملأت الفراغ التعليمي في المنطقة المحيطة بها.

هـ- إيجاد مرجعية دينية يلجأ إليها الجزائريون عند النوازل:

ممثلة في الأئمة و الدعاة و القضاة الذين تخرجوا من الزاوية و تولوا مهمة الفتوى و الإصلاح في أوساط الجزائريين؛ بحيث تكون هذه المرجعية ذات تكوين ديني عال، و يكون ولاؤها للوطن لا للمناصب الإدارية. وهذه المرجعية تحتل مكانة خاصة في الوعي الجماعي للمسلمين، وتمثلت في العهد العثماني في كبار العلماء و شيوخ الزوايا، و تجسدت في شخص شيخ الإسلام من أمثال ابن العنابي و محمد الفكون.²

¹ عمار هلال، مرجع سابق، ص 122.

² سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 4، ص 350.

وقد تعرضت المرجعيات الدينية إلى حملة من التشويه والتضييق والنفي، مما أجبر الكثيرين منهم على مغادرة الجزائر، و خلّت الساحة الدينية من العلماء الذين يوثق بعلمهم ودينهم، ولم يعد للجزائريين مرجعية موحدة كما هو الحال بالنسبة للزيتونة في تونس أو القرويين في المغرب أو الأزهر الشريف في مصر¹.

و سواء كانت المرجعية روحية أو علمية، فإن لها في المخيلة الجماعية للمسلمين مكانة خاصة تصل حد التقديس، وهي تمثل القدوة أو النموذج المثالي الذي يسعى كل فرد للاقتداء به و الاستمداد من علمه و بركته. و يظهر من الألقاب التي أصبغت على شيوخ التصوف المكانة التي يحتلها هؤلاء في قلوب المريدين و الأتباع².

ونحن نجد في تعريف الحفناوي لشيخ زاوية الهامل تصويرا صادقا للألقاب التي كانت تصبغ على المرجعيات الدينية آنذاك حين يقول: "سيدنا شيخ الاسلام، مقتدى الأولياء العظام، علم الهدى الذي من انتمى إليه كان من السعداء، القطب الرباني و الفرد الجامع الصمداني، شيخ المالكية شرقا و غربا، قدوة السالكين عربا و عجماء، مربّي المريدين و كهف السائلين..³".

و في ترجمة الأمير عبد القادر يقول: "هو الإمام الأوحّد و العلم الفرد، العارف بالله، و التقّي الأواہ، عالم الأمراء، و أمير العلماء، الأمير الخطيب عبد القادر بن محي الدين"⁴.

و في ترجمة الشيخ مصطفى الرماصي يقول: "العلامة المتفنن المحقق و الجهد المدقق، من أذعنت له في وقته الأقران و لم يختلف في فضله و سعة علمه اثنان، و تراحم على بنات فكره و عرائس سره، الداني من أهل العلم و القاصي، الشيخ الإمام القدوة سيدي مصطفى بن عبد الله بن مؤمن الرماصي"⁵.

¹ المرجع نفسه، ج 3 ص، 58.

² عمر العرابي، "ألقاب أعلام التصوف، مقارنة سوسيو تاريخية لحضور ألقاب التصوف في المخيال العربي الاسلامي"، من منشورات مخبر العلوم الاجتماعية، جامعة معسكر، الجزائر، 2001، الإصدار الأول، ص 8.

³ الحفناوي، مرجع سابق، ص 345.

⁴ المرجع نفسه، ص 316.

⁵ المرجع نفسه، ص 578.

و يرى أبو القاسم سعد الله أن الكتاب غص بالكثير من المبالغات السخيفة¹. و الذي يهم الباحث هو المكانة الاجتماعية و الدور الذي أدته المرجعيات الدينية في النظام الاجتماعي سواء على مستوى التنشئة الاجتماعية، أو على مستوى الضبط الاجتماعي بما تملكه من قوة تأثير في الأفراد و الجماعات.

وقد ساهمت الزاوية ممثلة في شيوخها - وهم نتاج التعليم فيها- إلى إيجاد مرجعية دينية على المستوى المحلي والمستوى المغاربي. أما على المستوى المحلي فقد ساهم شيوخها في تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، في نادي الترقى بالعاصمة سنة 1931م، ومن بعدها جمعية أنصار السنة للمولود الحافظي، من السنة نفسها. كما ساهمت الزاوية في تأسيس "جامعة أولاد نائل"، و تولى مصطفى القاسمي رئاستها، و كان من مبادئها التعاون و الأخوة و المقاومة لكل الأفكار المنحرفة و الضلالة و عدم السماح لها بالتوغل في أوساط الشعب و الطبقات الشعبية ومساعدة الطبقات الفقيرة والكادحة والرفع من مستواها. و كان للزاوية - ممثلة في شيخها مصطفى القاسمي - دور في تأسيس "اتحاد الطرق الصوفية بالشمال الافريقي" سنة 1937 م، وتم تعيينه رئيسا لهذا الاتحاد.²

و كل هذه الجمعيات تمثل المرجعية العلمية أو الروحية في الجزائر مهما بدا بينها من خلاف فكري أو سياسي، لكنها جميعا تتبوأ مكانة خاصة في قلوب الجزائريين. هذا على المستوى الجماعي أما على مستوى المرجعية الفردية، فإن تقرير والي العاصمة إلى الحاكم العسكري في الجزائر تبين المكانة التي وصل إليها الشيخ المؤسس في قلوب الجزائريين، حتى أصبح "خطرا على الخزينة العامة" كما يقول الوالي، و ذلك من كثرة الهبات التي كان الناس يتقربون بها إليه. وقد أوصى التقرير بطرده من العاصمة وتحديد الأماكن التي يمر بها في طريقه من العاصمة إلى الهامل، وكذا المدة التي عليه أن يقضيها في كل محطة من محطاته.³ وأما على المستوى المحلي فقد خرجت الزاوية الكثير من العلماء الذين مثلوا المرجعية الدينية والاجتماعية في المنطقة.

¹ سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق ج3، ص 220.

² عبد المنعم، مرجع سابق، ص 329.

³ انظر الملحق رقم (7).

و-ضمان استمرارية التعليم العربي في الجزائر:

و ذلك بعد توقف المدارس و المساجد و الزوايا والمعمرات عن أداء دورها، بسبب ما تعرضت له من تضيق و مصادرة و تدمير. هذا في الحواضر و المدن أما المناطق الصحراوية كمنطقة الهامل، فقد لعبت الزاوية دور الحفاظ على التعليم واستمراريته، و استقبلت الطلبة الذين لم يجدوا مكانا في المدارس الفرنسية لانعدامها، و لم يستطيعوا السفر إلى أماكن أخرى لطلب العلم.

و يستنتج من السلوك الذي سلكه الشيخ المؤسس بمجرد وصوله إلى قرية الهامل، أنه كان يريد تأسيس مدرسة للتعليم أكثر من نيته في بناء زاوية للتصوف¹. وقد كان بناء المسجد على هيئة قاعات الدرس و توسعته فيما بعد دليلا على أنه لم يكن للصلاة فحسب، بل كان مدرجا علميا تلقى فيه الدروس العلمية على الطلبة من قسم أصول الدين.

2- الأهداف الخاصة:

أ-الحفاظ على القرآن الكريم من النسيان :

إذ هو مدار فلك التعليم في الزوايا عموما، ولا يوجد علم يدرس فيها إلا وله ارتباط وثيق به، فهو المبدأ و هو الغاية. وقد رأينا في ترجمة الشيخ المؤسس أنه حفظ القرآن الكريم في سن الثالثة عشر، و الأمر نفسه بالنسبة للشيخ محمد بن عبد الرحمان الديسي الذي لم يشنه فقد البصر عن حفظ القرآن. و لا توجد ترجمة لعلم من أعلام الزاوية أو غيرهم إلا وحفظ القرآن أول محطة يمر بها قبل أن يتحول إلى دراسة العلوم الشرعية. وحين توقفت الزوايا عن أداء دورها التعليمي و توقف نشاطها تقريبا لم تتخل عن تحفيظ القرآن الكريم.

و يعتبر حفظ القرآن شرطا في التحاق الطالب بحلقات العلم الشرعي. ولم يتغير الأمر إلا في زمن الخليل القاسمي الذي سمح لمن أتم حفظ نصف القرآن بالالتحاق بقسم أصول الدين، بعد أن تأسس المعهد القاسمي بتوصية من جبهة التحرير الوطني.²

¹ محمد بن الحاج محمد، مرجع سابق، ص 56.

² محمد نسيب، الزوايا العلمية بالجزائر، دار الفكر، الجزائر، دت، ص 162.

وقد كان الشيخ المؤسس قد استصلح بساتين على مجرى وادي الهامل و بنى فيها بيوتا وجعل في كل بيت مجموعة من الطلبة لقراءة القرآن صباح مساء. فالمار على الوادي لا ينقطع عن سماع القرآن الكريم في ذهابه وإيابه¹. و قد عرف الجزائريون أكثر من غيرهم الوقف على قراءة القرآن، و هو أن يقف المسلم دارا أو بستانا على مجموعة من طلبة القرآن، يأخذون أجرتهم من الوقف مقابل قراءة القرآن يوميا في المسجد.

و قد كان بنعزوز البرجي، شيخ زاوية البرج ببسكرة و زاوية نفطة بتونس، قد حبس نخيلا على قراءة القرآن ثم تعرض الوقف للبيع فاشتره الشيخ محمد بن أبي القاسم و زاد فيه و وقفه على روح شيخه في الطريقة الشيخ بنعزوز.²

وقد ظلت سنة قراءة الحزب الراتب بمسجد الزاوية قائمة إلى اليوم؛ وهو حزب عقب صلاة الصبح و ثلاثة أحزاب بعد صلاة المغرب.. و في ليلة الجمعة وصبيحتها تقسم المصاحف على الطلبة و يختم القرآن ثلاث ختمات³.

و بهذا تكون الزاوية قد اهتمت بتحفيظ القرآن الكريم للأطفال و الكبار و نشرته بصورة مكثفة و متواصلة في الأجيال الاسلامية المتعاقبة، و ساعد ذلك على محو أمية الحرف من جهة، و حماية القرآن الكريم من النسيان والضياع والاندثار من جهة أخرى. فكان أغلب الناس كبارا و صغارا يحفظونه كله أو جله أو بعض أجزائه عن ظهر قلب، على عكس ما هو حاصل اليوم، وكان معظم الناس في القرى والمداشر، في الأرياف والمدن يحفظونه ويطبقون تعاليمه الدينية خاصة ما يتعلق بالسلوك والأخلاق العامة الشخصية والجماعية.⁴

¹ محمد بن الحاج محمد، مرجع سابق، ص 56.

² المرجع نفسه، ص 6.

³ المرجع نفسه، ص 56.

⁴ يحي بو عزيز، مرجع سابق، ج 1، ص 236.

ب- صيانة اللغة العربية من الضياع:

اللغة العربية هي الأساس لفهم مصادر الشريعة الإسلامية ممثلة في الكتاب الكريم و السنة النبوية المطهرة، و هي شرط في الاجتهاد الذي يعني القدرة على استنباط أحكام الشريعة الإسلامية من مظاهرها الأصلية.

و تبين لنا رسالة المكي القاسمي - و هو أحد طلبة الزاوية - مدى الاهتمام الذي أولته الزاوية للغة العربية، حين يعدد الكتب التي درسها بنفسه على محمد بن عبد الرحمان الديسي و هي: الأجرومية، بشرح الشيخ خالد، و حاشية أبي النّجا و شرح اللّقانيّ وهو شرح مبسوط، و شرح الباكورة، والأزهرية، بشرح الأزهريّ وحاشيتيّ العطار والأمير، القطر، بشرح المصنّف والفاكهيّ، الشّدور، بشرحه للمصنّف، الألفية، بشرح المكوّديّ والسيوطيّ، الملحة، بشرح بحرق، الكافية، بشرح الجامي، التسهيل، بشرح الإمامين، متن الشبراويّ، متن العطار، نظم الأجرومية، شرح البيجوريّ، شرح الحمل، من نظم الأستاذ، متن البناء، لامية الأفعال بشرح بحرق الكبير، العزّي، بشرح السعد، التصريف بشرح البيجوريّ، رسالة الدردير، .. شرح بديعة العميان، للرّعينيّ، قواعد اللّغة العربيّة للمدارس، أنوار الربيع في الصرف والنحو والمعاني والبيان والبديع، الكافي في العروض والقوافي، الخزرجيّة، بشرح شيخ الإسلام زكريا، ابن كيران¹.

و الرسالة تعطينا نبذة عن كتب اللغة التي كانت مقررة في الزاوية، وقد رتبها كاتبها بحسب أهميتها لا بحسب البرنامج المقرر في الزاوية، وإلا فإن الطالب يحفظ متن الأجرومية ثم يتدرج بين كتب اللغة كالقطر والألفية واللامية وغيرها و ليس العكس.

و في رسالة بنعزوز القاسمي - و هو أحد طلبة الزاوية و علمائها- تعداد لكتب اللغة التي درسها بالزاوية و هي: الأجرومية ثم الأزهرية فالألفية و الجوهرة².

غير أن المقارنة بين الرسالتين- رسالة المكي و رسالة الشيخ بنعزوز- تبين أن الطالب لا يمكنه الإمام بكل هذه الكتب إلا بالانقطاع التام للدراسة، أما الطلبة الذين يغادرون الزاوية في

¹ رسالة المكي القاسمي، مرجع سابق، ملحق رقم (1).

² من وثيقة بخط الشيخ بنعزوز القاسمي، الملحق رقم (4).

مواسم الزراعة فقد لا يستطيعون قراءة هذه الكتب جميعها، و لكن مجرد وجودها في المقرر يدل على الإهتمام البالغ الذي أولته الزاوية للغة العربية .

بالإضافة إلى ذلك فقد عرف من أبناء الزاوية الشعراء و الأدباء، و أصدر طلبة الزاوية مجلة أدبية هي مجلة "الروح" (1948م)، تهتم بالشعر والنثر وتنشر التراث الجزائري¹.

ج- المحافظة على العقيدة الإسلامية:

وفق المهدي النبوي في تعليم العقيدة و تلقينها للصحابة، و نهج السلف الصالح في تدريس العقيدة؛ بعيدا عن المذاهب الكلامية التي شابت العلوم الإسلامية في فترات عدة من التاريخ الإسلامي.²

د -المحافظة على علوم الشريعة ممثلة أساسا في الفقه الاسلامي:

يمثل الفقه القانون الإسلامي المنظم للعلاقات العامة و الخاصة في المجتمع الاسلامي، و الحل الشرعي لكل ما يستجد من قضايا في حياة المسلمين. و قد كان الفقه يدرس على مذهب مالك بن أنس إمام أهل المدينة.

و يعتبر مختصر الخليل بن إسحاق المالكي أساس الدراسات الفقهية،وقد كانت دراسته تتم في فصل الشتاء في المسجد العتيق ،وهو المسجد الذي ألقى به الشيخ المؤسس دروسه الأولى قبل الانتقال إلى الزاوية الحالية.

و يرى الشيخ الحاج ابن السنوسي(ت 1958م)³ في خطبة التخرج⁴ ،أن الفقه من أعز أنواع العلوم،وأن مختصر خليل أعز كتب الفقه على الإطلاق،ولذلك وجب حفظه وشرحه

¹ محمد فؤاد القاسمي، التعليم في الزاوية، مرجع سابق، ص8.

² انظر :اتفاقية العمل، ملحق رقم(6)،حيث يمنع شيخ الزاوية كتابة الحروز و التنجيم المسمى(يفش) و حساب المريض.

³ هو الحاج محمد بن السنوسي الديسي،(1876-1960م)،عمه الشيخ محمد بن عبد الرحمان الديسي، ولد بقرية الديس بنواحي بوسعادة، أخذ العلم بزاوية الهامل، و استقر بها وأصبح من علمائها، انظر : عبد المنعم، مرجع سابق، ص 341.

⁴ و هي الخطبة الذي ألقاها الشيخ الحاج ابن السنوسي ابن عبد الرحمن الديسي (ت 1958م)،بمناسبة تخرج الخليل القاسمي(ت 1994)وأحمد بن محمد بنعزوز القاسمي الحسني (ت 1983)وجلوسهما للتدريس عام 1948م،الملحق رقم (3).

و تحصيله و صرف المهمة له ، " فإنه عار كبير على إنسان يخرج من أهله، مهاجرًا في طلب العلم ويعود فارغ الوطاب خاوي الجراب. هكذا يكون من يطلب أعزّ علم؟ خصوصًا مختصر الشيخ خليل؟ فإنه كتاب معتبر، صعب الاختصار، اختصر فيه جميع الأمّهات، لابن الحاجب وغير ذلك .. ومسائله مائتا ألف، مائة ألف في المنطوق، ومثلها في المفهوم.

و هو بعد ذلك يعدد خصائص الفقه و أنه أساس كل العلوم فيقول: " والفقه هو الأساس، وبه يعرف الإنسان كيف يعبد ربه، وهو أوّل ما نهضت إليه الهمم العليّة، وعكفت على تحصيله النفوس الركيّة"¹. ثم يورد أبياتا من الشعر و أقوالا للعلماء في شرف الفقه و علو مرتبته.

وقد كان مختصر خليل من بين الكتب المقررة في مدارس جمعية العلماء في المستويات الثالث والرابع، ثم عوض بأقرب المسالك إلى مذهب الإمام مالك²، و السبب صعوبة الكتاب و كثرة مسائله .

هـ - الاهتمام بالتربية الروحية أو الاخلاقية :

أو ما يمكن تسميته بالجانب العملي من الاسلام، و إيلاؤه الأهمية القصوى حفظا و تلقينا و ممارسة. فالعمل ثمرة العلم والهدف من التعليم هو التربية³. و التربية هي إحداث التغيير في شخصية الطالب على مستوى الفكر و الوجدان و السلوك، و كل ذلك يتم وفق برنامج يعتمد على حفظ متون التصوف و شرحها و تطبيق أوراد الطريقة و أذكّارها في أوقات محددة من كل يوم و ليلة ، سواء كان ذلك بشكل فردي أو جماعي.

و يلتزم الطلبة في الزاوية بورد الطريقة الرحمانية الخلوتية، ويرددونه كل يوم، و يحضرون حلقة الذكر التي تقام كل ليلة جمعة، و يحضرها شيخ الزاوية و المدرسون فيها و يريدوا الطريقة من غير الطلبة، و تبدأ بقراءة الفاتحة ثم أذكّار الطريقة⁴، و من بينها الصلاة على النبي -ص- و ترديد اسم

¹ خطبة التخرج، الملحق رقم (3)، المرجع نفسه.

² عبد القادر فضيل و محمد الصالح رمضان، إمام الجزائر: عبد الحميد بن باديس، دار الأمة، الجزائر، 2007، ص 261.

³ من مقابلة مع شيخ الزاوية الحالي.

⁴ محمد فؤاد القاسمي، ورد الطريقة الرحمانية الخلوتية من الكتاب و السنة، دار الخليل القاسمي، الجزائر، 2005، ص 6.

"الله" بعدد معين، و ينشد الجميع القصيدة الأسمائية التي نظم فيها الشيخ المؤسس أسماء الله الحسنى، وتختتم الحلقة بدعاء الشيخ للحاضرين و لمشايخ والوالدين، ولا يصحب ذلك رقص ولا تمايل ولا صياح ولا عويل ولا اختلاط.¹

و يأخذ الشيخ البيعة -ممن يريد من الطلبة- على سلوك الطريقة الرحمانية والتزام آدابها . و من أهم آداب الطريقة الرحمانية الخلوتية: العلم و التوبة و النية الصادقة و جهاد النفس و محاسبتها في جميع عاداتها و معاملاتها و دوام الذكر سرا و علنا و المراقبة و فراغ القلب من الشواغل والتزام إمام من أئمة الطريق وطاعته، والوقوف عند أمره و نهيهِ بالتسليم الظاهر و الباطن من غير دليل.²

وقد مر معنا أن الشيخ المؤسس خصص للجانب الصوفي في الزاوية مسجدا صغيرا هو مسجد سيدي عبد القادر، وكان يخلو فيه مع خاصة طلبته لقراءة القرآن ومدارسة كتب التصوف.

وفي خطبة التخرج يحث السنوسي الديسي الطلبة على التحلي بالأخلاق قبل الإهتمام بتحصيل العلم، و يحضهم على التأدب مع العلم و العلماء، و يعلي من قيمة العلم و يجعله أهم من نسب الانسان فيقول: "فالعلم شرف الأرواح، والنسب شرف الأشباح، وفرق بين الأرواح الباقية، والأشباح الفانية"³ ثم يضيف: "وأنتم أيها الطلبة، يجب عليكم قبل كل شيء، تقوى الله تعالى؛ ففيها إعانة عظيمة لنيل العلم الشريف، كما قال تعالى: ((وَاتَّقُوا اللَّهَ، وَيَعْلَمَ اللَّهُ))"⁴ الآية.. ثم يجب عليكم الأدب مع العلم ومشايخه، وكتب العلم، فقد قالوا: لا يضرب الكتاب لنفص ما تعلق به من الغبار، بل يمسح بالخرقة، ثم الأدب في حضور الدرس، يكون على طهارة، غير لابس لنعله، كما يفعل المعلمون العصريون!، يعلمون بنعالهم هم وتلامذتهم؛ ففي ذلك إهانة للعلم، ثم عليكم بالحرص والاجتهاد وترك الكسل، فمن جدّ وجد"⁵.

¹ شارك الباحث في حلقات الذكر مرات عديدة في مرحلة الدراسة الاستطلاعية.

² المقدمة الوثيقة لمعرفة آداب الطريقة، لمؤلف مجهول، تعليق محمد فؤاد القاسمي، دار الخليل القاسمي، الجزائر، 2005، ص 9-24.

³ الحاج ابن السنوسي ، مرجع سابق ، الملحق رقم (3).

⁴ البقرة: الآية: 282.

⁵ الحاج ابن السنوسي ، مرجع سابق ، الملحق رقم (3).

و كل ذلك قواعد في التربية الأخلاقية أو الروحية، هدفها تقويم سلوك الطلبة وغرس الأخلاق الكريمة في نفوسهم، حتى يشبوا على حب العلم واحترام العلماء و التواضع و بذل الجهد في تحصيل العلوم.

ثالثا- مراحل التعليم في الزاوية:

*ملاحظات حول تقسيم التعليم في الزوايا إلى ابتدائي و ثانوي و عال:

قسم الكثير من الباحثين مراحل التعليم في الزوايا و المساجد و المعمرات إلى مراحل هي الابتدائي و المتوسط أو الثانوي و التعليم العالي، رغم أن هذه المصطلحات هي وليدة المدرسة الحديثة. فيرى أبو القاسم سعد الله أن التعليم الديني في العهد العثماني وبداية العهد الإستعماري ينقسم إلى ابتدائي و ثانوي و عال.¹ في حين يرى عيسى بالقبي أن مراحل التعليم في الزاوية كانت على الترتيب التالي: تحضير (مرحلة حفظ القرآن)، ابتدائي أو تكميلي، ثم تعليم عال.²

و يقسم محمد فؤاد القاسمي المراحل التعليمية في الزاوية إلى خمسة هي: الإبتدائي، المتوسط، الثانوي، الجامعي، العالي.³

وبالمقابل لذلك يسمي باعيز بن عمر⁴، في خضم حديثه عن وضع التعليم في مدارس جمعية العلماء المسلمين، المرحلة المكتنية بالتعليم الابتدائي.. و يراه الأساس لكل نبوغ، ويرى أن التعليم الثانوي- كما هو تعبیر العصر- دون التعليم الابتدائي في الأهمية.⁵ و هو إشارة إلى أن الجمعية عرفت هذه المصطلحات و قسمت المراحل التعليمية وفق تقسيم المدرسة الحديثة وإن لم تسمها كذلك.

¹ سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 1، ص 338-343.

² عيسى بالقبي، مرجع سابق، ص 151.

³ محمد فؤاد القاسمي، التعليم في زاوية الهامل قبل الاستقلال، مرجع سابق، ص 4.

⁴ سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين، من منشورات جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، دارالمعرفة، الجزائر، 2009، ص 113.

⁵ عبد القادر فضيل و محمد الصالح رمضان، مرجع سابق، ص 241.

و فيما عدا ذلك لا نجد في تراجم طلبة الزوايا و خريجها ما يفيد أن التعليم فيها كان واضح المعالم من حيث المدة الزمنية أو شروط الالتحاق، ولا نجد في ترجمة الشيخ المؤسس أو أحد مشايخ الزاوية و علمائها ما يدل على أن المراحل التعليمية المختلفة كانت واضحة ومحددة سواء بالعمر أو عدد السنوات. و إذا نظرنا إلى الكتب المقررة و ترتيبها من السهل إلى الأصعب قد يساعدنا ذلك في تحديد معنى المرحلة.

فطالب الفقه - مثلاً - يمر في دراسته بمراحل :

المرحلة الأولى: يبدأ الطالب بحفظ متن المرشد المعين لابن عاشر حفظاً جيداً.

المرحلة الثانية: يقرأ متن ابن عاشر مع شرحه المسمى ميارة الصغرى أو الكبرى.

المرحلة الثالثة: يدرس الطالب رسالة ابن أبي زيد القيرواني حفظاً و شرحاً، و هي أعلى مستوى و أصعب من متن ابن عاشر.

المرحلة الرابعة: و هي أعلى مرحلة و أصعبها و فيها يحفظ الطالب مختصر خليل ، و يبدأ في شرحه و حل مسائله اعتماداً على شروح كثيرة من بينها شرح الخرشي¹، ويتخرج بعدها و قد أتم دراسة الفقه في كل مراحله. و الأمر نفسه بالنسبة للعلوم الأخرى.²

و لذلك فالمرحلة ليست المدة الزمنية المحددة التي على الطالب أن يقضيها حتى يمر إلى المرحلة التي تليها (كما هو الحال بالنسبة للمدرسة الحديثة)، ولكنها مرحلة كتيبة (نسبة إلى إتقان كتاب في علم من العلوم). و منه فإن مصطلح المرحلة في التعليم الديني الذي نحن بصدد دراسته يعني:

"المدة الزمنية التي يقضيها الطالب في حفظ كتاب من كتب العلم و شرحه وإتقانه وأخذ الإجازة فيه".

¹ الحفناوي ، مرجع سابق، ص 345.

² المكّي القاسمي ، مرجع سابق ، ملحق رقم (1).

رابعاً- مدة الدراسة:

قد تطول هذه المدة أو تقصر تبعاً لنوع الكتاب و أهميته و قدرة الطالب على الحفظ و الإستظهار، و اقتصر الشيخ على شرح واحد أو مجموعة من الشروح. و تفيدنا المصادر التاريخية أن الشيخ المؤسس بقي في زاوية السعيد بن أبي داوود بتاسلت بولاية بجاية خمس سنوات، وقد كانت كافية ليحصل كل العلوم التي بدأ بتدريسها وحده في زاويته. و قد عرفت زاوية السعيد بن أبي داوود بالعلم الشرعي مثلما اختصت زاوية شلاطة بتحفيظ القرآن الكريم.¹

و في رسالة المكي القاسمي² إشارة إلى المدة الزمنية التي يقضيها الطالب في الزاوية، والتي يسميها **مدة القراءة**، وهي بين الست (06) و العشر (10) سنوات³، وهي أكبر من المدة التي يقضيها الطلبة في المدارس الشرعية الثلاث آنذاك، و المحددة بست سنوات تتوج بالحصول على دبلوم الدراسات العليا للمدارس⁴، وأكبر من المدة التي يدرسها الطالب في مدارس جمعية العلماء المسلمين، "فقد حدد ابن باديس مدة الدراسة في التعليم المسجدي بأربع سنوات يتخرج الطالب بعدها بحصيلة علمية تمكنه من مواصلة الدراسة -إن أراد- في جامع الزيتونة أو في غيره من المعاهد الإسلامية، كما تمكنه من الإنتصاب للتدريس في مدارس جمعية العلماء أو تأطير مساجدها"⁵

و قد قدمنا في بحثنا عن التعليم في الزوايا و المساجد في العهد العثماني أن الكتاتيب كانت تمثل المرحلة الابتدائية أو التحضيرية، و أن المسجد أو المدرسة الملحقه به كانت تمثل المرحلة المتوسطة و الثانوية، وأن المساجد الجامعة الكبرى كانت تمثل التعليم العالي، و ربما احتاج الطالب إلى التنقل إلى مكان آخر لإتمام دراساته، على حسب المنطقة التي يوجد فيها.

¹ صلاح مؤيد العتيبي، مرجع سابق، ص 299.

² المكي القاسمي، مرجع سابق، ملحق رقم (1).

³ المرجع نفسه.

⁴ كمال خليل، مرجع سابق، ص 86.

⁵ عبد القادر فضيل و محمد الصالح رمضان، المرجع السابق، ص 257.

غير أن الزوايا العلمية كانت ذات نمط متميز؛ ذلك أنها تجمع في مكان واحد كل مراحل التعليم من التحضيري إلى التعليم الثانوي أو العالي، مع ما تتوفر عليه من مرافق الإستقبال و الإيواء و الإطعام والإنقطاع التام للدراسة، بحكم موقعها الذي عادة ما يكون بعيدا عن المدن والحوضر. ولذلك كانت هذه الزوايا والمعمرات قبلة الطلبة من كل أنحاء الوطن بعد أن توقفت كثير من المؤسسات التعليمية الحرة عن أداء وظيفتها بسبب التضيق أو المصادرة أو التدمير .

خامسا- أقسام التعليم في زاوية الهامل:

و بالنسبة لزاوية الهامل فقد انقسم التعليم فيها الى قسمين رئيسيين هما :

التعليم العام و التعليم الخاص.¹

1 - التعليم العام:

يقصد بالتعليم العام تلك الدروس الدينية التي دأب الشيخ المؤسس و المشايخ من بعده على إلقائها في المسجد لعوام الناس الذين لم يسعفهم وقتهم للالتزام بالنظام التعليمي في الزاوية، وعادة ما يكونون من عامة الناس، أي من أهل قرية الهامل أو القرى المجاورة، و قد كانت الدروس تشمل كل العلوم الشرعية من تفسير وفقه وعقائد. و رغم أنها كانت موجهة لغير المتخصصين، إلا أنها كانت تقدم من كتاب بعينه كمختصر خليل في الفقه مثلاً، و الأربعين النووية للنووي.

و قد كانت ذات أثر واضح في حياة الناس؛ ذلك أن الهدف منها ربط المسلمين بدينهم و تنقية عقائدهم من الشرك وتصحيح معاملاتهم و توفير الحد الأدنى من العلم لهم. ولم يكن يتصدى لها أي شخص، بل كان شيوخ الزاوية حريصين على إلقائها بأنفسهم، و قد ينوب عنهم من يرون فيه القدرة على ذلك من أبناء الزاوية، بعد أن يكون الطالب قد تحصل على الإجازة من شيخه.

¹ عيسى بالقبي، مرجع سابق، ص 95.

و يتم كل ذلك وفق تقاليد علمية راسخة تدل على القيمة التي أولاها مشايخ الزاوية لهذه الدروس. ومن هذه التقاليد الاحتفال بأول درس يلقيه الطالب المجتهد في المسجد، و يكون ذلك بحضور شيخه والمشايع الآخرين إيدانا منهم بظهور عالم قادر على تحمل مهمة التربية والتعليم¹، مما يكون له أثر عظيم في نفس الطالب و في أنفس الطلبة الآخرين، تشجيعا لهم على الجد و المثابرة ليفوزوا بهذا التكريم الذي يحضره العلماء و الأدباء و المشايخ في جو مهرجاني علمي هدفه الإحتفاء بالعلم و العلماء.

و قد كان شيوخ الزاوية يتحينون مواسم الزيارة للزاوية لإلقاء الدروس الدينية التي تهدف إلى تذكير الجزائريين بدينهم و ربطهم بتاريخهم و توطيد أواصر الأخوة و التعاون بينهم

1.1-أهداف التعليم العام يهدف التعليم العام الموجه لعوام الناس إلى :

- 1- توفير حد أدنى من العلم الشرعي الذي يحتاج إليه المسلم في حياته اليومية.
- 2- نشر تعاليم الدين الحنيف في اوساط المسلمين الذين يتعرضون لهجمات المبشرين سواء مباشرة أو تحت غطاء المساعدات الإنسانية.
- 3- ترسيخ الخلق الحميد في نفوس المسلمين، عن طريق النهي عن ارتكاب المنكرات و الحض على فعل الخيرات. وقد كان هذا محور درس الحديث النبوي، و قد اختير لذلك كتاب الأربعين النووية لما يتميز به من شمول لكل أبواب الخير، و كان عامة الناس يحفظون أحاديثه من كثرة السماع.
- 4- إحياء الأخلاق الإسلامية؛ من الصدق و التعاون و التراحم و مساعدة المحتاجين و صلة الأرحام، و ما إلى ذلك من الأخلاق التي تمثل أساس النظام الإجتماعي في الاسلام.
- 5- الرد على محاولات تفتيت المجتمع الجزائري و زرع الفتنة بين صفوفه، و ذلك بتحسيس المسلمين برابطة العقيدة التي تربطهم و جمعهم في المسجد الذي يتعدى دوره العبادة إلى كونه مؤسسة اجتماعية يلتقي فيها المسلمون لتدارس أمور دينهم و دنياهم. فالمواظبة على حضور الدروس الدينية في المسجد مع ما تحتويه من معاني التمسك بالدين و الحفاظ على وحدة المسلمين، وأن

¹ أحمد بن بوداود بن الشيخ محمد بن عبد الرحمن الديسي، خطاب إنهاء دروس اللغة، ملحق رقم(5).

المسلمين جميعا إخوة مهما اختلفت ألوانهم و أعراقهم ، كل ذلك يزيد من صلابة البناء الاجتماعي في المجتمع الجزائري. ولم يترك الشيوخ الدروس العامة في المسجد العتيق رغم تدريسهم في الزاوية و ذلك مراعاة لظروف العامة من الناس.¹

6- إعطاء الفرصة لكبار السن و الفلاحين و المشتغلين بالتجارة في التعلم على الرغم من مشاغلهم. فالتعليم العام يكون عادة بعد صلاة العصر أو العشاء . وهي أوقات يكون فيها هؤلاء قد أكملوا أعمالهم و التحقوا بالمساجد، ناهيك عن أن المشايخ اختاروا فصل الشتاء لختم مختصر خليل في الفقه بعد صلاة العشاء. و هو فصل تقل فيه أعمال الفلاحة و تطول فيه ساعات الليل، مما يساعد على ختم الكتاب بقدوم الربيع. وبهذه الطريقة يكون معظم الناس قد أخذوا القدر الكثير من الفقه دون إلزامهم بالحضور المنتظم إلى الزاوية.²

7- تمكين المرأة من التعليم الديني:

خاصة وأن شيخ الزاوية كان من المشجعين على ذلك. و يعتبر الإهتمام الذي أولاه لتعليم ابنته واستخلافه لها على رأس الزاوية من بعده دليلا قاطعا على إيمانه بضرورة تعليم النساء و تثقيفهن و الوثوق بقدرتهن على القيادة و التسيير. وقد كانت السيدة زينب حافظة لكتاب الله، عالمة بالتفسير و الفقه و اللغة³. و مما برعت فيه الحساب، فقد كانت تقوم على أوقاف الزاوية في حياة والدها، وتجلس لتعليم النساء و تحفيظهن القرآن والإجابة عن أسئلتهن الفقهية، و وجد النسوة في دروسها وسيلة للتعلم و التفقه في الدين، و قد عرفت منهن الكثيرات من حافظات كتاب الله. و بهذا تكون الزاوية قد وفرت للمرأة نوعا من التعليم العربي الحر على الرغم من التقاليد البالية و الأفكار المتشددة التي وقفت لقرون حاجزا منيعا ضد تعليم النساء. وبعد ثلاثين سنة تقريبا من وفاة السيدة زينب ، كان الإمام عبد الحميد بن باديس يلقي دروسه العامة في المسجد الأخضر لعامة

¹ من مقابلة مع شيخ الزاوية الحالي.

² محمد بن الحاج محمد، مرجع سابق، ص 25.

³ عاشور خضراوي، "إسهامات المرأة الجزائرية في التعليم القرآني"، محاضرة، الملتقى الدولي الرابع للقرآن الكريم، قسنطينة، ص 9.

الناس، ويخص النساء بدرس خاص يوم الجمعة بعد العصر؛ يتناول فيه قضايا وطنية واجتماعية وسياسية، ويفتح أبواب مدارس الجمعية في وجوه البنات، ويرفع عنهن كل قيد، ويحارب الذهنيات التي تقلل من أهميتهن.¹ ورغم أن الروايات الشفهية تتحدث عن نساء قرية الهامل -و خاصة بنات العائلة القاسمية- اللواتي حفظن القرآن و تفقهن في الدين، إلا أننا لم نعثر على وثيقة تدون أسماءهن أو طريقة تعليمهن.

2-التعليم النظامي:

هو التعليم الموجه للطلبة المقيمين في الزاوية ، و هو خاضع لبرنامج محكم من المناهج الدراسية التي يتلقاها الطالب من أول مرحلة من مراحل التعليم حتى التخرج. و يشمل المنهاج المواد المدرسة والكتب المعتمدة و طرق التدريس. ويخضع الطلبة في النظام الخاص إلى قوانين محكمة استقفاها المؤسس من زاوية الشيخ السعيد بن أبي داوود ببجاية، وذلك لضمان السير الحسن للزاوية. سميت هذه القوانين بـ " السفارة"².

1.2-أقسام التعليم النظامي:

و قد قسم التعليم النظامي في الزاوية إلى قسمين أساسيين هما : قسم تحفيظ القرآن وقسم علوم الدين. و لكل قسم مراحله الخاصة به³.

أ- قسم تحفيظ القرآن:

يعتبر حفظ القرآن شرطاً أساسياً في الالتحاق بقسم أصول الدين، و لا يسمح للطلاب بحضور حلقات العلم إلا بعد إتمام حفظه و إتقانه⁴. و يلتحق بهذا القسم من التعليم الأطفال الصغار الذين يبدؤون بحفظ الحروف الأبجدية مع حركاتها؛ من فتح وضم و سكون. ثم ينتقلون إلى حفظ أول سورة من القرآن وهي الفاتحة ثم قصار السور، و هكذا حتى يتموا حفظ القرآن

¹ عبد القادر فضيل و محمد الصالح رمضان، مرجع سابق، ص 270.

² السفارة أو القانون الداخلي، الملحق رقم (10).

³ عيسى بالقي، مرجع سابق، ص 95.

⁴ ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 3، ص 221.

كاملا.وقد جرت العادة أن يقوم الطالب بتزيين لوحته بعد حفظ كل حزب بأشكال و رموز تدل على ارتقائه في الحفظ و اقترابه من ختم القرآن،وينوه المعلم به أثناء حصة الدرس تشجيعا له و لزملائه،ويقدم للصلاة في مناسبات خاصة كرمضان و غيره، بعد التأكد من حفظه و إتقانه، و يعطى وسادة يجلس عليها و يعلو بها على زملائه.وهذه وسائل تربوية ترفع من همة الطالب وتزيده إصرارا على الحفظ و المثابرة.¹ويلتزم الطلبة كغيرهم من طلبة قسم أصول الدين باللباس الرسمي للزاوية،وهو العمامة والقميص المغاربي. و لا يزال هذا التقليد قائما إلى اليوم، اعتزازا باللباس المغاربي وتمييزا لطالب العلم عن غيره من الناس.

1-عدد الطلبة في قسم القرآن الكريم:

كان لهذا القسم أثر كبير في محو الامية و انتشار القراءة و الكتابة في المنطقة. و قد كان المتخرج منه - في نظر العامة- عالما رغم أنه لم يدخل قسم أصول الدين. و يمثل طلبة قسم تحفيظ القرآن أغلبية الطلبة في الزاوية. و يؤكد المكي بن عزوز أن عدد الطلبة يكون عادة في حدود الـ 500 طالب، وأن طلبة القرآن يمثلون الثلثين.²

2-الوسائل التعليمية:

يعتبر اللوح و القلم و الدواة الوسائل التعليمية الوحيدة المستعملة في كل كتابات المغرب العربي. و اللوح عبارة عن قطعة خشبية مستطيلة الشكل، يوجد في أعلاها ثقب،يربط به خيط يساعد الطالب على الإمساك بها و تمييزها عن غيرها من الألواح الكثيرة.ويستعمل الصلصال أو الطين لتمليس سطحها و تسهيل الكتابة عليها. و يقوم الطالب بمحو الوجه الذي حفظه و كتابة آيات جديدة مكانه، و هكذا حتى ينهي حفظ كل القرآن.وقد خصص مكان خاص لمحو الألواح، و لا يرمى الماء المتجمع من محو الألواح في أي مكان، بل يرمى في مكان طاهر كالבساتين

¹ من مقابلة مع الشيخ بوزيدي الحاج اخليف، إمام متقاعد و أحد معلمي طلبة الزاوية.

² المكي القاسمي، مرجع سابق، ملحق رقم (1).

و غيرها . و يقوم الطلبة بجلب الصلصال بأنفسهم من المناطق الجبلية المجاورة، كما يقومون بتحضير السمغ و الأقلام و الحبر. أما الألواح فعادة ما يحضرها الأولياء لأبنائهم من عند النجارين، أو يقومون بصناعتها بأنفسهم من جذور الأشجار المنتشرة في المنطقة.¹

3- طرق التدريس:

لم تختلف الزاوية في طريقة تدريسها للقرآن عن مذهب المغاربة عموما في ذلك،" و هو الاختصار على تعليم القرآن فقط، و أخذهم أثناء الدراسة بالرسم و مسائله و اختلاف حملة القرآن فيه، لا يخلطون ذلك بسواه في شيء من مجالس تعليمهم، لا من حديث و لا من فقه و لا من شعر و لا من كلام العرب إلى أن يحذف فيه أو ينقطع دونه.. فهم لذلك أقوم على رسم القرآن و حفظه من سواهم".²

و يستعمل المعلمون العقاب الجسدي لتأديب الطلبة، و هو الضرب على القدمين، أو ما يسمى بـ"الفلقة". و هذه العقوبة تطبق على الصغار من طلبة القسم القرآني دون غيرهم.³ و الظاهر أن هذا لم يكن من فلسفة التعليم في الزاوية؛ فقد كان شيوخ الزاوية يوصون بتأديب الطلبة باللفظ، و زجرهم بالتعريض لا التصريح.⁴ و لذلك لم تحتو السفارة أو القانون الداخلي للزاوية على عقوبات جسدية.

4- أقسام الطلبة في قسم تحفيظ القرآن:

يقسم الطلبة في قسم القرآن الكريم إلى قسمين: قسم أتم حفظ حروف الهجاء و أصبح قادرا على الكتابة، و قسم لا زال لم يتقن الكتابة رغم قدرته على الحفظ .

¹ من مقابلة مع الحاج بوزيدي اخليف، إمام متقاعد و أحد معلمي طلبة الزاوية.

² عبد الرحمان ابن خلدون، المقدمة، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت، لبنان، 2001، ص 484.

³ عيسى بالقبي، مرجع سابق، ص 113.

⁴ المكّي القاسمي، مرجع سابق، الملحق رقم (1).

أما القسم الأول فيقوم المعلم بإملاء الآيات عليهم و يقومون هم بكتابتها و يقوم هو بتصحيح الكتابة و النطق. وأما القسم الثاني ممن لم يتقن الكتابة بعد فيقوم المعلم بكتابة اللوحة لهم بنفسه أو يكلف أحد الطلبة ممن أتم حفظ القرآن أو نصفه بذلك. و يظل الطالب على ذلك حتى يصبح قادرا على الكتابة بنفسه. أما الإملاء فيتم عادة بعد صلاة الصبح؛ أين يتجمع الطلبة ممن حفظ لوحته بالأمس و محامها، و يبدأ من حيث انتهى الوجه الآخر للوحة، فيردد أوله على المعلم و يقوم هذا الأخير بإملاء آية يكتبها الطالب، ثم يأتي الدور على الطالب الثاني و هكذا . و في النهاية يقوم كل طالب بتصحيح القراءة و الكتابة على المعلم و ينصرف إلى الحفظ.¹ و لا يسمح للطلاب بالحفظ من المصحف أو كتابة لوحته منه، و قاعدتهم في ذلك "لا تأخذ القرآن عن مصحفي و لا العلم عن كتي".

5- أوقات الدراسة:

أما أوقات الدراسة فهي عادة بعد الصبح وقبل الظهر و بعد العصر. و تخصص حصة الصبح للكتابة. و حصة ما قبل الظهر للحفظ. أما حصة ما بعد العصر فتخصص للاستظهار . و يقوم الطالب بعدها بمحو لوحته و تجفيفها و تغطيتها بمادة الصلصال استعدادا ليوم جديد و هكذا.²

6- الحزب الراتب:

يلتزم الطلبة و خاصة الذين حفظوا قسطا منه بحضور الحزب الراتب، وهو قراءة حزبين من القرآن جماعيا بعد صلاة العصر .وهي وسيلة مساعدة على الحفظ و الاستظهار و إتقان القراءة و معرفة الوقف و الابتداء، ولايزال هذا التقليد موجودا إلى اليوم.

7- نظام المجموعات:

يستعين المعلم ببعض تلاميذه من الحفظة و ذلك لمساعدة المبتدئين، فيقسم عليهم الطلبة الجدد ليعلموهم مبادئ القراءة و الكتابة، و يستخلف بعضهم على الكتاب عند انشغاله

¹ من مقابلة مع الشيخ بلقاسم جوير، إمام متقاعد، من أقدم طلبة الزاوية.

² من مقابلة مع الشيخ بلقاسم جوير، مقابلة سابقة.

بالتدريس في المسجد أو لطلبة قسم أصول الدين. تخصص حصة الصباح من يوم الجمعة للتكرار. وهو قيام الطلبة الذين هم في نفس المستوى بإعادة الأحزاب التي حفظوها، وذلك بشكل جماعي و بصوت مرتفع. و هو بمثابة المراجعة الأسبوعية للقرآن.¹

8-مدة الدراسة في قسم تحفيظ القرآن:

يستغرق حفظ القرآن عادة من سنتين إلى ثلاث، وقد تطول المدة أو تقصر، و يستفيد الطلبة من إجازة صيفية أو ما يسمى "المسامحات"، و الهدف منها "إراحة المشتغلين بالتعليم و التعلم؛ لأن العقل المستريح يستفيد استفادة لا تضارعها و تماثلها استفادة العقل المكدور و الفكر المتعب، و لذلك تعطل الدروس في المواسم المبينة، و هي: عيد الفطر، تعطل لأجله ثلاثة أيام، عيد الأضحى عشرة أيام، يوم عاشوراء و مولد النبي -ص-، و يوم الخميس و الجمعة من كل أسبوع"². بالإضافة إلى عطلة الصيف و هو فصل الحصاد، و يلتحق الطلبة بالزاوية في فصل الخريف. و لا يعتبر الطالب حافظا للقرآن حتى يقوم بختمه مرتين. و كثير من الطلبة يتوقفون في هذه المرحلة ليعودوا إلى بلدانهم لفتح كتاتيب لتعليم القرآن و مبادئ العربية، وهي المهنة التي كان طلبة القرآن يسترزقون منها، في ظل انعدام الوظائف الادارية خاصة لغير المفرنسين.³

9- طريقة الحفظ:

تعتبر طريقة الإلقاء و الكتابة على اللوحة من أنجع الطرق لحفظ القرآن الكريم، و هي معتمدة إلى اليوم في الزوايا و المدارس القرآنية الحديثة. و من فوائدها أن الطالب يأخذ الآية عن معلمه صحيحة النطق بعكس لو أنه أخذها بنفسه من المصحف. ثم إنه يقوم بكتابتها و هي أول مرحلة من الحفظ، ثم يقوم بتريدها مرارا و تكرارا على معلمه فتتسخ أكثر، و في الأخير يقوم بقراءة كل اللوحة على معلمه، فتترسم الكلمة في ذهنه، ويسهل عليه حفظها. و قد كان بعض الطلبة يحفظون الجزء من القرآن لأول مرة من كثرة ترديده في حصة الكتابة على المعلم.⁴

¹ من مقابلة مع الشيخ بوزيدي اخليف، مقابلة سابقة.

² المكي القاسمي، ملحق رقم (1).

³ من مقابلة مع الشيخ اخليف بوزيدي، مقابلة سابقة.

⁴ من مقابلة مع الأستاذ محمد يحي حارزلي، أحد طلبة الزاوية.

يكون الحفظ وفق رواية ورش عن نافع، و هي قراءة أهل المدينة. و قد اعتمدها المغاربة تماما مثلما اعتمدوا مذهب إمام المدينة مالك. أما الخط فهو الخط المغربي و الذي عرف بعض التطوير على يد الاندلسيين حتى أصبح على صورته الحالية.¹

10- تقاليد علمية:

تحتفل الزاوية سنويا بالطلبة الذين أتموا حفظ القرآن الكريم. و يتم ذلك في جو من التقاليد العلمية الراسخة، تجعل الجميع يغبطون حافظ القرآن على المكانة التي وصل إليها. و يحضر هذا الحفل كبار الأئمة والعلماء والشعراء والقادة وشيوخ القبائل وأولياء الطلبة. يجلس الحفاظ في مكان خاص، و يلقي شيخ الزاوية أو أحد علمائها كلمة في فضل القرآن الكريم و حفظه و تعليمه و المكانة التي يتبوؤها حافظ القرآن في الدنيا و الآخرة. ويقوم الشيخ بعدها بالسلام على كل حافظ متمنيا له دوام السير في طريق العلم، حاثا له على الحفاظ على هذا الخير الذي اختصه الله به. ويلبس الحفاظ في هذا اليوم لباسا أبيض وعمامة يختلف لونها عن عمائم الطلبة الآخرين، تميزا لهم عن من لم يحفظ القرآن. و ينتهي المجلس بوليمة أعدت للضيوف والفقراء والمساكين. وهو يوم ينتظره الطلبة بفارغ الصبر، و يجتهدون ليفوزوا بلبس العمامة و الجلوس في الصف الأول، صف الحفاظ أمام شيخ الزاوية.²

تقوم الزاوية بتوظيف بعض الطلبة الحفاظ³، الذين يصبحون مدرسين للقرآن، وبذلك تكون الفرصة سانحة أمامهم لإكمال دراستهم الشرعية، والحصول على مصدر رزق محترم.⁴

11- البيئة المدرسية:

يرتبط الطلبة بعلاقة وثيقة و خاصة من الاحترام و التقدير مع معلمهم، و تظل هذه العلاقة قائمة طيلة حياة الشيخ و حتى بعد مماته¹. ورغم قسوة معلمي القرآن و استعمالهم التأديب

¹ سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، مرجع سابق، ص، 445،

² لا تزال هذه العادة إلى اليوم، و قد حضر الباحث حفل تخرج الحفاظ بالزاوية أثناء إعداد هذه الدراسة، و لاحظ أن هذه التقاليد لا زالت قائمة إلى اليوم،

³ انظر : اتفاقية العمل، الملحق رقم(6).

⁴ من مقابلة مع الشيخ عبد القادر منير، أحد طلبة الزاوية، وهو اليوم إمام مسجدتها.

الجسدي إلا أن فرحة الحفظ لكتاب الله تنسي تلاميذهم كل ذلك. و يظل معلم القرآن في نظرهم مصدر كل ذلك الخير الذي اختصوا به من دون كل الناس. و يزور الطلبة الزاوية على الأقل مرة كل سنة، في مواسم الزيارة كالمولد النبوي الشريف و عاشوراء، ويلتقون بمشايخهم و زملائهم، و يهتمون القرآن مرات عدة؛ يتداولون القراءة فيها كل حسب قدرته، في جو علمي مهيب، القصد منه الإعتراف بجميل الزاوية وشيوخها عليهم².

ب- قسم أصول الدين:

و هو القسم المخصص لدراسة علوم الشريعة من فقه وتفسير وأصول، وكذا علوم العربية من نحو وصرف وبلاغة، بالإضافة إلى العلوم العقلية المرتبطة بالعلوم الشرعية كالفلك و الحساب. وقد كان التاريخ و السيرة النبوية من المواد المدروسة في الزاوية³، ولم تكن اللغة الفرنسية من بين مواد الدراسة في كل مراحل التعليم من يوم تأسيسها إلى اليوم.

1- شروط الالتحاق بقسم أصول الدين:

يعتبر حفظ القرآن الكريم شرطاً أساسياً في الالتحاق بالقسم، سواء بالنسبة لطلبة الزاوية من حفظة القرآن أو بالنسبة للطلبة القادمين من زوايا أخرى، و الذين كانوا يخضعون لامتحان الحفظ في أول يوم من التحاقهم بالزاوية. و قد كان الخلق الحسن شرطاً أساسياً في قبول الطلبة أو طردهم منها. ولم تكن هنا رسوم بالمعنى الحقيقي للكلمة، "فإذا أراد الطالب الانتظام في سلك الطلبة فإنه يدفع لهم خمسة وعشرين فرنكاً توضع في كيسهم الخاص بصالحهم العام"⁴.

و إذا نظرنا إلى شروط جمعية العلماء المسلمين للالتحاق بالتعليم المسجدي وجدناها نفسها تقريباً؛ فقد اشترط ابن باديس في كل طالب يلتحق بالجامع الأخضر و فروعه ما يلي:

¹ اعتمد الباحث مؤشراً لقياس هذه العلاقة، و هو تسمية أحد الأولاد على اسم أحد المشايخ، و توصل إلى أن أكبر من 80% من العينة المختارة، لهم أولاد يحملون أسماء شيوخ الزاوية، و ذلك لتبقى أسماء مشايخهم راسخة إلى الأبد.

² من مقابلة مع الشيخ بوزيدي اخليف، مقابلة سابقة.

³ سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 3، ص 220.

⁴ المكي القاسمي، مرجع سابق، ملحق رقم (1).

- أن يكون حافظا للقرآن أو لبعضه كالربع مثلا.

- أن لا يتجاوز عمره خمسا و عشرين سنة إذا كان مبتدئا.

- أن يصحب معه فراشه و غطاءه.

- أن يستظهر بكتاب من كبير بيته أو عشيرته للتعريف به.¹

و قد تساهل الشيخ في شرط السن لاحقا وخفف شرط حفظ القرآن كاملا، تشجيعا للطلبة على العلم و المعرفة.²

و على العموم لم تكن هناك شروط قاسية يمكن أن تقف عائقا أمام التحاق طلبة العلم بالزاوية، بل كانت كل الظروف تشجع الأهالي على إرسال أبنائهم لتعلم العربية و التفقه في الدين. و لذلك تذهب الكثير من الإحصائيات إلى أن عدد الطلبة تجاوز المئات في السنة الدراسية الواحدة³، وأن عدد المتخرجين من الزاوية بلغ الآلاف. ولو كان العدد أقل من ذلك، فهو كثير إذا أخذنا في الحسبان الظروف السياسية و الاقتصادية التي تأسست فيها الزاوية.

2- طرق التدريس:

"إذا أراد الشيخ المدرس قراءة الدرس جلس بجانب أحد أعمدة الجامع و استقبل القبلة، ثم يجلس الطلبة بحسب كترتهم و قلتهم حول الشيخ على شكل حلقة متربعين على الأرض، لكل طالب محل لا يتعداه. يبتدئ الشيخ بالبسملة والحمدلة والصلاة والسلام على رسول الله -ص- ثم يشرع لهم في تقرير الدرس. وإن أخل أحد الطلبة ببعض الآداب زجره الشيخ بطريقة التعريض لا التصريح والتوبيخ، رحمة به و شفقة عليه. و متى فرغ الأستاذ من قراءة دروسه ختمها بقراءة الفاتحة و الدعاء لتلامذته بالفتح و التنوير."⁴

¹ عبد القادر فضيل و محمد الصالح رمضان، مرجع سابق، ص 256.

² عبد القادر فضيل و محمد الصالح رمضان، المرجع نفسه، ص 256.

³ المكّي القاسمي، مرجع سابق، ملحق رقم (1).

⁴ المرجع نفسه.

هذه هي الطريقة المعتمدة في إلقاء الدروس في الزاوية، ويقراً الأستاذ المتن بنفسه سواء من الكتاب أو من ذاكرته، وقد يستعين ببعض الطلبة النجباء لقراءة المتن ويقوم هو بالشرح¹. وفي زوايا أخرى يستعين المعلمون بمساعد يسمى "العدوال"، وهو المسمع الذي يرفع صوته بالجملة عندما ينطق بها الشيخ المعلم أو مساعده،² وذلك لإسماعها للطلبة نظراً لانعدام وسائل تضخيم الصوت كالمكبرات الصوتية اليوم.

3- مستويات الطلبة في قسم أصول الدين:

ينقسم الطلبة في قسم أصول الدين إلى ثلاثة أقسام هي:

- **الحجارون** (إحجارن): وهم الطلبة الجدد الذين هم في مرحلة الحفظ، سواء للقرآن الكريم أو المتون العلمية، وهم يجلسون عادة في الصف الثالث أمام الشيخ أو معلم القرآن.
- **السباقون**: والسباق هو الطالب الذي أذن له في استعمال الشرح، و أمضى مدة من الزمن في طلب العلم تؤهله لتدريس الكتاب موضوع الدرس لمجموعة من المبتدئين، ودرسه هذا يسبق درس الشيخ. و يجلس السباقون في الصف الثاني أمام الشيخ.
- **النظارون**: ويأتون في الصف الأول. والنظار هو طالب في طريق التخرج؛ ختم القرآن الكريم عدة مرات، وطال تمرسه بالدرس الذي يلقيه الأستاذ، وكان من قبل سباقاً أظهر مهارات أهلته لأن يرتقي إلى مصاف النظر. ومهمته أن يعمق شرح المتن لأصحاب الشروح و السباقين. و النظر يمكنه أن يخلف الشيخ في حال غيابه عن مجلس الدرس.³
- و لذلك قد يكون الطالب -مثلاً - حجاراً في الفقه و سباقاً في اللغة و نظاراً في الحديث⁴.

¹ من مقابلة مع شيخ الزاوية الحالي، مقابلة سابقة.

² سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 3، ص 204.

³ يذكر أبو القاسم سعد الله تقسيماً آخر للطلبة وهو كالتالي: المبتدئون المحجرون عليهم، المعيدون المسائيون، المعيدون الصباحيون، المحضرون أو المسبقون. انظر: سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 3، ص 204، و هو التقسيم نفسه الذي يذكره المكّي القاسمي في رسالته حول التعليم في الزاوية، انظر الملحق رقم (1)، و السفارة الملحق رقم (10).

⁴ من مقابلة مع أبي الأنوار دحية، أمين مكتبة الزاوية.

4- المحاور الكبرى للتعليم في الزاوية :

نستطيع من خلال استقراء الوثائق المتعلقة بالتعليم في الزاوية و المقابلات التي تمت مع طلبتها أن نتبين المحاور الكبرى للعملية التعليمية في الزاوية. ويقصد بها هنا المعارف و المواد التي رأى شيوخ الزاوية ضرورة إدراجها ضمن البرنامج التعليمي. و هذه المحاور هي :

-دراسة القرآن والحديث باعتبارهما الأساسين اللذين تقوم عليهما أحكام الشريعة الاسلامية.

-العقائد و العلوم الشرعية (فقه -فرائض-أصول الفقه- توحيد)

-دراسة اللغة العربية و فنونها من نحو و صرف و بلاغة و أدب،و صناعة الإنشاء و التدريب على الخطابة.

-دراسة المواد المساعدة على رياضة العقل وتنمية القدرة على الاستدلال مثل المنطق و الحساب و الفلك .

-دراسة التصوف الاسلامي وممارسته وتربية الطالب على الأخلاق الكريمة،عن طريق تصفية النفس من الأخلاق الذميمة و تحليتها بالأخلاق الحميدة ،و تدريب الطالب على مداومة الذكر و الصلاة و المجاهدة.

ضف إلى ذلك التاريخ الاسلامي و السيرة النبوية الشريفة.

وتشترك جمعية العلماء المسلمين و الزاوية في المحاور نفسها تقريبا¹. و قد عرفت الجمعية تطورات عدة مست التعليم فيها متأثرة بالمدرسة الفرنسية الحديثة،و منها تعليم اللغة الفرنسية² ، و إدخال العلوم الحديثة كالرياضيات و الهندسة، في حين لم تعرف زاوية الهامل ذلك إلا عندما افتتحت المعهد القاسمي الذي تطورت مواد وطرق التدريس فيه تطورا كبيرا ،وطبقت فيه أصول المدرسة الحديثة، سواء على مستوى الهياكل أو على مستوى التأطير³. و الملاحظ أن كلا التعليمين

¹ عبد القادر فضيل و محمد الصالح رمضان، مرجع سابق، ص241.

² المرجع نفسه، ص268.

³ محمد نسيب ، مرجع سابق ص65.

في الجمعية أو الزاوية قد صبغ بالصبغة الدينية أي أنه تعليم ديني في جوهره وإن عرف بعض التطويرات.

5-مراحل التعليم في قسم أصول الدين:

يقسم التعليم في زاوية الهامل إلى مراحل متعددة هي: المرحلة التحضيرية و المرحلة الابتدائية و المرحلة المتوسطة و المرحلة الثانوية و المرحلة الجامعية او العالية. و تتميز كل مرحلة عن الأخرى بالكتب التي يدرسها الطالب وليس بعدد السنوات، كما هو الحال بالنسبة للنظام التعليمي اليوم. و مدة الدراسة قد تمتد من 6 إلى 10 سنوات.¹

أما الطلاب في النظام الذي اتبعه ابن باديس فيوزعون على طبقات أربع حسب مستوياتهم ودرجات التحصيل التي بلغوها. و يخصص لكل طبقة منهاج خاص بها.. و قد حدد ابن باديس مدة الدراسة في التعليم المسجدي بأربع سنوات.²

1.5-المرحلة الأولى: الابتدائية:

و هي المرحلة التي تلي المرحلة التحضيرية .و يمكن اعتبار هذه الأخيرة جزءا منها. حيث ينتقل الطفل إلى الابتدائي بعد أن يكون قد أتم حفظ القرآن الكريم مرتين، و أصبح قادرا على القراءة و الكتابة. وتعتبر المرحلة الابتدائية مرحلة الحفظ لأكبر عدد ممكن من المتون دون البحث عن معانيها. و هذا ما كان معتمدا في الكثير من الحواضر الاسلامية³. ولعل قدرة الطفل على الحفظ هو ما جعل المربين يركزون على ذلك. وقد كانت هذه الطريقة محل انتقاد ابن خلدون في مقدمته⁴.

¹ المكي القاسمي، مرجع سابق، الملحق رقم (1).

² عبد القادر فضيل و محمد الصالح رمضان، مرجع سابق، ص 241-257.

³ مجموعة من المؤلفين، الأزهر تاريخه و تطوره، من منشورات وزارة الأوقاف و شؤون الأزهر، القاهرة، 1964، ص 110.

⁴ عبد الرحمان ابن خلدون، المقدمة، مرجع سابق، ص 470.

1.1.5- أهداف التربية في المرحلة الابتدائية:

تهدف العملية التربوية في المرحلة الابتدائية إلى ما يلي:

أ. تعلم القراءة و الكتابة.

ب. حفظ القرآن الكريم حفظا جيدا وفق رواية ورش عن نافع، و إتقان قراءته .و الكتاب المقرر هو تحفة الأطفال للجزولي.

ت. حفظ الحديث النبوي والمقرر هو كتاب الأربعين النووية وشرحها للإمام النووي.

ث. تعلم مبادئ العربية في النحو و الصرف و البلاغة. والكتب المقررة في ذلك هي: متن الأجرومية. و المراح لأحمد بن علي بن مسعود. و الجوهر المكنون للأخضري.

ج. تعلم الضروري من أمور الدين وهو فقه العبادات على مذهب الإمام مالك.و هي الصلاة و الزكاة و الحج و الصوم . و الكتاب المقرر هو متن ابن عاشر .

ح. إتقان مبادئ الحساب. بحيث يكون الطالب قادرا على إجراء العمليات الحسابية البسيطة . و التي تؤهله فيما بعد لحل مسائل المواريث .و المقرر هو التحفة السنية للسبط.و منظومة في الحساب لعبد الرحمان الأخضري.

خ. تمرين عقل الطالب على التفكير المنطقي، عن طريق تعلم مبادئ المنطق،دون التعمق في دراسة المذاهب العقلية و آراء الفلاسفة. ويدرس المنطق من السلم المرونق أو ايساغوجي.

د. دراسة العقائد الإسلامية مقرونة بأدلتها العقلية و النقلية وفق عقيدة الاشعري. دون التطرق إلى المسائل الخلافية و الردود على الفرق الإسلامية المختلفة. و ذلك من كتب عديدة منها أم البراهين للسنوسي.

ذ. حفظ أكبر قدر ممكن من المتون العلمية في شتى الفنون من فقه و لغة و منطق و حساب و عقائد.

ر. التصوف: و المقرر هو حفظ المنظومة الرحمانية ل "باش تارزي القسنطيني".¹

2.5- المرحلة الثانية: المتوسطة:

و هي مرحلة الشرح و التحليل. و مواد الدراسة فيها هي:

أ- علوم القرآن: متن الشاطبية. مورد الظمان للشربيني، الشهير بالخرار بشرح ابن عاشر.

ب. الفقه: كتاب المرشد المعين على الضروري من علوم الدين، المعروف بمقتن ابن عاشر و شرحه ميارة الفاسي.

ج. اللغة: متن الأجرومية. و شرح المكودي له.

د. الصرف: مرجح الأرواح لحسام الدين.

هـ. التوحيد: أم البراهين للإمام السنوسي مع شرحه لها.

د. التصوف: و يدرس من كتاب متن الرحمانية ل "باش تارزي" القسنطيني، تلميذ الشيخ محمد بن عبد الرحمان الازهري، مؤسس الطريقة الرحمانية في الجزائر.

و يتولى التدريس في هذه المرحلة السباقون و النظرون.

1.2.5- أهداف التربية في المرحلة المتوسطة: (مرحلة الشرح و التحليل):

أ. دراسة تفسير القرآن الكريم . وذلك بالتركيز على الشروح المبسطة لمعاني الآيات. اعتمادا على شرح الكلمات. مع تبيان أوجه البلاغة و البيان. و أسباب النزول.

ب. التعمق في دراسة الحديث النبوي و السيرة النبوية حفظا و قراءة و تفسيراً.

ت. التوسع في دراسة قواعد النحو. و ذلك بدراسة متون اللغة التي حفظها الطالب في المرحلة الابتدائية مقرونة بشروحاتها. وفق الكتب المعتمدة في الزاوية.

¹ اعتمد الباحث أساسا في تحديد الكتب المقررة في كل مراحل التعليم على رسالتي بنعزوز القاسمي، الملحق رقم (4)، و المكّي بن عزوز القاسمي، الملحق رقم (1).

ث. دراسة فقه العبادات مقرونا بالشرح المبسط. وذلك من كتاب يجمع بين المتن و الشرح. مع التطرق إلى فقه المعاملات.

ج. تعلم العقيدة الاشعرية بشكل موسع ،يسمح بالتطرق إلى بعض المسائل الخلافية المناسبة للمستوى العمري للطالب.

ح. تدريس الطالب بعض المسائل العقلية التي تعينه على إعمال العقل. و تعريفه ببعض الفرق الإسلامية . دون التعمق في مسائل الخلاف.

خ. الاهتمام بالتربية الروحية عند الطالب. و ذلك بدراسة متون التصوف و شروحها خاصة ما تعلق منها بالطريقة الرحمانية.

3.5-المرحلة الثالثة : الثانوية:

و في هذه المرحلة يدرس الطلبة المواد التالية:

-الفقه و أصوله: رسالة ابن أبي زيد القيرواني و شرح أبي الحسن عليه.

-اللغة و علومها: ملحة الإعراب مع شرح الإمام بحرق. قطر الندى لابن هشام.

-التوحيد: جوهرة التوحيد للإمام اللقاني مع شرح ابنه عبد السلام لها.

-المنطق: السلم المرونق للأخضري. مختصر السنوسي.

1.3.5-أهداف التربية في المرحلة الثانوية:(مرحلة التعمق):

يصل الطالب إلى المرحلة الثانوية بعد أن يكون قد حفظ الكثير من متون اللغة فضلا عن القرآن الكريم. ويكون الشيخ قد كلفه بمجموعة من الحجارين الذين هم في مرحلة الحفظ والاستظهار. فيقوم بمتابعتهم و الاشراف عليهم . و قد يكون قادرا على شرح بعض ما يصعب عليهم سواء في القرآن أو متون العلوم المختلفة. وهو يجلس في حلقة أحد النظارين ليأخذ الشرح الذي يؤهله للمرحلة القادمة. و هي مرحلة أخذ الشرح على الشيخ مباشرة و الجلوس في الصف الأول.و أما أهداف هذه المرحلة فهي:

أ. دراسة الفقه بتعمق و توسع يشمل كافة أبوابه. مع الحفظ و الشرح و التعليق. من رسالة أبي زيد القيرواني. و يتولى الشيخ تدريسها. و يساعده بعض النظارين في قراءة المتن.

ب. دراسة العقائد الإسلامية مقرونة بالأدلة العقلية و النقلية. مع التطرق إلى الفرق الكلامية و المذاهب الفلسفية و أدلتها و الردود عليها.

ت. إتقان قواعد النحو. و التدرب على الإعراب للألفاظ و الجمل. و معرفة مذاهب النحويين و مدارسهم واختلافاتهم.

ث. التمكن من قواعد الصرف و البلاغة و البيان. و حفظ المعلقات و دواوين الشعر. مع تعلم بحوره و أوزانه .

ج. دراسة قواعد المنطق. و آراء المناطق. بشكل يؤهل الطالب من معرفة آراء علماء الكلام و فهمها و التمييز بينها. و ذلك من السلم المرونق للأخضري أو المختصر للسنوسي.

ح. دراسة الحديث النبوي دراسة رواية و دراية. من صحيح البخاري و مسلم. و ذلك بشرح متن الحديث و التطرق إلى معانيه . و كذا الاحكام الفقهية المستنبطة منه و اقوال الفقهاء. و أوجه الإعراب و البلاغة. ثم التطرق إلى رواة الحديث و أقوال المحدثين فيهم . و كذا السند و مدى اتصاله. و من الكتب المعتمدة في هذه المرحلة فتح الباري للعسقلاني.

خ. تفسير القرآن الكريم. و التعمق في فهم آياته. و عدم الاكتفاء بتفسير واحد. و دراسة علوم القرآن في بداية كل حصة دراسية. و قد كان الشيخ المؤسس يتولى هذا الدرس بنفسه.

د. دراسة التصوف الاسلامي بشكل يجمع بين النظري و التطبيقي. و ذلك بشرح المنظومات الصوفية و تكليف الطلبة بحفظ الاوراد و ترديدها و المداومة عليها. وهو الجانب العملي من التربية.

4.5-المرحلة الرابعة: التعليم العالي:

و تعتبر مرحلة التحصيل الحقيقي و التي تتوج سنوات من الحفظ و الشرح و التحليل. و فيها يصبح الطالب قادرا على الاطلاع على الكتب العلمية و شروحاتها و استخراج الاحكام

منها و إلقاء الدروس سواء للحجارين أو السباقين أو الدروس العامة التي تلقى في المساجد. وتتوج هذه المرحلة بالإجازة و هي الشهادة العلمية التي يصبح الطالب بموجبها في عداد العلماء. ويكون ذلك في حفل خاص يوليه مشايخ الزاوية اهتماما خاصا، ايدانا بميلاد عالم جديد يتولى مهمة التعليم في الزاوية أو الزوايا الأخرى.

و في هذا المستوى يتفرغ الطلبة لدراسة المواد التالية:

-الفقه: مختصر خليل في فروع المالكية مع حاشية الدسوقي على الشرح الكبير للإمام الدردير.

-اللغة: ألفية ابن مالك مع حاشية الصبان على الأشموني و شرح المكودي.

-المنطق : جمل الجونجي. التهذيب للسعد التفتازاني. الشمسية بشرح قطب الدين الرازي.

-العقيدة و أصول الفقه: كتاب ابن الحاجب الأصلي، بشرح التتائي. الورقات للإمام الجويني بشروحها. فرائض التلمساني. مفتاح الوصول إلى بناء الفروع على الأصول.¹

تدرس كل هذه المواد على مدار السنة .و يخصص فصل الشتاء لدراسة مختصر خليل في الفقه .و ذلك لاعتبارات تتعلق بطول ساعات الليل، وإمكانية حضور العامة الذين تقل أعمالهم الفلاحية بخلاف الفصول الأخرى.

1.4.5-أهداف التربية في المرحلة الجامعية:

تعتبر المرحلة الجامعية مرحلة الإتقان . وفيها يستكمل الطالب دراسة العلوم التي تؤهله للعالمية. و هي أعلى شهادة يتحصل عليها الطلبة في المعاهد و الجامعات الاسلامية كالزيتونة و الأزهر و القرويين.و لذلك يتولى التدريس بها مشايخ الزاوية و علماءها و الأساتذة الزائرون. و يخضع الطلبة فيها للاختبارات الصعبة التي تبرز مدى قدرتهم و استيعابهم لشتى العلوم. أما أهداف هذه المرحلة فهي:

أ. إتقان الطالب للقرآن الكريم وتفسيره .مع التمكن من علوم القرآن. كمعرفة الناسخ و المنسوخ. و أسباب النزول. و أوجه القراءات.

¹ محمد فؤاد القاسمي، التربية و التعليم في الزاوية قبل الاستقلال، مرجع سابق، ص4.

ب. حفظ أكبر عدد ممكن من الأحاديث النبوية. مع القدرة على شرحها و استنباط الأحكام منها. مع معرفة علوم الحديث. و الاطلاع على دواوينه.

ت. معرفة اللغة العربية معرفة جيدة. قراءة و كتابة و تكلمها. و التمرس على قواعد النحو و البلاغة و الصرف. و التدرب على فنون الشعر و النثر و الخطابة.

ث. استكمال دراسة الفقه المالكي. و الاطلاع الواسع على كتبه المعتمدة. وتمييز الأقوال الراجحة فيه. و تحصيل القدرة على الإفتاء وفقه .

ج. دراسة العقائد الاسلامية مقرونة بأدلتها العقلية و النقلية ،ومعرفة آراء الفلاسفة و المتكلمين و الإطلاع على أدلتهم، و كذلك الفلسفات و العقائد الإلحادية، ومناهج القرآن في إبطالها و الرد عليها.

ح. الإرتقاء في دراسة التصوف والتخصص فيه، وذلك بالإطلاع على كتب المتصوفة كالأشارات و الفتوح المكية وغيرها، مع المواظبة على البرنامج العملي المتمثل في الذكر و الخلوة و التأمل.

خ. تدريب الطالب على كيفية إلقاء الدروس و مواجهة العامة؛ و ذلك بتكليفه بالتدريس في المساجد المجاورة أو مساعدة شيخه في شرح الدروس للطلبة، تأهيلا له لتبوؤ منصب التربية و التعليم أو الفتوى و القضاء لاحقا¹.

جدول رقم (2) يوضح المستويات التعليمية و المواد المدرسة في كل مستوى

المواد	المرحلة الابتدائية	المرحلة المتوسطة	المرحلة الثانوية	المرحلة الجامعية
القرآن الكريم و علومه	حفظ القرآن كاملا متن الشاطبية. تحفة الأطفال للجنزوري. متن الجزرية.	متن الشاطبية مورد الظمان بشرح ابن عاشر.	الجلالين للسيوطي البيضاوي للبيضاوي	تفسير الخازن الاتقان للسيوطي النسفي لأبي البركات

¹ محمد بن الحاج محمد، مرجع سابق، ص70.

الفقه و أصوله	متن ابن عاشر ابن الحاجب	-متن ابن عاشر -ميارة الصغرى -ابن الحاجب بشرح التتائي	-رسالة ابن أبي زيد القيرواني مع شرح أبي الحسن -بداية المجتهد و نهاية المقتصد	-مختصر خليل ابن إسحاق. بشرح الدردير و حاشية الدسوقي.
الحديث	حفظ الأربعين النووية متن البيهقونية	موطأ مالك بشرح الزرقاني الشمال للترمذي تقريب النواوي	صحيح البخاري بشرح القسطلاني صحيح مسلم بشرح النووي.	الموطأ البخاري مسلم الفية العراقي
اللغة	حفظ متن الاجرومية -مرج الارواح	متن الأجرومية بشرح المكودي. لامية الافعال لابن مالك	-ملحة الإعراب للحري -قطر الندى لابن هشام -ألفية ابن مالك	-ألفية ابن مالك بشرح الاشموني و المكودي و حاشية الصبان
المنطق	السلم المرونق للأخضري.	السلم المرونق ايساغوجي للأبهري	-جمل الجونجي	التهذيب للسعد التفتازاني بشرح الحبيصي
التوحيد	أم البراهين للسنوسي	أم البراهين مع شرح السنوسي	-جوهرة التوحيد لللقاني	الورقات للجويني بشروحها
التصوف	متن الرحمانية لباش تارزي	شرح متن الرحمانية	الابريز+بستان العارفين	تاج العروس +تحفة الإخوان

إعداد شخصي، اعتماداً على: محمد فؤاد القاسمي، التعليم في زاوية الهامل قبل الاستقلال، مرجع سابق، ص2.

سادساً-النشاطات اللاصفية في الزاوية:

تعرف النشاطات اللاصفية بأنها " جميع ألوان الأنشطة الفنية والإجتماعية والعلمية والرياضية التي تمارس بطريقة حرة ومنظمة للترويح أو لاكتساب مهارات خارج نطاق الدراسة الأكاديمية ،وهي تلك الأنشطة التي تعمل على تنمية شخصيات التلاميذ ومساعدتهم على التكيف

الناجح للمواقف المختلفة التي تواجههم في الحياة¹. و بمفهوم أعم "هي مجموعة من الممارسات العملية التي يمارسها المتعلمون خارج الفصل الدراسي، والتي ترمي إلى تحقيق بعض الأهداف التربوية وتعزيز الخبرات التي يحصل عليها المتعلم داخل الفصل الدراسي هذه الخبرات تتناول الجوانب التعليمية، العلمية، الفنية، البدنية بأنواعها...الخ.

و يعتبر النشاط الرياضي من أهم النشاطات اللاصفية التي كان الطلبة يقومون بها بإشراف من معلميه و مشايخهم . وعادة ما تبرمج هذه النشاطات في فصل الربيع. و هي عبارة عن مباريات في كرة المضرب شبيهة بلعبة الكريكت. و تستعمل فيها العصي المقوسة، و تصنع الكرة من صوف الابل و الشعر، وينقسم اللاعبون إلى فريقين. تجرى المباريات خارج قرية الهامل في المكان المسمى (القرارة) و بإشراف المقدمين.²

إضافة إلى الرياضة فإن الزاوية تشرك الطلبة في زراعة المحاصيل الفصلية في أوقاف الزاوية³ و خاصة على مجرى وادي الهامل، وبذلك يتعلم الطلبة مهنة الفلاحة التي هي مهنة أغلب الجزائريين آنذاك. و يساعد الطلبة في بناء هياكل الزاوية من بيوت الايواء والاستقبال و غيرها. وهو تمرين لهم على المهن اليدوية التي سيستفيدون منها لاحقا.

ومن النشاطات اللاصفية التي يقوم بها الطلبة نسخ الكتب. فيتحسن خطهم و يتعودون على قراءة الخطوط. و هي فرصة للمطالعة . و لذلك توجد الكثير من المخطوطات في الزاوية، نسخها الطلبة بأنفسهم و دونوا أسماءهم عليها.⁴

سابعاً- المعلمون:

تميز التعليم في زاوية الهامل بالطاغم العلمي الذي كان مشرفا على العملية التربوية. وقد عرف العلماء والمشايخ في الزاوية بغزارة العلم وسعة الاطلاع والتبحر في العلوم العقلية والنقلية، و قد تجاوزت شهرتهم حدود الوطن، وتحافت الطلبة للجلوس في حلقاتهم والأخذ عنهم، وبعث

¹ عبد الصبور منصور محمد، "الانشطة اللاصفية وعلاقتها ببعض الاضطرابات النفسية لدى التلاميذ المعاقين عقليا بمدارس الدمج"، من منشورات الملتقى الثامن للجمعية الخليجية للإعاقة، 2008، ص 62.

² محمد فؤاد القاسمي، التعليم في الزاوية قبل الاستقلال، مرجع سابق، ص 6.

³ السفارة، الملحق رقم (10).

⁴ من مقابلة مع أبي الأنوار دحية، أمين مكتبة الزاوية.

علماء تونس و المغرب لطلب الإجازة منهم. ومن أشهرهم الشيخ المؤسس محمد ابن أبي القاسم الهاملي، و محمد ابن عبد الرحمان الديسي، و عاشور الخنقي. و"قد وردت إليهم الطلبات للحصول على الإجازة من طلبة تونس و المغرب و الجزائر و تلمسان و قسنطينة، و كذا من علماء الوقت، منهم عبد الحليم بن سماية، و عبد الحي الكتاني، و القاضي شعيب بن علي، و المكي بن عزوز"¹.

و عرفت الزاوية من بين غيرها من المؤسسات التعليمية آنذاك بالعلماء الزائرين . و هم الذين يقدون عليها لمدة قصيرة، يلقون دروسا بها كعادة علماء المغرب الاسلامي في رحلاتهم العلمية، أو يخدمون كتابا أو كتباً لمجموعة معينة من الطلبة، و هم طلبة الدراسات العليا. و من هؤلاء العلماء : محدث المغرب الشيخ عبد الحي الكتاني، و أحمد المأمون البلغيثي، و عبد الكريم بن التارزي، و الحجوي الفاسي.²

و نستطيع تقسيم الأساتذة إلى ثلاثة أقسام:

- أساتذة دائمين: وهم يقيمون بالزاوية ومنهم : محمد بن عبد الرحمن الديسي، عاشور الخنقي، محمد بن عزوز البرجي.

- أساتذة فصليين: منهم محمد المكي بن عزوز. الطاهر العبيدي. العابد الجلاي.

- أساتذة زائرين: و منهم عبد الحي الكتاني. الشيخ أحمد الأمين بن عزوز.³

ثامنا- المكتبة:

مما تميزت به زوايا العلم- و منها زاوية الهامل -الإهتمام الشديد بجمع الكتب و نسخها و المحافظة عليها. و رغم قلة الوسائل المساعدة على ذلك من طباعة و نسخ و تصوير، إلا أن هذه المكتبات ضمت ذخائر علمية امتازت بها عن كثير من مكتبات الجزائر أو العالم الاسلامي، و منها مجموعة المصاحف المكتوبة بماء الذهب، و نسخة نادرة من حاشية الطيبي على الكشاف فقد

¹ سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 3، مرجع سابق، ص 221.

² عبد المنعم، مرجع سابق، ص 201.

³ المرجع نفسه، ص 200.

جزؤها الرابع و هو موجود بزواية الهامل. كما تحتوي المكتبة على رسائل لابن قنفذ القسنطيني في الفلك كتبها بخط يده.¹

و قد بذل شيوخ الزاوية الكثير من أجل شراء الكتب، سواء من مكتبات الزوايا أو المكتبات العائلية الخاصة. وأحيانا كانوا يرسلون بالطلبة لنسخ الكتب حين لا تتوفر إلا نسخة واحدة أينما كان مالكمها. و تعتبر المكتبة من الوسائل التربوية المساعدة على التحصيل العلمي؛ فهي توفر للأساتذة المراجع اللازمة للتدريس، و تمكنهم من التحضير الجيد للدروس بالاطلاع على الكتب و الآراء المتعددة في الباب الواحد، و هي المكان الذي يلتقي فيه المشايخ و العلماء للمناظرات العلمية و الحوارات الأدبية، بالإضافة إلى أنها حافظت على مؤلفات شيوخ الزاوية من الضياع، و قامت بنسخها و إعدادها للطلبة.²

والمكتبة بالإضافة إلى كل ذلك مجال رحب لطلبة الدراسات العليا ممن يكلفون بالتدريس؛ فلا يجدون صعوبة في تحضير دروسهم و الالتقاء بأساتذتهم ومساءلتهم قبل الالتقاء بطلبتهم. و الفائدة الأخرى التي يجنيها الطلبة من المكتبة هي إسهامهم الشخصي في نسخ الكتب، خاصة من عرف منهم بالخط الحسن. وهو ما يفسر كثرة النسخ من الكتاب الواحد خاصة كتب الحديث. و قد كانت المكتبة قبلة الباحثين عن المخطوطات النادرة من داخل الوطن وخارجه. و الإطلاع على محتوياتها يبين أهميتها و تميزها و الجهد الذي بذله القائمون عليها في سبيل صيانتها، رغم عدم توفر الوسائل الحديثة التي تقي المخطوطات العوامل الطبيعية المضرة به. وهو جهد لم يحافظ على الكتب بقدر ما حافظ على تراث أمة من الاندثار.

و قد أشاد الكثير من الباحثين بالمكتبة القاسمية و محتوياتها و من أبرزهم : الأستاذ أحمد توفيق المدني. ولم تكن المكتبة مفتوحة لكل الطلبة، بل كانت لطلبة القسم العالي و الأساتذة. و يمنع إعارة الكتب أو إخراجها من المكتبة إلا للضرورة.³

¹ من مقابلة مع أبي الانوار دحية، أمين مكتبة الزاوية.

² المقابلة نفسها.

³ من مقابلة مع شيخ الزاوية الحالي، مقابلة سابقة.

تاسعا- الشهادات:(الإجازات):

تنوج المسيرة الدراسية في الزاوية بالحصول على الإجازة ،وهي شهادة تبين المستوى الذي وصل إليه الطالب و العلوم التي درسها و برع فيها.و يعطي الإجازة عادة المشايخ و العلماء،وهي إجازات عامة في كل العلوم أو إجازة خاصة في علم معين .و يمكن تقسيم الإجازات الممنوحة إلى:

1.إجازة انتقال:

أي الانتقال من مستوى الحجار إلى السباق أو النظر،ويتم ذلك دون الحاجة إلى كتابة الشهادة.فيسمح المعلم لتلميذه بالانتقال من مستوى إلى آخر حين يرى فيه من عوامل النبوغ والحفظ و الإتقان ما يؤهله لذلك.

2.إجازة خاصة في علم من العلوم أو كتاب من الكتب:

وهي الشهادة التي يمنحها شيوخ الزاوية و علماؤها للطلبة الذي أتموا دراسة كتاب معين ،أو أنهم المقرر بكل كتبه في علم من العلوم. و تمنح لهم هذه الشهادة اعترافا بقدراتهم العلمية ،و إيدانا لهم بتدريس ذلك العلم أو ذلك الكتاب.و هي تتضمن الكتاب الذي درسه الطالب و سند الشيخ، أي الشيوخ الذين درس عليهم ،مع التذكير بفضل العلم و الحث على نشره و التحذير من كتمانها. و قد يمنح الشيخ أحد طلبته إجازة عامة في كل كتبه و مروياته.¹

3.العالمية :

وهي الشهادة الرسمية التي يصبح الطالب بموجبها من زمرة العلماء. و لا تمنح إلا بعد إكمال المسار الدراسي من التحضيري إلى الجامعي. و يقام لها حفل خاص في المسجد العتيق؛ و هو المسجد الذي بدأ فيه الشيخ المؤسس أول نشاطه العلمي قبل الانتقال إلى الزاوية الحالية، و يحضره شيخ الزاوية و علماؤها و مشايخها ،و تقرأ فيه الفاتحة عند الابتداء و الاختتام، و يلقي أحد العلماء كلمة في فضل العلم و تعلمه و تعليمه، حاثا الطلبة على الاقتداء بزملائهم ممن اعتلوا منصة التتويج. و يقدم الطلبة المتخرجون لإلقاء درس في العلوم التي اتقنوها، و يحضر العامة

¹ أنس القاسمي ، إجازات الشيخ بنعزوز القاسمي، دار الخليل القاسمي، الجزائر،2005، ص 63.

و شيوخ القبائل من كل مكان، في مهرجان علمي أشبه ما يكون بحفلات التخرج في الجامعات المعاصرة.¹

عاشرًا- مخرجات العملية التعليمية في زاوية الهامل:

و نقصد بها عدد الطلبة المتخرجين من الزاوية و نوعية الشهادات المتحصل عليها و المناصب التي أهلتهم دراستهم في الزاوية للوصول إليها .

1- تعداد الطلبة في الزاوية :

أما فيما يخص الطلبة الذين درسوا في الزاوية في فترة واحدة فقد تضاربت الآراء حوله. و سبب ذلك هو عدم وجود سجلات بالزاوية تحوي أسماء الطلبة في كل مرحلة من مراحل الدراسة كما هو معمول به في المؤسسات الحديثة. و لذلك يذهب البعض إلى أن العدد تجاوز الألف طالب في السنة، و هو -حسبه -رقم لا تستطيع الزاوية أن تستوعبه و لا تستطيع المنطقة أن توفره، و اعتبر ألف طالب هو عدد المتخرجين من الزاوية خلال قرن من مسيرتها². في حين يرى غيره أن ذلك مبالغة في تقزيم عدد الطلبة الذين أحصاهم بعض من زار الزاوية بالملفات. و قد ذهب بعض المؤرخين إلى أن عدم استقرار الطلبة طيلة السنة جعل الأرقام تتضارب حول تعدادهم. فهم يتواجدون بكثافة في فصل الشتاء و يقلون في فصل الربيع و الصيف، و ذلك لانصرافهم إلى مساعدة أهاليهم في أعمال الزراعة. و قد دمج بعضهم بين طلبة أصول الدين و طلبة القرآن الكريم، و الذين كانوا يمثلون الأغلبية. و على العموم فقد تراوح عدد الطلبة في الزاوية في الفترة الواحدة، ما بين المائة و الأربعمئة³. و قد يقل العدد و يزيد، تبعا للظروف السياسية و الاقتصادية التي عرفت الجزائر، و منها الحريان العالميتان. و ظهور المدارس العربية الفرنسية.

¹ خطبة إنهاء الدروس العربية، الملحق رقم (5)، و خطبة التخرج ، الملحق رقم(3).

² سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج3، ص221.

³ المكّي القاسمي، مرجع سابق، الملحق رقم(1).

جدول رقم (3) يوضح عدد الطلبة ما بين 1848 و 1962 (فترة الدراسة)

الفترة الزمنية	عدد الطلبة
1863-1848م	200-80 طالب
1927-1863	450-200 طالب
1945-1927	600-300 طالب
1955-1945	250-200 طالب
1962-1955	100-50 طالب

المصدر : محمد فؤاد القاسمي، التعليم في الزاوية قبل الاستقلال ، مرجع سابق، ص8.

2- نوعية المتخرجين : يمكن تقسيم الطلبة المتخرجين من الزاوية إلى :

أ-حفظ القرآن الكريم:

و يمثل هؤلاء أغلبية المتخرجين من الزاوية.و قد كان القرآن و المحافظة عليه هدفا أساسيا من أهداف الزاوية منذ تأسيسها .و القرآن أولا وأخيرا دستور المسلمين الذي يستمدون منه أحكام شريعتهم و ينظمون به علاقاتهم الاجتماعية الخاصة و العامة.و قد اعتنى المسلمون به حفظا و قراءة وضبطا و رسما و شرحا و تفسيراً، و أولوا كل ذلك العناية الفائقة.و حين انعدمت كل وسائل المقاومة الثقافية للمستعمر كان القرآن الكريم ملاذ المسلمين يقرؤونه للتبرك أو التعبد،و لولاه لما بقي للعربية مكان في الجزائر.

ب-الأئمة:

و هم الذين حصلوا على تعليم ديني أهلهم لتبوؤ منصب الإمامة في الصلوات الخمس و الجمعة و العيدين.و هؤلاء هم حفظ القرآن الكريم الذين لم يكتفوا بحفظه فقط كمعلمي الكتاتيب القرآنية، بل أكملوا تعليمهم الديني و درسوا بعضا من علوم التفسير

و الفقه و اللغة، وأصبحوا قادرين على الإفتاء في أمور العبادات و المعاملات. وقد عرف منهم الكثيرون من أمثال: الربيع بن عطية حرزلي، عبد القادر المسعدي، محمد بن الزروق البوسعادي. و قد رأينا كيف علمت السلطات الإستعمارية على صرف الطلبة عن الزوايا بإنشاء المدارس الشرعية الثلاث، وذلك لتخريج أئمة ينفذون قرارات الإدارة الإستعمارية، ويكونون عوناً لها على تنفيذ مشاريعها الرامية لمسح الشخصية الجزائرية.

ج- المفتون أو العلماء:

يعتبر منصب الفتوى من أخطر المناصب التي يمكن أن يتبوأها العلماء، و لذلك شاع في التاريخ الاسلامي عزوف العلماء عن قبولها سواء تحت الترغيب أو التهيب. وقد كانت حاجة المجتمع الجزائري ماسة إلى أهل الفتوى ممن يوثق في علمهم ودينهم، خاصة بعد الهجمة التي تعرضت لها المؤسسات التربوية و الدينية مما أدى إلى تفرق العلماء و الأئمة في البلاد، و منهم من غادر الجزائر. و هو ما ولد فراغاً رهيباً في الجانب العلمي. فكان علماء الزوايا مقصد الجزائريين للسؤال عن أمور دينهم، خاصة و أنهم حافظوا على المذهب الفقهي للمغاربة و هو مذهب الإمام مالك. و قد تخرج من الزاوية علماء كثيرون، درسوا بها و أخذوا العلم عن مشايخها، وأجيزوا في علوم كثيرة وقصدهم العلماء و الطلبة من كل مكان، و يمثل التراث العلمي الذي خلفوه أصدق دليل على المستوى العلمي الذي بلغوه¹.

و من هؤلاء: محمد بن عبد الرحمان الديسي، عاشور الحنقي، محمد المكي بنعزوز البرجي، أحمد الامين بنعزوز البرجي، الحاج بن السنوسي بن عبد الرحمان الديسي، محمد بنعزوز القاسمي، محمد العربي بن أبي داود، أبو القاسم الحفناوي، حمدان الونيسي القسنطيني، عبد الكريم بن التارزي، عبد الحليم بن سماية، و حميدة بن الطيب الجزائري، و غيرهم كثير.

و يمكن تقسيم طلبة الزاوية إلى عدة أصناف حسب طبيعة دراستهم. فهناك من بدأ حياته العلمية في الزاوية و استمر بها إلى غاية تخرجه، و من أبرزهم بنعزوز القاسمي، وهناك من درس في مؤسسات تعليمية أخرى ثم انتقل إلى زاوية الهامل لمواصلة دراسته نظراً للمستوى

¹ محمد فؤاد القاسمي، التعليم في الزاوية قبل الاستقلال، مرجع سابق، ص 8.

العلمي الذي اشتهرت به آنذاك، فكان الالتحاق بها مبتغى كل طالب علم يريد الارتقاء بمستواه العلمي. أما النوع الآخر من الطلبة من خريجي الزاوية فهم المجازون؛ أي الذين قصدوا الزاوية فقط لنيل الإجازة في العلوم الشرعية أو في الطريقة الرحمانية. و لعل الدافع وراء ذلك هو الشهرة التي كان الأساتذة المدرسون بزاوية الهامل يتمتعون بها خصوصا في حياة الشيخ المؤسس و محمد بن عبد الرحمان الديسي، و من أشهرهم عبد الحليم بن سماية مفتي الجزائر و محمد السنوسي التونسي.¹

أحد عشر-القانون الداخلي للزاوية (السفارة):

ككل مؤسسة تعليمية تضم عددا كبيرا من الطلبة، فإن زاوية الهامل تملك نظاما داخليا صارما يخضع له الطلبة و المقدمون، وتترتب على مخالفته مجموعة من الغرامات المالية التي تصرف في صالح الطلبة. وقد تأثر الشيخ المؤسس بالنظام الداخلي لزاوية ابن أبي داوود بجزائر القبائل، و استوحى منه هذه القوانين.

1-أقسام السفارة:

تنقسم السفارة إلى قسمين أساسيين:²

-القسم الأول: الديباجة: وتشتمل على وصية الشيخ لأبنائه والطلبة والأعراس والقبائل لتعمير المسجد والحفاظ على هذه العوائد، ويشتر المحافظ عليها بالفلاح في الدنيا و الآخرة و يحذر المخالف بدعوة السوء من الشيخ و المشايخ قبله.

-القسم الثاني: الغرامات المترتبة على مخالفة القانون الداخلي:

وتنقسم بدورها إلى قسمين: مخالفات الطلبة و مخالفات المقدمين.

أ- مخالفات الطلبة:

وتشمل : ترك صلاة الصف، الصلاة بالتييم دون عذر شرعي، التأخر عن صلاة الجماعة، التكلم بالجمع دون إذن، الضحك في الجمع، الضحك في الصلاة، التأخر عن

¹ عيسى بالقي، مرجع سابق، ص 129.

² السفارة ، الملحق رقم(10).

قراءة الحزب، التأخر عن قراءة الذكر، الجلوس في موضع الغير في الدرس أو الجمع، عدم استعمال الحياء و الأدب مع المعلمين، التعدي على حاجة الغير بدون إذن ربها، دخول مطعم الزاوية (النوالة)، كسر حاجة من حوائج الزاوية (الأحباس)، الخروج من الزاوية بعد صلاة المغرب وحده دون إذن، عدم الالتحاق بالغداء و العشاء بعد أن ينادي القداش (العامل) ثلاث مرات، الغياب للحاجة دون إذن، تغيير الأرض بالبول أو الغائط، البدء بأكل الطعام قبل إذن القداش، فتح باب المراح (الساحة) بعد المغرب و قبل طلوع الشمس، التخلف عن خدمة الريع و الصيف، البصاق في المسجد أو بقرب الطلبة، تقرب النعال من الحصير، حلق الرأس في نواحي المسجد.

ب- مخالفات المقدمين و القداشين: وتشمل: الغفلة، الأكل قبل الطلبة، الأكل خارج النوالة (مطعم الزاوية)، غياب المقدم دون استخلاف أحد مكانه، رد الغرامة و عدم قبولها، قبض الغرامة خارج مجلس اجتماع الطلبة.

و يستثنى من ذلك طلبة النظام الخارجي أي سكان قرية الهامل الذين يدرسون بالزاوية و عند انتهاء الدروس ينصرفون إلى بيوتهم.

2- العقوبات المترتبة على مخالفة القانون الداخلي:

تتراوح العقوبات المترتبة على مخالفة القانون الداخلي ما بين الغرامة المالية وهي : الثمن و الريع و الدور و الخمسة دور¹، و العقوبات التأديبية و هي: الحرمان أو الحذف من الغداء أو العشاء، في حق المتأخر من الطلبة، و النفي من الزاوية، و هو في حق المقدم الذي رد الغرامة و لم يقبلها (المحاباة).

والسفارة صورة واضحة عن مدى الصرامة و الانضباط للذين ميزا النظام التعليمي في الزاوية؛ هدفها تدريب الطالب على السلوك السوي ممثلا في احترام الآخرين و عدم المساس بملكيتهم، و الحفاظ على النظام داخل الصف الدراسي، و التقيد بمواقيت الصلاة و الذكر و الأكل. وفي الوقت نفسه تعلمه الحفاظ على المنشآت داخل الزاوية وعدم

¹ عملات قديمة كانت تستعمل في المعاملات اليومية .

تكسيرها أو المساس بها، و فوق ذلك المحافظة على نفسه بعدم الخروج ليلا أو الانتقال من قرية إلى أخرى منفردا.

ورغم صرامة العقوبات في القانون الداخلي إلا أنها لم تشمل على الحرمان من حضور الدروس، أو الطرد من الزاوية. وفي هذا إشارة إلى أن الهدف هو مصلحة الطالب ودفعه إلى التحصيل الدراسي، رغم مخالفته للوائح الزاوية و تعليماتها، ولم تشمل السفارة على عقوبات جسدية؛ مما يبين أن العقاب الجسدي لم يكن من فلسفة التعليم في الزاوية .

و الملاحظ أن للزاوية **مجلسا للطلبة**، يجتمع للنظر في قضايا الذين خالفوا النظام الداخلي و الغرامات التي ترتبت عليهم، ويحضره الشيوخ وممثلوا الطلبة والمقدمون، وتدفع الغرامات أمام أعضاء المجلس للمقدمين، و يسجلون ذلك في سجلات خاصة بكل مقدم. وهو ما يعرف اليوم بمجالس الطلبة في النظام التعليمي الحديث أو **بمجلس العرفاء** في مدارس جمعية العلماء المسلمين. "فقد قسم ابن باديس طلبته إلى مجموعات حسب المناطق التي جاءوا منها، واختار طالبا من كل مجموعة جعله عريفا على طلبة منطقته، يضبط أمورهم و يتابع نشاطهم و يراقب سلوكهم، و يكون وسيطا بينهم و بين الشيخ.. و يكون العريف من أقدم الطلبة أو من أكبرهم سنا، و قد يكون أستاذا مساعدا في الوقت ذاته.¹

¹ عبد القادر فضيل و محمد الصالح رمضان، مرجع سابق، ص 257.

خلاصة:

تأسست زاوية الهامل في ظروف سياسية و اقتصادية و اجتماعية صعبة. و كان تأسيسها استجابة لمطالب المجتمع الجزائري آنذاك ، و المتمثلة في الحاجة إلى الحفاظ على مقومات الشخصية الوطنية ممثلة في الإسلام و العربية و الإلتواء للوطن.

و قد عملت الزاوية على توفير نوع من التعليم الديني ، هو أشبه ما يكون بالتعليم الديني في كل مناطق الجزائر و خاصة في منطقة القبائل، هدفه استيعاب الأعداد الكبيرة من الأطفال الجزائريين الذين وقف الاستعمار الفرنسي عائقا بينهم و بين التعليم، و تبنت المرجعية الدينية المغاربية ممثلة في مذهب مالك و عقيدة الأشعري و تصوف الجنيد.

و قد أشرف على العملية التربوية مجموعة من المشايخ على رأسهم الشيخ المؤسس، و كذا مجموعة من الأساتذة الدائمين والزائرين. و شملت البرامج التعليمية علوم القرآن و الفقه و علوم العربية والحساب، إضافة إلى التاريخ و السيرة و التصوف الاسلامي.

و قد رتبت الكتب المقررة من الأسهل إلى الأصعب، و لم تكن المرحلة الدراسية محددة بالمدة الزمنية ولكن بالفترة التي يقضيها الطالب لكي يستوعب فيها كتابا من الكتب المقررة حفظا و شرحا وإتقاناً، و يأخذ الإجازة فيه.

و لم تعرف الزاوية تغييرا يذكر في مناهجها و طرق تدريسها و وسائلها البيداغوجية حتى تأسس المعهد القاسمي (التابع للزاوية)، أين تطورت مناهجها و طبقت فيه النظريات الحديثة في التربية ، و اعتبرت شهادته شهادة رسمية معترفا بها. و بقيت الزاوية تؤدي دورها بالتوازي وفق المنهج الذي رسمه الشيخ المؤسس.

و فرت الزاوية للطلبة كل الظروف المساعدة على التحصيل .ومن ذلك المنشآت البيداغوجية كقاعات التدريس و الحفظ، و المكتبة، والمسجد ،وكذا مرافق الإستقبال كبيوت الطلبة و المطعم و الحمام.و لم تكن هناك شروط تذكر لاللتحاق بها. و قد كان الطلبة يشتركون في أعمال الزاوية من تنظيف و ترتيب و تحضير للوجبات الغذائية. و هو نوع من التدريب اليدوي على الكثير من المهن. و يشتركون كذلك في غرس المحاصيل الموسمية في

أوقاف الزاوية ،والتي ينفق مردودها على الطلبة و الزائرين، وفي المشاريع الخيرية التي تشرف عليها الزاوية كمؤسسة اجتماعية.

يعتبر حفظة القرآن الكريم من أهم مخرجات العملية التعليمية في الزاوية ،إضافة إلى الأئمة و المفتين. و قد أوجدت الزاوية نوعا من الحراك العلمي، ملأ الفراغ الثقافي الرهيب الذي كانت تعاني منه المنطقة.

يحصل الطلبة في نهاية الدراسة على الإجازة الكبرى (العالمية) .و التي تؤهل المتخرج ليتبوأ منصب الفتوى و الإمامة و التربية و التعليم. كما يمكن لطلبة العلم الحصول على إجازة في كتاب بعينه أو علم بذاته

نتائج الدراسة:

أولاً: الظروف السوسيو تاريخية للنظام التعليمي في زاوية الهامل:

- زاوية الهامل مؤسسة اجتماعية تربوية، أسست من طرف الشيخ محمد بن أبي القاسم الهاملي، في ظروف اجتماعية و سياسية و ثقافية قاسية، نتيجة التدمير الممنهج الذي مارسه المستعمر لكل نواحي الحياة في المجتمع الجزائري.

- جاء تأسيس الزاوية في منطقة الهامل، وهي منطقة صحراوية تنعدم فيها مظاهر العلم و المعرفة ، استجابة للحاجة الاجتماعية إلى مؤسسة تربوية تملأ الفراغ العلمي و الثقافي الذي أحدثه الاستعمار الفرنسي.

- لعبت الزاوية أدوارا مهمة في الحياة الاجتماعية، سواء في المنطقة أو على المستوى الوطني . و كانت مأوى للكثيرين من المرضى و العجزة و عابري السبيل، بالإضافة إلى كونها مؤسسة تربوية وفرت التعليم للمئات من أبناء الوطن، و هم أهم مدخلات التعليم بها.

- اعتبر تأسيس الزاوية نوعا من المقاومة الثقافية . والتي تهدف إلى الحفاظ على مقومات الشخصية الوطنية و في مقدمتها الإسلام و اللغة العربية. و ذلك بعد تيقن مؤسسها من عدم جدوى المقاومة المسلحة.

- يعتبر الوقف أهم مصادر التمويل للزاوية. واكتسبت الزاوية بسببه ثروة معتبرة، تمثلت في الأراضي الزراعية و العقارات، و استطاعت بذلك أن تساهم في المشاريع الخيرية محليا ووطنيا. وأن تحافظ على استقلالية قرارها.

- مثلت الزاوية مرحلة التحول الصوفي من مرحلة النظرية إلى مرحلة المأسسة (المؤسسة).

ثانيا: النظام المدرسي:

- أقامت الزاوية نوعا من التعليم الديني استقاه الشيخ المؤسس من رحلته إلى بلاد القبائل وبالضبط إلى زاوية السعيد ابن أبي داوود، و هو امتداد للتعليم الذي كان سائدا منذ عهد طويل في المساجد و الزوايا بالجزائر.

- أشرف على التعليم في الزاوية ،بالإضافة إلى الشيخ المؤسس، مجموعة من العلماء ؛ ساهموا في الحفاظ على المستوى العلمي الذي اشتهرت به الزاوية، وهم الأساتذة الدائمون.
- عرفت الزاوية بالأساتذة الزائرين من داخل الوطن و خارجه ،والذين كانوا يقصدون الزاوية لطلب الإجازة من شيوخها و ختم كتاب من كتب العلم.
- ينقسم التعليم في الزاوية إلى قسمين هما : قسم تحفيظ القرآن. و يهتم بتحفيظ الطالب القرآن الكريم و مبادئ العربية . و هو المرحلة التحضيرية .و قسم أصول الدين. و هو القسم الذي يتدرج الطالب فيه من المرحلة الابتدائية إلى المرحلة الجامعية.
- لا توجد شروط معينة للإلتحاق بالزاوية، و لا يدفع الطالب سوى رسوم رمزية، توضع في صندوق الطلبة الخاص بمصالحهم، وقد ألغيت في فترات لاحقة من تاريخ الزاوية.
- أهم محاور التعليم في الزاوية هي القرآن الكريم و علومه، و الفقه و أصوله، و اللغة العربية، بالإضافة إلى العقيدة و التصوف. ولم تكن اللغة الفرنسية من بين المواد المدرسة.
- لم تشهد الزاوية تطورا يذكر في مناهج التعليم أو أدواته أو طرق التدريس حتى تأسس المعهد القاسمي، الذي تطورت فيه المناهج و الأساليب، و استقدم له علماء من الدول الإسلامية، و أصبحت شهاداته رسمية معترفا بها من طرف الإدارة الجزائرية.و رغم تبعيته للزاوية إلا أنها ظلت -بمعزل عنه- تؤدي دورها وفق المنهج الذي بدأه الشيخ المؤسس.
- اعتمدت الزاوية المرجعية الفكرية لعموم المغاربة و هي الفقه المالكي و العقيدة الأشعرية و التصوف الجنيدي.
- ترتب الكتب المقررة من الأسهل إلى الأصعب. و لا ينتقل الطالب من كتاب إلى آخر إلا بعد أن يحفظه و يتقنه و يجيزه شيخه فيه.
- ترتيب الطلبة في قسم أصول الدين على النحو التالي: الحجارون و السباقون و النظارون. و يكون جلوسهم في الحلقة على الترتيب التالي : النظارون و وراءهم السباقون ووراءهم الحجارون.

- يستفيد الطلبة من عطل تسمى المساحات وهي: يوم الخميس و الجمعة من كل أسبوع، عيد الفطر (03 أيام)، عيد الأضحى (10 أيام)، يوم عاشوراء، يوم المولد النبوي الشريف.

- للزاوية نظام داخلي يسمى "السفارة". و هو عبارة عن مجموعة من العقوبات تشمل الطلبة و المقدمين؛ يدفع الطلبة مبلغا مقابل كل تصرف يمس بمرافق الزاوية أو ممتلكات الطلبة . كما يترتب عن التأخر على الدروس أو حلقات الذكر غرامات مالية، و يغرم كل طالب خالف الآداب الإسلامية العامة كالبدء في القول أو مخالفة قواعد النظافة. و من الغرامات ما يهدف إلى الحفاظ على سلامة الطالب، فيغرم الطالب الذي يخرج من الزاوية بعد صلاة المغرب أو يفتح باب الساحة (المراح) من صلاة المغرب حتى صلاة الصبح، و ليس من بين عقوبات الطلبة الطرد من الدرس أو من الزاوية أو أي عقوبة جسدية.

- للزاوية مجلس للطلبة يتكون من ممثليهم و المشايخ و المقدمين ، و يعهد إليه مناقشة قضايا الطلبة و رفع انشغالاتهم إلى الشيخ ، ويمثل أمامه الطلبة المخالفون للقانون الداخلي، و يدفعون الغرامات المترتبة عليهم و تسجل في سجل خاص وتوضع في صندوق خاص بالمجلس.

ثالثا: المخرجات:

- يمثل حفظة القرآن أغلبية المتخرجين من الزاوية، بالإضافة إلى أئمة المساجد و العلماء و القضاة و ساهمت الزاوية في محو الأمية بالنسبة للذين لا تساعدتهم مهنهم على الالتزام بالنظام التعليمي في الزاوية.

- يتحصل الطلبة أثناء مساهمهم الدراسي على مجموعة من الشهادات الدراسية أو الإجازات و هي ثلاثة أنواع: إجازة انتقال من كتاب إلى آخر، و إجازة في كتاب معين، أو العالمية، و لا يتحصل عليها الطالب حتى يتم مساره الدراسي كاملا.

رابعا: البيئة المدرسية:

- يرتبط الطلبة مع معلميههم بعلاقة خاصة من التقدير و الاحترام، تمتد حتى بعد موت الشيخ. و يمثل المعلم بالنسبة للطلبة مصدر العلم و التربية، و ينظرون إليه بكثير من

التقديس. و يزور الطلبة الزاوية سنويا للقاء مشايخهم أو الترحم عليهم و قراءة القرآن و عقد حلق الذكر.

-للزاوية تقاليد علمية عند تخرج الطلبة سواء حفظة القرآن أو طلبة قسم أصول الدين، تدل على الاحتراف بالعلم و إيلائه العناية الخاصة. و يحضر حفلات التخرج العلماء من خارج المنطقة و شيوخ القبائل و عوام الناس.

خامسا: انفتاح النظام التعليمي على البيئة المحيطة به:

رغم أن البيئة المحيطة بالتعليم في الزاوية لم تكن بالقوة التي تمكنه من التأثير في التعليم بالزاوية، إلا أن هذا التعليم جاء تلبية لحاجة المجتمع الجزائري في الحفاظ على العربية و القرآن الكريم و الشريعة الإسلامية. و من هذا الجانب يعتبر النظام التعليمي في الزاوية نظاما منفتحا على البيئة المحيطة به.

أما بالنظر إلى مناهج الدراسة التي ظلت جامدة دون حراك، سواء على مستوى الكتب أو طرق التدريس، فإن النظام يعتبر مغلقا على نفسه و لم يعرف تطورا إلا بعد تأسيس المعهد القاسمي التابع للزاوية؛ أين طبقت النظريات الحديثة للتربية و حدث تطور على مستوى البرامج و طرق التدريس.

فهرس المصادر والمراجع

الكتب:

-القرآن الكريم

- 1-أحمد أبو زيد، تايلور، مطبعة المعارف ، القاهرة، مصر، 1957.
- 2- أحمد أنور عمر، المعنى الاجتماعي للمكتبة، المكتبة الأكاديمية ، مصر، 2007.
- 3- أحمد طالب الابراهيمي، آثار محمد البشير الابراهيمي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997، ج.2
- 4- أحمد الخطيب، جمعية العلماء المسلمين وأثرها الاصلاحى في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.
- 5- أنس القاسمي ، إجازات الشيخ بنعزوز القاسمي، دار الخليل القاسمي، الجزائر، 2005.
- 6- الأنصاري أبو زكريا، الرسالة القشيرية، مطبعة البابي الحلبي، 1330هـ.
- 7- أحمد زروق الفاسي، قواعد التصوف، مطبعة مصر، 1318هـ.
- 8- أحمد ابن عجيبة الحسني، معراج التشوف الى حقائق التصوف، مطبعة الاعتدال، القاهرة، 1355 هـ.
- 9- أحمد ابن عجيبة، ايقاظ الهمم في شرح الحكم، مطبعة الجمالية، مصر، 1331 هـ.
- 10- أحمد الخشاب ، علم الاجتماع الديني، مكتبة القاهرة الحديثة، مصر، 1964.
- 11- أبو القاسم الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1982.
- 12- ابن مرزوق، المسند الصحيح في تاريخ مولانا أبي الحسن ،تحقيق ماريا بيغيرا، تقديم محمود بو عياد، ش،ج،ن،ت، الجزائر، 1981.
- 13-أبو الأعلى المودودي المصطلحات الأربعة في القرآن الكريم دار القلم الكويت ،1982.

- 14- إحسان محمد الحسن ،علم الاجتماع الديني، ط1، دار وائل للنشر ،عمان، الأردن 2005.
- 15- بسامة خالد المسلم، مقدمة في البحث التربوي، دار الكتاب الجامعي، القاهرة، 1996.
- 16- جلال يحيى، المغرب الكبير، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، 1996.
- 17- جوستاف لوبون، روح الاجتماع، ترجمة احمد فتحي زغلول، المطبعة الرحمانية، القاهرة، مصر، د.ط.
- 18- دبوز محمد علي، نهضة الجزائر الحديثة و ثورتها المباركة، مطبعة التعاون، دمشق ، 1956 .
- 19- دراز محمد، الدين، ط، 1 دار القلم الكويت 1982.
- 20- ولتر ستيس، الدين و العقل الحديث، ترجمة و تعليق و تقديم إمام عبد الفتاح إمام، مكتبة مدبولي ، القاهرة، 1998.
- 21- زهير شفيق الكبي، فقه التصوف لشيخ الإسلام ابن تيمية، ط1، دار الفكر العربي، بيروت، 1993.
- 22- زكريا ابراهيم، مشكلة الفلسفة، دار القلم، القاهرة، مصر، 1962.
- 23- حمدان بن عثمان خوجة، المرأة، تقديم وتعريب وتحقيق محمد العربي الزيري، ش و ن ت، الجزائر، 1975.
- 24- الحاج مزاري، الهامل مركز إشعاع ثقافي و قلعة للجهاد، المطبعة العصرية، بلوزداد، الجزائر، ط.1.
- 25- حاجي خليفة، كشف الظنون، مطبعة المعارف التركية، 1360هـ، ج1.
- 26- حمدي على أحمد، مقدمة في علم اجتماع التربية، دار المعرفة الجامعية، مصر، 1995.
- 27- طلعت إبراهيم لطفي، علم اجتماع التنظيم، دار غريب للطباعة و النشر و التوزيع، القاهرة، 2007.

- 28- الطاهر زرهون، التعليم في الجزائر قبل و بعد الاستقلال، موفم للنشر، الجزائر، 1993.
- 29- مصطفى السباعي، من روائع حضارتنا، المكتب الإسلامي، دمشق، سوريا، 1397هـ.
- 30- يحي بوعزيز، موضوعات و قضايا من تاريخ الجزائر، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2000.
- 31- يحي بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر الحديثة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999.
- 32- يحي بو عزيز، كفاح الجزائر من خلال الوثائق، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 2005.
- 33- مصطفى أحمد الزرقا ، أحكام الوقف، دار عمان، الأردن، 1997.
- 34- محمد الطيب عقاب، قصور مدينة الجزائر في أواخر العهد العثماني، دار الحكمة، الجزائر، 2000.
- 35- ناصر الدين سعيدوني ، دراسات تاريخية في الملكية و الوقف و الجباية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2001.
- 36- محمد بن ميمون الجزائر، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تقديم و تحقيق :محمد بن عبد، الكريم، ش، و، ن، ت، الجزائر، 1972 .
- 37- محمد الطيبي، الجزائر عشية الغزو الاحتلالي، دراسة في الذهنيات والبنيات والمآلات، دار ابن النديم، الجزائر، 2010.
- 38- محمد كنانة ، الوقف العام في التشريع الجزائري، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2006.
- 39- محمد بن الحاج محمد ، الزهر الباسم في ترجمة الشيخ سيدي محمد بن أبي القاسم، المطبعة الرسمية، تونس، 1929.

- 40- محمد فؤاد القاسمي، فهرسة مخطوطات المكتبة القاسمية بالهامل، دار الغرب الاسلامي بيروت، لبنان، 2006.
- 41- محمد فؤاد القاسمي، ورد الطريقة الرحمانية الخلوتية من الكتاب والسنة، دار الخليل القاسمي، الجزائر، 2005.
- 42- محمد فؤاد القاسمي، المقدمة الوثيقة لمعرفة آداب الطريقة، لمؤلف مجهول، دار الخليل القاسمي، الجزائر، 2005.
- 43- محمد يحيى حازرلي، العلامة الشيخ الربيع بن عطية حرزلي، دار الحكمة، الجزائر، 2005.
- 44- محمد نسيب، الزوايا العلمية بالجزائر، دار الفكر، الجزائر، د.ط.
- 45- محمد علي محمد، البيروقراطية الحديثة، دار الكتب الجامعية، مصر، 1978.
- 46- محمد علي محمد، مقدمة في البحث الاجتماعي، دار النهضة العربية، بيروت، 1983.
- 47- محمد الحسن إسماعيل، الإنسان والدين، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر، 2004.
- 48- محمد ناصر، الفكر التربوي، ط2، وكالة المطبوعات، الكويت، 1977، ص 62.
- 49- محمد منير مرسى، أصول التربية الثقافية و الفلسفية، عالم الكتب، القاهرة، 1974.
- 50- معن خليل العمر، التفكك الاجتماعي، ط1 دار الشروق، الأردن، 2005.
- 51- محمد لبيب النجحي، الأسس الاجتماعية للتربية، مكتبة الانجلو-مصرية، القاهرة، 1976.
- 52- مجموعة من المستشرقين، دائرة المعارف الإسلامية، ترجمة إبراهيم زكي، دار الشعب، القاهرة، د.ط، مجلد. 10.
- 53- مجموعة من المؤلفين، الأزهر تاريخه وتطوره، من منشورات وزارة الأوقاف وشؤون الأزهر، القاهرة، 1964.

- 54- ناصر الدين سعيدوني، دراسات و ابحاث في تاريخ الجزائر، الفترة الحديثة و المعاصرة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988.
- 55- ناصر الدين سعيدوني و المهدي البوعبدلي: التاريخ -العهد العثماني- وزارة الثقافة و السياحة و، م، و، ك، الجزائر، 1984 .
- 56- ناصر سعيدوني، دراسات وابحث في تاريخ الجزائر، العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.
- 57- سامية مصطفى الخشاب، علم الاجتماع الإسلامي، دار المعارف ، القاهرة، 1981.
- 58- سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الاسلامي، ط1، بيروت، 1998، (ج1-4).
- 59- سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث، بداية الاحتلال، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982.
- 60- سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث، بداية الاحتلال، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982.
- 61- سعيد حوى، الإسلام، دار الشهاب، الجزائر، 1988.
- 62- سعيد مزبان، النشاط التبشيري للكاردينال لافيغري في الجزائر، دار الشروق للطباعة والنشر ، الجزائر، 2009.
- 63- السيد سابق، فقه السنة، ج3، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1984.
- 64- سمير أحمد نعيم، النظرية في علم الاجتماع، ط2، دار المعارف، القاهرة، 1982 .
- 65- سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين، من منشورات جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، دار المعرفة، الجزائر، 2009.

- 66- عبد الرزاق أمقران، دراسات في علم الاجتماع، دار بقاء الدين للنشر و التوزيع، ط1، الجزائر، 2008.
- 67- عدي الهواري، الاستعمار الفرنسي في الجزائر، سياسة التفكيك الاقتصادي و الاجتماعي، 1830-1960، بيروت، لبنان، د، ط.
- 68- عبد الحميد زوزو، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.
- 69- عثمان الكعاك، موجز التاريخ العام للجزائر، ط1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 2003 .
- 70- عبد الله حماد، سيرة المجتهد خير الدين بربروس، مؤلف مجهول،، دار القصة، الجزائر، 2009.
- 71- عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر، دار الغرب الاسلامي، بيروت ، 1997.
- 72- عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ المدن الثلاث (الجزائر، المدينة، مليانة) ، ط2، وزارة الثقافة، مديرية الأدب والفنون، الجزائر، 2007.
- 73- عبد القادر حليمي، مدينة الجزائر نشأتها وتطورها قبل 1830 ، ط1، المطبعة العربية لدار الفكر الإسلامي، بيروت، 1972.
- 74- عبد الحميد زوزو، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.
- 75- عمار هلال، أبحاث و دراسات في تاريخ الجزائر المعاصرة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995.
- 76- عبد المنعم القاسمي، زاوية الهامل مسيرة قرن من العطاء والجهاد، دار الخليل للنشر والتوزيع، الجزائر، 2010.

- 77- عبد الهادي حميتو، حياة الكتاب و أدبيات المحاضرة، منشورات وزارة الأوقاف المغربية، 2006.
- 78- عبد الباقي مفتاح، أضواء على الطريقة الرحمانية الخلوتية، دار الوليد للنشر، الجزائر، 2004.
- 79- عبد الباسط عبد المعطي، اتجاهات نظرية في علم الاجتماع، من إصدارات المجلس الأعلى للثقافة والفنون والأدب، الكويت، 1981.
- 80- عبد الله سليمان، شرح قانون العقوبات، دار الهدى ، الجزائر، 2010.
- 81- عبد الحي الكتاني، فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المشيخات والمسلسلات، دار الغرب الإسلامي، بيروت ، 1982.
- 82- عامر محفوظي، تحفة السائل بباقة من تاريخ سيدي نائل، مطبعة النعمان، الجزائر، 2002 .
- 83- عبد الرحمن شيبان، آثار الامام عبد الحميد بن باديس، من إصدارات جمعية العلماء المسلمين في إطار الجزائر عاصمة الثقافة العربية ، 2007.
- 84- عبد الحميد مرسي، نشأة الأشعرية و تطورها، ط1، دار الكتاب اللبناني، بيروت ، لبنان، 1975.
- 85- عبد القادر فضيل ومحمد الصالح رمضان، إمام الجزائر: عبد الحميد بن باديس، دار الأمة، الجزائر، 2007.
- 86- عبد الله بن دجين السهلي، الطرق الصوفية، نشأتها و عقائدها وآثارها، دار كنوز إشبيلية للنشر والتوزيع، السعودية، 2005.
- 87- عامر النجار، الطرق الصوفية في مصر، نشأتها و نظمها و تطورها، دار المعارف، مصر، 2007.

- 88- علي رضا الحسيني، شيخ العلماء المجاهدين، محمد بنعزوز، حياته و آثاره، الدار الحسينية للكتاب سوريا، 2001.
- 89- عبد الرحمان ابن خلدون، المقدمة، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت، لبنان، 2001.
- 90- عبد القادر عيسى، حقائق عن التصوف، دار العرفان، حلب ، سوريا، 2001.
- 91- عبد الرزاق حمود، المدخل إلى دراسة الأديان والمذاهب، الدار العربية، بيروت، 1981.
- 92- عبد الرزاق أمقران، في سوسيولوجيا المجتمع ،المكتبة العصرية، ط1، مصر، 2009.
- 93- علي سامي النشار ، نشأة الدين، دار نشر الثقافة، الاسكندرية، مصر، 1949.
- 94- عبد الله الخريجي، علم الاجتماع الديني، شركة رامتان ، جدة، المملكة السعودية ، ط2، 1992.
- 95- عوني معين شاهين، حنان فاضل زايد، الإبداع، دار الشروق، الأردن، 2009.
- 96- صالح عباد، الجزائر خلال الحكم التركي 1514-1830، دار هومة للطباعة و النشر و التوزيع، الجزائر، 2005 .
- 97- صالح عبد العزيز، عبد العزيز عبد المجيد، التربية و طرق التدريس ،دار المعارف، مصر، 1971.
- 98- صلاح مؤيد العقبي، الطرق الصوفية و الزوايا بالجزائر، دار البصائر، الجزائر، 2008.
- 99- رابح تركي، التعليم القومي و الشخصية الجزائرية، 1931-1956، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، 1981.
- 100- رابح تركي، الشيخ عبد الحميد بن باديس، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ط 3 .
- 101- الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، المطبعة الخيرية، 1306هـ.

- 102- رشيد زرواتي ، مناهج و ادوات البحث العلمي في العلوم الاجتماعية، دار الهدى ،عين مليلة الجزائر، ط1، 2007.
- 103- رضا قجة، أداء العامل في التنظيم الصناعي، مجموعة محاضرات في التنظيم و العمل ،جامعة المسيلة، قسم علم الاجتماع، د،ط.
- 104- خديجة بقطاش ، الحركة التبشيرية الفرنسية في الجزائر 1830-1871، دار دحلب ،الجزائر، د،ط.

مراجع بالفرنسية و الإنجليزية:

- 105-Ahmed Nadir ، "**Les ordres religieux et la conquête française** " ، Revue Algérienne، N° 4،Dec، 1972،
- 106-Charles André Julien، **Histoire de l'algerie contemporaine، La conquête et le début de la colonisation، 1827-1871**،Gasbah édition،Alger،2005
- 107-Clancy smith ،julia، **Rebel and saint، Muslim notable، Pupulist protest، colonial encounters، Algeria and tunisia** ،Berkeley University،1994
- 108-Louis Rinn ،**Marabouts et khouans**،alger،A،jordan،1884
- 109-Mahfoud Kaddache، **L 'Algérie des algériens، De la préhistoire à 1954** ،Paris Méditerranée ، france، 2003،
- 110-Maurice Eisenbeth (Grand Rabbin d'Alger)، **Les juifs de l'Afrique du nord** ،Imprimerie du lycée،1 rue Heugène Robe،1،Alger، 1936
- 111-Octave Depont -Xaver Copolani، **Les confréries religieuses musulmanes**، Adolphe Jordan، Alger،1897،

112-Youcef Nacib, **Cultures oasiennes –Bousaada**, ENAL,
Alger, 1986, p238

الرسائل و الأطروحات الجامعية:

- 113- الطاهر سعود: الجذور التاريخية و الايديولوجية للحركة الإسلامية في الجزائر، رسالة مقدمة نيل شهادة دكتوراه العلوم في علم اجتماع التربية ،جامعة قسنطينة، 2009-2010.
- 114- عيسى بالقبي، زاوية الهامل و دورها الثقافي و الإجتماعي، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ من جامعة الجزائر، 2001، 2000.
- 115- وفاء بن عليّة: زاوية الهامل و علاقتها بالمقاومة الشعبية و الثورة الجزائرية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث و المعاصر، المدرسة العليا للأساتذة ،قسم التاريخ، جامعة بوزريعة، 2008-2009.
- 116- كمال خليل، المدارس الشرعية الثلاث في الجزائر : التأسيس و التطور، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ المجتمع المغاربي الحديث و المعاصر، جامعة منتوري، قسنطينة، 2007-2008.
- 117- صبرينة الواعر :محمد بن رحال، دوره السياسي والثقافي 1856-1928 (رسالة ماجستير في التاريخ الحديث و المعاصر، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية ،قسنطينة، الجزائر 2002-2003)،
- 118- بن سالم مصطفى، المسجد القاسمي بالهامل، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في علم الآثار، جامعة الجزائر، 1999-2000.

- 119- أحمد علي عبد المالك، **المنظومة العقارية في الجزائر**، محاضرة من منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر من 21 الى 26 نوفمبر 1999.
- 120- بشير بلمهدي علي، **السياسة العقارية الاستيطانية الفرنسية اتجاه الوقف أو الجبوس في الجزائر**، من أعمال الملتقى الوطني الأول حول العقار في الجزائر إبان الاحتلال الفرنسي، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر، 2007.
- 121- موسى عاشور، **أساليب الاستعمار الفرنسي في الاستيلاء على الاوقاف**، **1830- 1962**، من أعمال الملتقى الوطني الأول حول العقار في الجزائر إبان الاحتلال الفرنسي، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر، 2007.
- 122- الغالي غربي و آخرون، **العدوان الفرنسي على الجزائر، الخلفيات و الأبعاد**، منشورات المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية و ثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2007.
- 123- خديجة بقطاش، **أوقاف مدينة الجزائر بعد الاحتلال الفرنسي 1830**، مجلة الثقافة، الجزائر، 1981 عدد: 66.
- 122- مصطفى احمد حموش، **الوقف و تنمية المدن من التراث إلى التحديث**، ندوة الوقف الإسلامي، من 6 إلى 7 ديسمبر 1997، جامعة الإمارات العربية المتحدة، العين.
- 124- عبد الجليل التميمي، **من أجل كتابة تاريخ الجامع الأعظم بمدينة الجزائر**، المجلة التاريخية المغربية، جويلية 1980، عدد 19.
- 125- عائشة غطاس و آخرون، **الدولة الجزائرية الحديثة و مؤسساتها**، من منشورات المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية و ثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2007.
- 125- عاشور خضراوي، **"إسهامات المرأة الجزائرية في التعليم القرآني"**، الملتقى الدولي الرابع للقرآن الكريم، قسنطينة، 2008.

- 126- ناصر الدين سعيدوني ، الوقف و مكانته في الحياة الاقتصادية و الإجتماعية و الثقافية بالجزائر أواخر العهد العثماني و بداية الإحتلال الفرنسي، مجلة الأصالة، الجزائر، 1981، العدد 89-90.
- 127- صلاح العقاد، المغرب في بداية العصور الحديثة، من منشورات معهد الدراسات العربية ، جامعة الدول العربية، 1962.
- 128- صالح بن قربة و آخرون ،تاريخ الجزائر في العصر الوسيط من خلال المصادر، من منشورات المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية و ثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2007.
- 129- محمد السعيد بن سعد، الكتاتيب و الزوايا و الحلل بالجنوب، الجزائري، من منشورات مخبر البحوث الإجتماعية و التاريخية، جامعة معسكر ، الجزائر، الإصدار الأول ، ماي 2001.
- 130- أحمد مريوش و آخرون ،الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني، من منشورات المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية و ثورة أول نوفمبر، الجزائر، 2007.
- 131- ناصر الدين سعيدوني ، "الوقف و مكانته في الحياة الاقتصادية و الإجتماعية و الثقافية بالجزائر أواخر العهد العثماني و بداية الإحتلال الفرنسي"، مجلة الأصالة، الجزائر، 1981.
- 132- خديجة بقطاش، أوقاف مدينة الجزائر بعد الاحتلال الفرنسي 1830، مجلة الثقافة، الجزائر، 1981 عدد
- 133- خواجه عبد العزيز وداوود عمر، مؤسسة الآباء البيض، الفضاء الديني و الاقتراب المجتمعي، الملتقى الوطني حول المؤسسة الدينية، الأشكال و الوظائف، 23/24/ ماي 2011، جامعة معسكر.

134- عمر العرابوي ، ألقاب أعلام التصوف، مقارنة سوسيو تاريخية، لحضور ألقاب التصوف في المخيال العربي الاسلامي، من منشورات مخبر العلوم الاجتماعية ، جامعة معسكر، الجزائر، 2001، الاصدار الاول.

135- عبد الصبور منصور محمد: الانشطة اللاصفية وعلاقتها ببعض الاضطرابات النفسية لدى التلاميذ المعاقين عقليا بمدارس الدمج، من منشورات الملتقى الثامن للجمعية الخليجية للإعاقة ، 2008.

136- حسن مرزوق، "الإسلام الطريقي و مستويات التأصيل"، دورية عمران، عدد 22، 2012، يصدرها المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، قطر.

137- عمر العرابوي، "واقع الممارسة الصوفية في الجزائر و التحديات المعاصرة، الطريقة الشيعية نموذجا"، من منشورات مخبر البحوث الاجتماعية و التاريخية، معسكر، الجزائر، الإصدار الأول، 2010.

138- مالك مرتاض، "أصالة الشخصية الجزائرية"، مجلة الأصالة، العدد 8، ربيع الثاني - جمادى الأول، 1392 هـ - ماي - جوان ، 1972.

139- محمد فؤاد القاسمي، "التربية و التعليم في الزاوية قبل الاستقلال"، من منشورات الثقافات الآسيوية، جامعة صوفيا طوكيو، اليابان، العدد :30، ماي 2012.

140- بابر جوهانسين، "المؤسسات الدينية في بلاد المغرب"، ترجمة: إبراهيم شرف الدين، مجلة كلية الآداب و العلوم الإنسانية ، الرباط، جامعة محمد الخامس، العدد: 28، 2008.

الوسائط الالكترونية

www.bu.umc.edu.dz/theses/histoire/AKHA2529.pdf

www.darelkhilil.blogspot.com

www.islam.gov.kw

المقابلات:

- 1- مقابلة مع شيخ الزاوية الحالي الحاج المأمون القاسمي، أجريت يوم 20/8/2012 بزاوية الهامل، مدتها ساعة و نصف.
- 2- مقابلة مع الشيخ بوزيدي اخليف، إمام خطيب متقاعد ، من أقدم طلبة الزاوية ، أجريت المقابلة بتاريخ 10/06/2012، بمنزله ببوسعادة، مدتها ساعتان.
- 3- مقابلة مع الشيخ أبي القاسم جوبر، إمام متقاعد ، من معلمي زاوية الهامل، أجريت المقابلة بمنزله بعين الحجل، يوم 15/5/2012، مدتها ساعتان.
- 4- مقابلة مع الشيخ عبد القادر المنير، إمام مسجد الزاوية الحالي، و أحد أقدم طلبة الزاوية ، أجريت المقابلة يوم 20/4/2012 بالزاوية، مدتها ساعة و نصف.
- 5- مقابلة مع الأستاذ محمد حارزلي، إطار متقاعد من وزارة التربية الوطنية، من أقدم طلبة الزاوية، عمل كمترجم في الزاوية ،له الكثير من المؤلفات و المشاركات حول تاريخ المنطقة عموما و الزاوية خصوصا. أجريت المقابلة ببيته بمدينة بوسعادة في جلستين، الأولى بتاريخ 26/06/2012، على الساعة 17 مساء ، و امتدت ساعتين، و الثانية بتاريخ 28/08/2012، و ذلك بمنزله ومدتها أكثر من ساعتين.

الملحقات

الملحق رقم (1): رسالة المكي بن عزوز القاسمي حول التعليم في الزاوية، ص 2.

الغفراني بشرح الحسني المصنف، اقرب المسالك للدرة، مختصر خليل بشرح
 السعدوني وحاتم بن عبد الوهاب، شرح الحزقي والزرقي، والمحطاب والشرطي
 المجموع للشيخ الامير المعاني، التبصرة لابن مرسية (كتب اصول الفقه)
 جمع الحواشي للسلكي، شرح الحلال المحلي، فتاوى الحاج بشر، العقد شار، الاموار للنسفي
 بشرح ابن ملك، التنقيح لصدور الشريعة، تنقيح العصور للفراحي، الورقات لابي الخرفي
 بشرح المحلي، ورافع الورقات للمطاب بنظم استاذنا الشيخ مير محمد عبد الرها،
 الديلمي رحمه الله وشرحه له، التحرير للمالك بن اسماعيل، مصول البدائي للمعز
 السراة (كتب اللغة)، الفاهوس للعيسوي، بشرح السمرقني، الهما
 للجوهري، مختار الصحاح للدرز، المصباح الكبير للبيهقي، مع اللغة للعال
 القاسمي، التفسير للنسفي، النظم للسيوطي، لغات العرب، بحال الدرر للانبار
 (كتب على النحو)، الاجرومية للصفا، شرح الحكر، والشيخ، بحال الدرر
 وحاتم بن عبد الوهاب، شرح الحزقي، شرح الحزقي، شرح الحزقي، شرح الحزقي
 نفسه، شرح الحزقي، شرح الحزقي، شرح الحزقي، شرح الحزقي، شرح الحزقي
 عميل، والاشموني، وحاتم بن عبد الوهاب، شرح الحزقي، شرح الحزقي، شرح الحزقي
 التفسير، شرح الحزقي، شرح الحزقي، شرح الحزقي، شرح الحزقي، شرح الحزقي
 الحاج، شرح الحزقي، شرح الحزقي، شرح الحزقي، شرح الحزقي، شرح الحزقي
 التفسير، شرح الحزقي، شرح الحزقي، شرح الحزقي، شرح الحزقي، شرح الحزقي
 رسالة الجوهري، في الاشتقاق (كتب المعاني والبيان، والبدوي)، الاشتقاق
 للطبيب الغزوي، شرح السعد، المصباح للسكاكي، بشرح السعد، السعد الشريف
 المحرر المكنون، للاخون، بشرح الحزقي، عقود الجاه، للسيوطي، شرح الحزقي، شرح الحزقي
 منظومة ابن السكيت، الرسالة البيانية للصبا، السمرقندي، شرح الحزقي، شرح الحزقي
 والفراحي، الكافي للقناد، الحزقي، منظومة الصبا، (كتب النظم)
 الرسالة العصرية، بشرح السمرقندي، عقود الجاه، للسيوطي، شرح الحزقي، شرح الحزقي
 السلي، للاخون، بشرح المؤلف، والاشموني، والملوك، والبا جوار، اساعوجي، للاخون
 بشرح شيخ الاسلام، التفسير، السعد، التفسير، بشرح الحزقي، شرح الحزقي، شرح الحزقي
 بشرح قطب الدين الرازي، التفسير، السعد، السعد، بشرح الحزقي، شرح الحزقي، شرح الحزقي
 للمعز، الرسالة العصرية، لعقد الدرر، اداب الكندي، بشرح حسي، باشارا، ادا
 واداب السمرقندي، بشرح الغزوي، واداب الجرجاني، (كتب النظم)

الملحق رقم (1): رسالة المكي بن عزوز القاسمي حول التعليم في الزاوية، ص 3.

انذار من بعد حوار الانتقال من الكتب الصغيرة
الى ما هو ارفع منها

(كتب الحساب) التمهيد السبعة المنطوق به الحساب لعدد المرحوم الاخوة الدرة البيضاء
للأخوة الخالصة لبقا، الذين اعالى الله به الحساب لابرارها (كتب الحساب)
العلم السوس في البعد بشرح التورين في رسالة العمل بالدرج وكان به حياة لا فساد
حذر العلامة الشيخ من هذا الفكر عن درج الدرع المحيبي وفلة العمل به لم يتخرج به الطلبة
(كتب الحكمة) مفكرات السجاء على مفكرات السليد

كيفية التدريس

اولا اذ والشيخ المدرس فراه التدريس ليس بالجاهل احد اعدة الجامع واستقبال الطلبة
ثم يحضر الطلبة بحسب كثرتهم وطلعتهم حول الشيخ على شكل حلقة مقربين على
الارض وكل طالب محل لا يتعد الى بيته في الشيخ العظيم باليسلمة واعماله والصلوة
والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يشرح لهم في تقرير الدرس وان اخل
احد الطلبة ببعض الابواب فجزء الشيخ بطريق التعريف لا بطريق التفسير
والترتيب رحة به ولطفه عليهم وفق مخرج الاساذ في ثراوة دروسه ختمها
بفراوة العاقبة والنداء لتمامه بالعلم والتشوير
وبه التالفة يتفعل الى
(تدريس التلميذ في التعليم) كما بن عاصم ما هو اعل الخ
يكوه شروع التلميذ اولا في الدروس الا ابتدأ له كالعشماوية في اللغة في السنة
الاولى وبه التالفة يتفعل منه الى العفماوية ثم الى القالفة في المختصر وفي النحو
الاخر وفيه ثم القفص ومنها الى ما اعل من ذلك كالمقالة والمختصر في اللغة
والاخر في النحو

ويبقى الطلاب هكذا منتقلا سنة باخرى حتى يتم ما يدرسه عادة في الزاوية

(مدة الدراسة)

مدتها بحسب جد التلميذ واجتهاده في الطلب وذلك له وتحصيله وهي
بأقلها ستة سنين واكثرها عشر سنين
ارفاق الدروس وعدها في اليوم
جرت العادة عنده ثم اذ بها وحديثا بان تعطي الدروس هكذا
من قبل الشروق الى طلوع الشمس
بعده
القفص حتى اتم الساعة الحادية عشر

الملحق رقم (1): رسالة المكي بن عزوز القاسمي حول التعليم في الزاوية، ص 4.

في العترة والتميز، وان حكماء ولاء لا يقدم على شيء حتى يعلم حكم الله به
وان يتعلم بالعمل الذي هو رتبة العلم وتكرره وتمايزه بحوله وملائمة عند
الغربة والطلب (الاستراحة السنوية المعبرة عنها بالمساحات)
لذلك اراحت المشغولين بالتعليم والتعليم جبر العمل عندنا بتعطيل الدروس
جدا يوم معلومة لاراحة المشغولين بالتعليم والتعلم لان العمل المستمر
يستفيد استعادة الانتعاش مما تتركها استعادة العمل الكدود والفكر
المتعبون ولذلك تعطيل الدروس في المواسم الميمنة وهي عيد البطر تطل
لاجل الملائة ايام عيد الاضحية عشرة ايام يوم عاشوراء سبعة ايام
عليه وسلم ربيع الحيرة والجمعة من كل الاسبوع
(كعب ينتظم الطالب في صدك الطلبة)
اذا اراد الطالب الانتظام في صدك الطلبة او لاجلانه يدع ليع خمسة وعشرين
يوم انك تقطع في كعبه الخاضع بجاهلهم العام وبعد ذلك تفقد قلة فزادة الفوائد
يندرج في صدك طلبة العلم والاركان بمسألة الفوائد بمسألة متقائم يشتغل بحضور
الدروس (معدود الطلبة)
طلبة الفوائد الا ان يبلغوه ما ينبغي في بعض الزاوية وطلبة الدروس التي
حتى ان المسائل وما قبله مما غالب السنين لا يقلون عن خمسين
ما كثر والنقص في الامور الدينية مما عمت به البلوى

بعض عوائد الطلبة
لما كان الطلبة من نواحي شتاتية ووطنهم متباعدة فكانت عوايدهم غير متفقة
انما تذكر منها طرما بطلبة الدروس في بعض العوام وانما جمع بمسألة الدروس وراجعة
لهم قبل الحضور عند ائمتهم ليكنوا على بينة ودراية مما سيق عليه ومن عادتهم
انهم عند ختم حرم الطلبة الكتاب اراحت ليلة من ليالي الاسبوع
مملئة الحضور بجمعهم في بيت من بيوت سكنهم وبعضهم ياتون بشي كالقهوة او الشاي
الحر او اللحم وينفذ بعضهم لياضهم في بيتهم من الفوائد بالترتيب وفصائلهم المبررة
السنوية بغير كافي في بعض من بيوتهم وبقدر بينهم مجلسات علمية
بغير السوال والجواب ~~فد~~ كثر حجب ومن عادتهم انهم في كل يوم خمس
ينذهبون الى خارج الزاوية للعبادة وغسل ثيابهم ويخرجون طوايف طوايف
وان كان لاجل البيع فيلجئون هناك الكثرة او غيرها

الملحق رقم (3): خطبة التخرج التي ألقاها الحاج بن السنوسي الديسي

الشيخ الحاج بن السنوسي بن عبد الرحمن الديسي

المحرّلة

وطأته على صيدنا محمد وعلى آله وصحبه

٧ صبر ٧٨٠ السواجر ٢١ اوت ٥٨

أدام الله سعاده غير الميعاد والمعالى وواحدة من هذه الغالى العالى مس
 فبفتح يومه قربه منى وشاهد مشاير الحسنى الاستاذ الابى والسيد الشد
 الاكى الشيخ صيد مطيع ابن الشيخ صيد محمد وميرى بن مطيع نكاح العنابه وخطبه هاتيك
 الركابه من الماهل والاولاد والمنعطف والمخير والامجاد وماله من مخرضة الكمال
 المعقول عليه احسن الامثال السيد امير المؤمنين الخليل واخر ما جد الاعراف خلوا لثقل على
 الاغلاى وكيف لا ومضى . . . فوالله المصطفى ومضى . . . فوالله المصطفى
 خاتم الله بصر جلاله السور من حصد منار الجواز والخضر والصلح عنيك ورفقة الله
 تعالى ومركاته كلما ذكر السلام وجرت بكاتبته الافلاح وبعد دفة بلغة خبر انتقامكم
 بالاهل من الوجير وصارى ومعلمتهما لعل اقامتكم فختاروا لاهيبا اختفت ذلك فباعت كثيرا
 وبعدنا بفرقتكم اشر فبسر ولكن سبقت المعادير بالانتقال فما في ذلك من الوارع عتبات وامثال
 وسر سعد طالع نطق الغفيرة ساقى الله اليه الحق فلو انهم لاهل الحكي وارضاء انك الشايعه
 فوالله كل ارض تنزل نور بها
 فوالله ارض الله ارض خلد لا وليك السلف الكرام المشاهير الاعلام تركوا اثارا مسنة
 علموا الجاهل واطمروا الجاهل وكسوا العربى بكم غدت ارواحنا واشباحنا من معارفهم وعلمهم
 واصانهم بعامه اهل الواسطة كسيد نعمهم ارفا فطبع وعودهم بدور شايعة حرفة
 جاسا حفرهم بفول مرمدح بينه جدار او مدهم للصباه والستهم للصباه وابديهم
 للصباه وثنا فيهم وبه سالى مشايرنا محبة بعيدة عن الاعراض نفقة من الاعراض راسخة
 في سويداء القلب وعنت على الجميع غيرك وساريت في كل من يحوى مول اعراضه نطقا وكتابة
 نوا من مرامهم ونفا طبع مرفا طبع راغبه في الاسعار وفاحشنا معهم ما لم يمس
 اشتد ايدى وادتك كذا نتي . . . جانب محبتهم لنا ونجمع علينا ولم يكن بينه وبينهم ادب كاشف
 من تراثهم جرح الله تلك الابدان الطاهرة والارواح الفدسة كما فرجوا من المولى الكريم
 اطلعتهم بركة من محبتهم وما في وراء الاستدانة الا على دليل على البقا الى يوم الله
 كما اصل الله اربابهم الى الابد ويصحبوا اثار كل خير

وصاحبته فيما اختلف به من الكلام والسلام

من كاتبة طالب صالح د عايك ابن السنوسي بن عبد الرحمن الديسي

الملحق رقم (3) خطاب التخرج للحاج السنوسي الديسي

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلّى الله على سيّدنا محمد وآله وصحبه وسلّم تسليمًا.

أيّها السادة، أيّها الطلبة؛ الوافدون على زاويتنا الهامليّة القاسميّة، من أنحاء مختلفة. والواقفون بهاته الأعتاب الشريفة، معاهد العلم والعمل، والآداب والفضل، بقصد تعلّة العلم الشريف، الذي به قوام الدين والدنيا، فنعم القصد، وحبّذا المقصود. وإنّي أهتئكم بمناسبة أوّل جلوس الشيخين، السيّد الخليل بن الشيخ سيّدي مصطفى، والسيّد أحمد بن الشيخ ابن عزّوز، على منصّة التدريس، لإقراء مختصر أبي الضياء سيّدي خليل. جمل الله بوجودهما المملّة، وكثّر في الفئة القاسميّة من أمثالهما. ففي الأذكياء قلّة نائبين في الدرس عن شيخهما المعزوز، السيّد ابن عزّوز، فقد أثمر غرسه، ونتج بذره، فأحسن بالشيخ، وأعزز بالتلميذين. فالحمد لله على ما أنعم به على أبناء الأسرة الشريفة، بحيث لا يخلو زمان من وجود من يقوم بوظيفة التدريس للعلوم، فالعلم عليهم سهل، إلّا من أبي، بسبب الأكلة التي أهديت لجدّهم من الأولياء بجبل ونشريس، كما أشار إليه الشيخ المكيّ بن مصطفى بن عزّوز في قوله:

تلاقى بونشريس كُملٌ أوليا فأهدوا له بالعطف أكلاً حوى سرّاً

وقالوا اعطيه من شئت من نسلكم لكي يفوز بنوه بالصالح الى الأخرى

ضمانَ فحولٍ فاستبدَّ بربحه رُبَيْحُ ابنه فالبسل شمسٌ قفت فجرّاً

والصبغة القاسميّة لا تكون ولا تظهر إلّا على من له آثار مخلّدة في العلم، كما كان عليه سلفهم الصالح، فالعلم شرف الأرواح، والنسب شرف الأشباح. وفرق بين الأرواح الباقية، والأشباح الفانية، وإن كان لشرف النسب مزيّته. وقد كان الشيخ سيّدي محمّد رضي الله عنه، كثيرًا ما ينشد في الدرس منظومة شيخ مشايخ الخلوتيّة، سيّدي مصطفى البكريّ، التي ذكرها في شرح الصلوات المشيشيّة، عند قول الشيخ : اللهم ألحقني بنسبه، وعرفني بحسبه. قصد بإنشاده تحريض الأشراف على العلم، وهي منظومة عجيبة، أوّلها: إذا انتسب الأشراف

نحو جدودهم وقد قنعوا من ذاك بالنسب الأدنى

فخذ نسب التقوى لتقوى بأخذه.....على نيل ما ترجوه في المنزل الأسنى

ولا تغترر بما الحدود أتت به..... ولكن لهم كن تابعًا تدرك المنى

ويقول لهم: الحازم يشرف بالاكْتساب لا بالانتساب، ويسود بنفسه لا بقومه، كهذا الذي قال فيه النابغة:

نفس عصام سوّدت عصامًا * وعلمته الكَرّ والإقداما * وجعلته ملكًا هماما *

وقد كان حاجب النعمان بن المنذر.

وأنتم أيّها الطلبة، يجب عليكم قبل كلّ شيء، تقوى الله تعالى؛ ففيها إعانة عظيمة لنيل العلم الشريف، كما قال تعالى: ((واتّقوا الله، ويعلمكم الله)) وقد قال الإمام الشافعي رضي الله عنه:

شكوت إلى وكيع سوء فهمي..... فأرشدني إلى ترك المعاصي

وأعلمني بأنّ العلم نور..... ونور الله لا يعطى لعاص

ثمّ يجب عليكم الأدب مع العلم ومشايخه، وكتب العلم، فقد قالوا: لا يضرب الكتاب لنفض ما تعلّق به من الغبار، بل يمسح بالخرقة. ثمّ الأدب في حضور الدرس، يكون على طهارة، غير لابس لنعله، كما يفعله المعلّمون العصريّون، يعلمون بنعالهم هم وتلامذتهم. ففي ذلك إهانة للعلم.

ثمّ عليكم بالحرص والاجتهاد، وترك الكسل، فمن جدّ وجد

خليليّ لا تكسل ولا تهمل الدرسا..... ولا تعطّ طوعًا من بطالتها النفسا

ولا تترك التكرار فيما حفظته..... فمن ترك التكرار لا بدّ أن ينسى

وقال الزمخشريّ :

سهري لتحصيل العلوم ألدُّ لي من لثم غانية وطول عناقٍ

وألذُّ من نقر الفتاة لعودها نقري لنفضِ الرمل عن أوراقِي

وتمايلي طرباً بحلٍّ عويصة أشهى لنفسي من مُدامة ساقِي

وقال بعضهم على لسان المدوّنة:

قالت مسائلُ سحنون لقارئها... بالكَدِّ يُدرِكُ مِنَّا كلُّ ما اسْتَتَرَ

لا يُدرِكُ العلمُ بطَّالٌ ولا كَسِلٌ... ولا مُلُولٌ ولا من يَأْلَفُ البَشْرَ

وقالوا: لا يُدرِكُ العلمُ إلّا من عَطَّلَ دِكَانَهُ، وخرَّبَ بستانه، وهجر إخوانه، ومات أقرب أوليائه

فلم يحضر جنازته. وقالوا: لولا أولاد الفقراء لضاع العلم. وعليكم بحفظ ما تكتبون، ولا

تتكلوا على الأوراق، فأفادت ضياعها كثيرة:

فالنار تحرقها والفأر يخرقها... والماء يغرقها واللص يسرقها

وقالوا: تكتبُ العلمَ وتلقي في سَفَطٍ... ثم لا تحفظُ لا تُفلح قَطُّ

إِنَّمَا يُفلح من يحفظه... بعد فهمٍ وتَوَقُّ من غلطَ

وقالوا: العلم ما عبر معك الوادي، وحضر معك في النادي... وقال أحدهم في نصيحة

لولده: بُنِّي اجتهد، واقْرَأ، وزاحم، ونافس، ولا تتجمّع في رحاب المدارس. وهي نصيحة

مفيدة. وعار كبير على إنسان يخرج من أهله، مهاجرًا في طلب العلم، ويعود فارغ الوطاب،

خاوي الجراب، هكذا يكون من يطلب أعزَّ علم، خصوصًا مختصر الشيخ خليل، فإنّه كتاب

معتبر، صعب الاختصار، اختصر فيه جميع الأمّهات، لابن حاجب وغير ذلك... ومسائله

مائتا ألف، مائة ألف في المنطوق، ومثلها في المفهوم، كما قال بعضهم:

يا قارئًا مختصر الخليل..... لقد حوت العلم يا خليلي

حَصَّلَه حفظًا واصرف الهَمَّةَ لَهُ.....فقد حوى مائة ألف مسألة

نصًّا ومثلها من المفهوم.....فإن شَكَّكَتْ أعدُّه في المرسوم

وأبوابه وفصوله خمسة وعشرون ومائة، منها واحد وستون باباً، والباقي فصول. وكتاب الصلاة مرتّب على حديث، بُني الإسلام على خمس وهو أقلّ الكتب أبواباً. فيه ستّة أبواب: باب الطهارة - باب الصلاة - باب الزكاة - باب رمضان - باب الاعتكاف - باب الحجّ. وفصوله: ثلاثة وثلاثون. وكلّ ما فيه فرض عين على كلّ مكلف؛ ذكر وأنثى، حرّ وعبد. فيجب على كلّ واحد معرفة ما فيه من المسائل والمقاصد. وغير كتاب الصلاة، قيل تعلّمه فرض عين، وقيل فرض كفاية. والفقه هو الأساس، وبه يعرف الانسان كيف يعبد ربّه، وهو أوّل ما نهضت إليه الهمم العليّة، وعكفت على تحصيله النفوس الركيّة. قال الشاعر:

تفقه فإنّ الفقه زين لأهله وفخرٌ وعنوانٌ لكلّ المحامدِ

وإنّ فقيهاً واحداً متورّعاً أشدُّ على الشيطان من ألف عابدٍ

وقال ابن الوردي: واحتفل للفقه في الدين ولا * تشتغل عنه بمالٍ وتخولُ

وقيل : ولا يكن همك في الطعام * والشرب تلك شيمة الطّعام

وقيل : يريدون إدراك المعالي رخيصة * ولا بُدَّ دون الشهد من إبرِ النحل

وقال ابن القاسم: أفضى بمالك طلب العلم إلى أن أزال خشب سقف بيته فباعه.

ومن يصطبر للعلم يظفر بنيله ومن يخطب الحسناء يصبر على البذلِ

ومن لم يُذلّ النفس في طلب الغلا يسيراً يعيش دهرًا طويلاً أcha ذلّ

وطلبة الزاوية القاسميّة، بفضل مؤسّسها وكرم مشايخها بعده، هم في غاية الراحة، مع العيش الوافي، والمسكن الضافي، خصوصاً في ولاية الأستاذ الحالي، الشيخ سيّدي مصطفى، فالطلبة في وقته لا تنالهم مشقّة، ولا يُكلّفون بشيء، وحيث كانت هذه حالهم، فمن رجع منهم خائباً، فلا يلومنّ إلّا نفسه، ويلحقه كلّ عار، ويندم حيث لا ينفعه الندم. أسأل الله التوفيق للجميع، بجاه أفضل شفيع.

المصدر: http://darekhalil.blogspot.com/2013/05/blog-post_19.html

الملحق رقم(4):رسالة بنعزوز القاسمي عن التعليم في الزاوية

و بعد فالحمد لله في الآخرة و الأولى.إني غذيت لبان العلم من الأستاذ الكبير العلم الشهير،منة الله على القاسمين الثانية، الشيخ سيدي محمد بن عبد الرحمان قدس الله سره و نور ضريحه،فكان أول ما سمعت منه الآجرومية متنا بعد العشاءين في المسجد القادري من المعهد القاسمي ثم شرحا ثم الأزهرية فالألفية و الجوهرة و من التفسير الجلالين عم و سبح، و من الحديث كتاب الشمائل من الجامع الصغير،و هذه كلها دروس في المسجد القاسمي مع الطلبة. و أخذت مع ذلك في منزله مرة و مكتبه أخرى غير هذا. فقرأت عليه نصيبا من تفسير الطبري و من الجامع الصغير و سيرة ابن هشام.وهي خاتمة ما قرأت عليه ثم لقي ربه.

كما أن آخر ما كتبت عنه من تأليفه "إفحام الطاعن برد المطاعن" و حضرت درسه في المختصر كتاب الصلاة. وأخذت عنه أيضا علم القراءات فسمعت منه سورا فوقانية بالسبع مرة و بقالون و ورش أخرى.إلى غير ذلك مما أخذت عنه مما لم أستحضره. إذ كان من عادته أن يسرد له الطالب من كل كتلب طرفا حتى يمر فب اليوم الواحد على ثلاثين أو أربعين حسب الظروف و يمل القارئ و لا يمل هو لرضي الله عنه.

و في فصل الشتاء كل عام أسمع من الشيخين سيدي بلقاسم و سيدي أحمد فقه مالك بالمختصر فأخذته عنهما أعواما بمشاركة الشيخ الأول لهما طوال حياته حتى حصلته فهما منطوقا و مفهوما ببركاتهم و لم يشذ علي منه كلمة و لله الحمد و الشكر و الله يجازيهم عنا خيرا و رضي عنهم و أرضاهم

و ممن أخذت عمه بالمعهد القاسمي شقيقنا الشيخ سيدي محمد المكي العلامة الشهير و هو ولي نعمتي في كل ما علمت

المصدر:عبد المنعم القاسمي،مرجع سابق،ص394.

الملحق رقم(5): خطاب إنهاء دروس اللغة لأحمد بن أبي داود بن الشيخ محمد بن عبد الرحمن الديسي (ت 1968).

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المنعم بالفتح والتنوير والامداد، جاعل نجابة الأبناء من أجل نعمته على العباد، والصلاة والسلام على سيدنا محمد نبي الرحمة، القائل: طلب العلم فريضة على كل مسلم، [رواه ابن ماجة] وعلى آله الأتقياء وصحبه الأولياء، خير من لعلوم الدين قرّر ووعى، وعلى انتهاج نهج الهداية حتّى وإلى العلم أرشد ودعا. صلاة وسلاما نستوهب بهما إحسانه، ونسأله سبحانه عزّ وجلّ بفضلهما لطفه ورضوانه، ما دأب طالب علم على التحصيل، وارتقى فارس ميدانه إلى أوج مراتب العزّ والتفضيل. سادتي الطلبة؛ إنّ أجمل التهاني وأسناها، وأحلى الأماني وأحسنها وأبهاها، ما كان عن حيازة قصب السبق في تحصيل العلوم، والظفر بالوصول إلى الغاية المرضية من تحقيقها منطوقها والمفهوم. ومّن فاز في ذلك عن الأقران، وكان غرة في جبين الزمان، وأدرك بمهّته القعساء مع حداثة سنّه، فائق كلّ علم ورائق فنّه، ممّا أخذه عن أستاذه المحققين الأخوين العزيزين الشيخ سيدي محمد بنعزوز والشيخ سيدي عبد الحفيظ القاسميّين، القائمين بالتدريس بالمسجد المعمور، وإنارة المعهد الأكبر المشهور، واجتناه من ثمار رياضهما، وتحلى به من درر تقاريرهما إلى أن ارتوى من حياضهما، بإخلاص طويّة، وأدب وصدق نيّة، مشمرا عن ساق الاجتهاد في اغتنام ذلك المراد، بذهن وقاد وطبع سليم منقاد وفكر فذّ نقاد وإسعاف وإسعاد، ألا وهو الشاب المثقّف شريف الأعراق، حلو الشمائل والأخلاق، الذكيّ النجيب البارع الأديب، سيدي الحاج إبراهيم الخليل، شبل الأستاذ العارف القدوة الخليل، الشيخ سيدي مصطفى القاسميّ، شيخ الزاوية العامرة وصاحب الشيم العليّة والهمم الزكية الزاهرة. نعم؛ لسموّ إدراكه وتفوّقه وتعلّقه بالعلم وتعطّشه له وبديع تخلّقه، أحرز من الوالد الأستاذ على الإذن له في إقراء التلاميذ متن ملحّة الإعراب بقصد تنشيطه وتدريبه، وإجادة تربيته وتهذيبه، وللتفاؤل بذلك النظم الحريريّ، مفتاح النحو وملخّ الآداب، نزهة الأفكار ولبّ اللّباب. ولا غرابة إذ حذا النجل حذو الوالد والجد، ففي المثل لا سؤال على ما جاء على الأصل وسلك بفطنته سبيل الحرص والجد. فتلقّى الإذن منه في جمع كريم بامثال واحتشام وإجلال وأدب، وجلس على

مقعد التدريس وانتصب لتعليم من في علم النحو رغب. بإلقاء لمعان زاخرة تسنمت سنام البراعة، وحلّ لأبيات النظم بأسلوب عجيب وبيان اقتعد فيه غارب الفصاحة والبلاغة، ممّا يُججّل به الدرّ في الأسلاك، بل الدراري في الأفلاك. فكان درسه الأنور لطلاقة التبيان والرصانة، ورشاقة التعبير وعجيب الصناعة والمتانة، روضة تنوّعت أزهارها، وتدققت أنهارها من ابتدائه تقرير قول الناظم رحمه الله تعالى: أقول من بعد افتتاح القول. إلى قوله: وقد تقضت ملحّة الإعراب. وبذلك كان انتهاء الدروس البهيّة، وإتمام تلك التحقيقات الشافية السنيّة. وحيث إنّ هذا الختم والحفل به ممّا شرح الصدور ببشره، وعطر الأندية القاسميّة بعبير نشره، حُقّق للحاضر والغائب من أبناء الشيخ الروحانيّين وغيرهم من الإخوان، وسائر المنتسبين والخلائ، تلقّيه بالابتهاج والارتياح، والتظاهر بكامل السرور والانشراح، لذلك وجب عليّ أن أقدم باسمي أصالة، ثمّ باسم طلبة الدرس وتلاميذ القرآن وكلّ محبّ محتسب ومنتسب من أبناء الزاوية قلبا وصلبا، أحسن التهاني القلبية العذبة المكرّرة إلى معالي الأستاذ المحبوب الشيخ سيدي مصطفى، ولجميع السادة أبناء الدوحة القاسميّة، سائلا لهم من الله تعالى أن يحفظ جميعهم، وللشيخ أن يصون طلعه المحروسة، ويبقي لنا بمجته المأنوسة، وللنجل الكريم أن يديمه الله قمرا طالعا في سماء السعادة، ساميا مراتب المفاخر وكاسبا أريج المتاجر والسيادة، تتجمل به الأيام ويفتخر به كلّ منتم للمقام، وأن يكون في النحو سيبويه زمانه والخليل، وفي الفقه إماما محققا حالّا لمشكلات مختصر أبي الضياء خليل، وأن يقيه والمكرّ الأديب السيّد الكامل ابن الشيخ وغيره من الأنجال شرّ الحاسدين، وأن يجعلهم من خيار الأبناء المهتدين الهادين، وأن يفتح على السادات الطلاب ويوفّقهم للتخلّي بما يزين من الآداب، فالأدب مقدّم على العلم وقد قالوا: إنّ الأدب مع الجهل خير من سوء الأدب مع العلم، وليس الأدب معرفة الأخبار وحفظ الأمثال والأشعار، بل هو حسن الخلق مع الخلق ولطف المعاشرة مع النوع الإنسانيّ. وفقنا الله جميعا لطاعته وسلوك بنا مهيع هدايته، ومنّ علينا بالاتباع ووقى سائرنا من مضارّ الانتقاد والابتداع، وملاّ قلوبنا من محبة الأستاذ وجعله لنا في الدارين أقوى ركن وأمنع جناب وأعزّ ملاذ، وجعل هذا الختم مباركا على الأسرة القاسميّة النبيلة الفخيمة، عائدا عليها وعلينا باليمن والخيرات الجزيلة العميمة، آمين.

المصدر: http://darelkhalil.blogspot.com/2013/05/blog-post_19.html

الملحق رقم (6): اتفاقية العمل بين مصطفى القاسمي و محمد بن عمر الشريف معلم القرآن.

الحمد لله الفتح العلي جاعل ادب الطاب ثرة التعليم والصلاة والسلام على سيدنا محمد صفة الملك الخلاق المبعوث لتتبع كل الاخلاق وعلى آله وصحبه طيبه النبي والاعزى ما فلي كتب ونحيت انصفت بقدر اجرا لاساتذ الشيخ مير مصطفى بن الشيخ مير محمد شيخ الزاوية القاسمية اداع الله عمراتها وواله على العباد والوصي بقومها واحسانها اوى الطالب السرمح عمر الشريف الواضع خط يحد اسبلة علم تعليم العزراى بكتيب الزاوية وعسى له اجرة الصا ومجسماته مكرات كل سنة مع الله بزاوية ما اخله الطلبة في خصوص نفسه وشروط الشيخ عليه شروطا بلزمة الوفاء بها والقيام بجميعها بعضها يتعلق به وتخصه وبعضها يتعلق بطلبة الغدوان والعلم بزمانه في تبيين ما او قد قبل منه جميع الشروط التي ستذكر واضعا عليها خط يحدده وهي

الاول وهو الالهم والا وكذا يفب معهم بحضور جميعهم للصلوات الخمس خصوصا في صلاة الصبح يكونون حضورا عند طلوع الفجر لصلاة الجماعة بالمسجد وذكر الوعد وضاعة العزراى والارباب لم يتخلل واحد من الطلبة عن الحضور في الزاوية وقت الفجاءة ولا يجوز له ان في عيشته الضرورة انما اذا نودي للفجاءة في الصباح والمساء او نودي للتكبير بالمسجد يعلم الطالب الحضور ويسرع ويحلف عن النداء بانه يترك عليه خطبة بالشمى تد مع في كتيب الطلبة انما يرجع يلزم الطلبة الادب عند الاجتماع في الزاوية وترك العيشة في كل ما خلاف الضرورة والاداب الشرعية انما ان لم يذهب واحد من الطلبة اثر الدشرة وكما ان يوسعة الادب بالمدى في الشيخ مع الضرورة الداعية لذلك الحاد في لزوم الادب في محلاتهم ولم يتعدى احد على احد ولم يشتر احد احدا بمثل التعيين في جميع المكافات والسباب بالحق ومن لم يمت عليه التبعي علم اخيه بحاف بالضرب المعتاد المعتز عنه بالعقوبة ويمنع من الاكل نونية ومن لم يمت ولم يرجع في بعله يكره من الزاوية ولم يقبل في انما في احد من اولاد المشايخ ابدا السابح يجب علم المعلم الاعتناء التام بالتعليم وتصحيح الالواح ومطابقة التكرار في اوفاته ولما يستعير واحد من اشياء علم التجرى والتجميع والعتيا الشامي يلزم الطلبة استعمال النظابة والطهارة والادب في مشيه وحديثه وجميع اخلاقه وعلمهم

مرايض الرضو والصلاة والتادب بالاداب الشرعية في بكثهم في المسجد التاسع ارجح الزاوية لخدمة الطلبة يكر تعينهم في المعلم وان كانت الخدمة عامة في معهم العامة يلزم المعلم ان يعترف بالطلبة والطلبة بالسهر معهم في يسولهم ولم يكثر الاختلاط بهم والتحدث معهم بهذا لكون له هبة واحترام في فلوهم ويتكبر الغوي منه في انفسهم العامة يلزم المعلم ان يجعل التجانا في كل شيء للطلبة في سر الغدوان ورسمه وجودة الخط الشافعي يلزم الطلبة عدم الاختلاط مع كابة اولاد الشيخ والشيخاء والاخوة في يلزم كل تلميذ في تلميذ محله وكنيسة داخله وخارجا ويعهدون في قضا الحاجة علم الزاوية ويحتسبون الطريق ولم يبولون في محل الوضوء بان يورث الوضوء

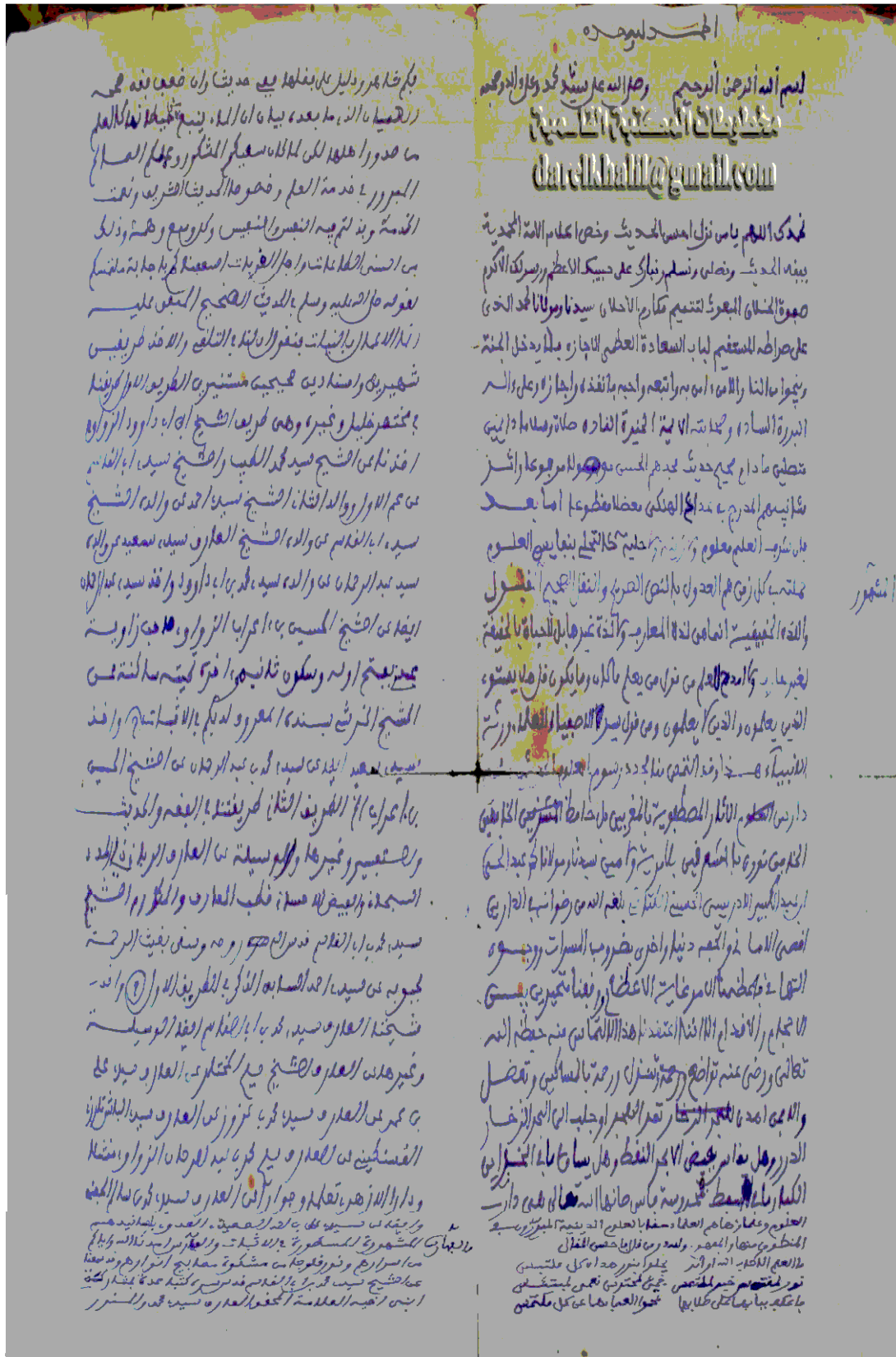
يكن الطلبة جميعا مع المعلم حاضرين للفجاءة والصلاة عليها والمشى معها الى المقبرة ولم يطلبون علم ذلك اجرة كمالهم عادة السعة فليل المروية ومن احصى اليهم بطلب اختيارا فليله ويجعل في الكسب لمصالحهم العامة للمعلم النظر التام في سكر الطلبة والعشايير يلزم المعلم ان لا يطرح في راحة في الطلبة في يلزمه ان لا يتعاطى في كاي ولم يكتف اهل بذلك الحساب البرز وحساب الحساب ما يعلمه بعض الطلبة في كتابة الحروف وحساب البرز وحساب المريف المعبر عنه يفنى كل هذه الشرط في يجب حفظها والعزراى والوفوف معها واي وقع تفصيل في واحد يوبخ المفصر على عيوي السلا مرة الاولى والثانية سواء المعلم والطالب وان وقع التفصيل ثالث مرة بالمعلم لا يأخذ آخر مرة ومنع في التعليم ومن يقرن والطالب يكره من الزاوية بعد اشهاره وعي في جميع ما ذكر يضع المعلم في سكره خب يعملوم شعبان سنة ١٢٠٠ المولى في كرم اوت سنة ١٢٠٠



darelkhali@gmail.com

[illegible]

251



ملخص الدراسة

شغل التصوف حيزا مهما من الدراسات الإنسانية. و تمثل الزاوية مرحلة مهمة من تاريخه، و هي مرحلة المؤسسة. و قد لعبت الزاوية أدوارا مهمة في الحياة الاجتماعية و الاقتصادية و السياسية و الثقافية. و لعل أهم دور قامت به هو الدور التربوي التعليمي. فقد كانت الزاوية مؤسسة تربوية ذات برنامج تعليمي محدد و يشرف عليها أساتذة من أبناء الزاوية و من خارجها، و كان لها نظام داخلي و طاقم بشري يشرف عليها.

و قد انطلق الباحث لتحليل التعليم بالزاوية من سؤال مركزي هو : هل كان لزاوية الهامل نظام تعليمي؟

و قد قام الباحث اعتمادا على الوثائق التاريخية بالإجابة على السؤال المركزي و الأسئلة الفرعية، و تبين بعد الدراسة توفر الزاوية على نظام تعليمي يشبه إلى حد كبير النظم التعليمية السائدة آنذاك في العالم الإسلامي

Sommaire

Le soufisme était parmi les thèmes les plus abordables par les chercheurs dans les sciences humaines, surtout après les changements qu'il a connus dès sa phase théorique jusqu'à l'apparition du "ZAOUIA" comme un établissement social qui a joué des rôles très importants dans le domaine social, économique et culturel.

La présente étude est une tentative scientifique selon les méthodes de la sociologie de l'éducation, qui vise à décrire et définir le mode du système éducatif de la "ZAOUIA" d'ELHAMEL" au environ de BOUSAADA, répondant à la question principale :

Y avait –il un système d'enseignement à la zaouia?

et c'est ce que le chercheur a pu prouver à la fin de cette étude.